سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠١٧م - ١٤٣٨هـ

المركز الإسلامي للدراسات
لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أوّل حي ماضي
بناية حجازي - ط1 - تلفاكس: 00961.1.274519
البريد الالكتروني: alhadi2@hotmail.com

المنشورات: بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421
البريد الالكتروني: dirasat14@gmail.com

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثالث

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الخامس:

لماذا عائشة؟!

بداية:

ذكرنا فيما تقدم شطراً مما يرتبط بموقف عائشة من الحسن والحسين «عليهما السلام»، مثل: أنها كانت تحتجب منهما، وقد أمرها النبي بحبهما، وأشرنا إلى موقفها من جنازة الإمام الحسن «عليه السلام»، حين أرادوا أن يدخلوه على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وأشرنا أيضاً إلى قيادتها الجيوش لحرب علي وأبنائه يوم الجمل، بالإضافة إلى أمور عديدة أخرى تعلم بالمراجعة.

وبقيت أمور كثيرة يمكن الحديث عنها، نذكر بعضها في هذا الفصل.

ونرجئ الباقي إلى المواقع المناسبة، فنقول:

تعلمين يا عائشة!!:

عن عائشة قالت: كنت عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فذكر علياً، فقال: يا عائشة، لم يكن قط في الدنيا أحد أحب إلى الله منه، وأحب إليَّ منه، ومن زوجته فاطمة ابنتي، ومن ولديه الحسن والحسين «عليهما السلام».

يا عائشة، تعلمين أي شيء رأيت لابنتي فاطمة ولبعلها؟!

قالت: لا، فأخبرني يا رسول الله.

قال: يا عائشة، إن ابنتي سيدة نساء العالمين، وإن بعلها لا يقاس بأحد

من الناس، وإن ولديه الحسن والحسين هما ريحانتاي في الدنيا والآخرة.

يا عائشة، أنا وفاطمة، والحسن والحسين، وابن عمي علي في غرفة من درة بيضاء، أساسها من رحمة الله تعالى، وأطرافها من عفو الله تعالى ورضوانه، وهي تحت عرش الله تعالى.

وبين علي وبين نور الله باب ينظر إلى الله، وينظر الله إليه، وعلى رأسه تاج قد أضاء نوره ما بين المشرق والمغرب، وهو يرفل في حلتين حمراوين.

يا عائشة، خلقت ذرية محبينا من طينة تحت العرش، وخلقت ذرية مبغضينا من طينة الخبال، وهي في جهنم[1].

ونقول:

تضمنت هذه الرواية أموراً يحسن لفت النظر إليها، نكتفي منها بما يلي:

علي أحب إلى الله، وإلى النبي ′:

ذكرت الرواية المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله»، قال لعائشة عن علي «عليه السلام»: «لم يكن قط في الدنيا أحد أحب إلى الله منه، وأحب إلي منه، ومن زوجته فاطمة ابنتي، ومن ولديه الحسن والحسين «عليهما السلام»»، فيلاحظ:

1 ـ إنها تؤكد على حقيقة: أن علياً وزوجته وولديه «عليهم السلام» هم أحب من في الدنيا إلى الله ورسوله.

(1) الفضائل لابن شاذان ص169 و 170 وبحار الأنوار ج37 ص78 و 79 والروضة في فضائل أمير المؤمنين لابن شاذان ص212.

2 ـ إنه قد ذكر ابنته فاطمة، ووصفها: بأنها زوجة علي أولاً، ثم ذكرها باسمها ثانياً، ثم نسبها إلى نفسه ثالثاً.. ربما زيادة في تكريمها، وليسلب المصطادين في الماء العكر أية إمكانية لإثارة أية شبهة، مهما كانت تافهة..

فلم يقتصر على ذكر زوجيتها لعلي «عليه السلام»، لكي لا يدَّعي أحد كذباً وزوراً: أن لعلي زوجة غيرها.. فإن هذه الكذبة قد تحدث شبهة لدى بعض الجاهلين، وقد يستفيد منها المغرضون وأعداء الدين، ولو بعد مئات السنين، كأساس لاختلاق بعض الأقاويل، ولذلك صرح باسمها «عليها السلام».

ثم هو لم يكتف بذلك، حتى لا يزعم زاعم: أن الفواطم كثيرات، فلعل مراده امرأة أخرى تسمى بفاطمة، فصرَّح «صلى الله عليه وآله» بنسبتها إليه، مصرحاً: بأنها ابنته «صلى الله عليه وآله».

3 ـ يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يقل: ليس في الدنيا أحد أحب.. بل قال: لم يكن قط في الدنيا أحد..

فيلاحظ هنا:

ألف: أن اختياره «صلى الله عليه وآله» التعبير الثاني دون الأول، قد يكون سببه أن غاية ما يفيده التعبير الأول: هو نفي وجود من هو أحب إلى الله تعالى، وإليه «صلى الله عليه وآله» في خصوص تلك اللحظة من الزمان، التي يطلق فيها كلمته هذه.. مع أنه يريد أن يقول: إنه لم يكن هناك مخلوق أحب إلى الله وإليه..

ب: وإنما أضاف كلمة «قط»، ولم يقل: لم يكن أحد أحب، لأن هذه الكلمة الثانية، وإن كانت تفيد نفي وجود مخلوق له هذه الصفة، وهي: أنه

الأحب إلى الله..

إلا أنه قد يقال: إنها إنما تنفي خلقه، ووجوده في زمانه «صلى الله عليه وآله»، مع أنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يقول: إنه لم يخلق، ولم يوجد، لا في زمانه «صلى الله عليه وآله»، ولا في أي من الأزمنة التي خلت، من هو أحب إلى الله منه.. فكلمة «قط» هي التي أفادت هذا التعميم.

ج: وإذا علم أنه سبحانه لم يخلق في هذا الزمان، ولا في أي زمان سابق من هو أحب إليه وإلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وضممنا إليه: أن الله تعالى قد خلق قبل علي الأنبياء، وفيهم أولو العزم، والرسل، فذلك يعني: أن علياً «عليه السلام» أحب من خلقه الله منذ الأزل، وإلى الأبد، إلى يوم القيامة.. وذلك للعلم: بأن الله تعالى لن يخلق بعد نبينا من يداني علياً «عليه السلام» في الفضل والكرامة، لأن بعث الأنبياء، وإرسال الرسل قد ختم بنبينا «صلى الله عليه وآله»..

ولم يبق إلا باقي الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام»، ولا ريب في أنهم لا يتقدمون على علي، وزوجته، وولديه.

د: لا حاجة إلى التذكير: بأن حب الله تعالى لعلي «عليه السلام» ومن معه ليس محاباة ومجاملة، ولا هو لأجل قرابة، ولا لأجل منفعة تصل إليه منهم.. فإنه تعالى منزَّه وغني عن ذلك وأشباهه، بل هو يحبهم، لفضلهم ولكمالاتهم، وتضحياتهم وجهدهم، وجهادهم، وعلمهم، ومعرفتهم به تعالى، وطاعتهم له، وفنائهم فيه، وشدة حبهم له سبحانه وتعالى..

كما أن حب النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي وأهل البيت «عليهم السلام»،

ليس لأجل صلة القرابة، بل لنفس ما يعلمه من هؤلاء الصفوة من ميزات، وصفات، وسمات، وتضحيات، وطاعة لله ورسوله، ومحبة لهما، وغير ذلك..

هـ: من المعلوم: أن هذا الحب العارم لا يكون لمن يخطئ، ويصيب، ويطيع ويعصي، لأن الله ورسوله إنما يحبان المطيعين، والمخلَصين ـ بفتح اللام ـ والمعصومين.

و: إن هذا الكلام عن حب الله تعالى لهؤلاء الصفوة، لا يعني تقدمهم عند الله على رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه.. لأن هذا الخبر لا يشمل قائله، بل هو من قبيل العموم الأفرادي، الذي يلاحظ المصاديق في خصوصياتها، وفي وجوداتها المتعددة..

وليس من قبيل الحكم المعلل، الذي يُنظر فيه إلى العلة، لتكون هي المعمِّمة والمخصصة له.

وقد أضاف بعض الإخوة الأكارم قوله:

إن المتكلم هو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن المفروض، المفروغ عنه بين المتكلم والمخاطب، بل وسائر الناس: أنه أفضل الخلق وأحبهم إليه تعالى، فلا يتوهم سامع تقدّم هؤلاء عليه «صلى الله عليه وآله» نفسه.

هذا، مضافاً إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» جعل نفسه في هذا الحديث أصلاً إلى جانب ربه، فقال: «لم يكن قط أحدٌ أحب إلى الله، وأحب إليَّ منه الخ..».

مما يعني: أن المقياس: هو الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»، فالحب حبهما، والبغض بغضهما.. نظير قرن الله تعالى طاعته بطاعة رسوله في الأصالة

والمقايسة، ومع مثل ذلك، لا يصح تقدم أحد عليه «صلى الله عليه وآله».

ز: يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» تحدث بصيغة النفي والإثبات.. ربما ليشير إلى أنه إنما ينفي وجود الفرد الذي بهذه الصفة.

ح: إن كلمة «قط» أبعدت أي احتمال للمجاز والمبالغة في هذا النفي والإثبات.

ط: والأهم من ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» بدأ كلامه بالإخبار عن أمر غيبي لا يعلم إلا بالوحي، حين ذكر أن الله لم يخلق منذ الأزل أحداً يحبه الله إلى هذا الحد.. فلا معنى لاحتمال أن يكون «صلى الله عليه وآله» يتكلم من موقع الشعور الشخصي، بل هو يتكلم بما هو نبي لا ينطق عن الهوى.

وقد أشرنا إلى هذا المعنى في الفصل المتقدم أيضاً..

عائشة ليست أحب:

وهذا الذي ذكرناه آنفاً يدل على عدم صحة:

1 ـ ما يروى عن عمرو بن العاص، المبغض لعلي وأهل بيته، من أنه سأل النبي «صلى الله عليه وآله»: من أحب الناس إليك؟!

قال: عائشة.

قال: إنما أقول: من الرجال.

قال: أبوها[1].

---

(1) الجامع الصحيح للترمذي ج5 ص706 و 707 و (ط دار الفكر) ج5 ص364 و 365 وفضائل الصحابة ص8 والطبقات الكبرى لابن سعد ج3 ص176 وج8

ص67 والمستدرك للحاكم ج4 ص12 وتاريخ مدينة دمشق ج3 ص199 وج30 ص27 و 134 و 135 و 136 و 137 وج44 ص221 وج46 ص147 والكشف الحثيث ص141 والسنن الكبرى للبيهقي ج6 ص370 وج7 ص299 وج10 ص233 وعمدة القاري ج16 ص181 وج18 ص13 ومنتخب مسند عبد بن حميد ص121 والسنة لابن أبي عاصم ص564 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص39 وصحيح ابن حبان ج15 ص308 ـ 309 و 326 وج16 ص40 والمعجم الكبير ج23 ص43 و 44 والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج4 ص358 و (ط دار الجيل) ج3 ص967 وج4 ص1883 والرياض النضرة ج1 ص33 و 135 و 267 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج12 ص500 وفيض القدير ج1 ص218 ومعالم التنزيل ج4 ص207 والجامع لأحكام القرآن ج14 ص218 والإحكام لابن حزم ج3 ص326 ولسان الميزان ج3 ص216 وذكر أخبار إصبهان ج2 ص132 وأسد الغابة (ط سنة 1415هـ) ج7 ص188 و (ط دار الكتاب العربي) ج5 ص503 وتهذيب الكمال ج35 ص235 وسير أعلام النبلاء ج2 ص142 و 147 و 148 والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج4 ص149 وتهذيب التهذيب ج12 ص386 وأنساب الأشراف ج10 ص66 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص246 والوافي بالوفيات ج16 ص342 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج3 ص283 وج5 ص238 وج8 ص100 وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص52 والسيرة النبوية لابن كثير ج2 ص333 وج3 ص520 و 521 وج4 ص435 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص170 و 255 ونهاية الأرب ج18 ص175 وج19 ص22 ومسند أحمد ج4 ص203 وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج4 ص192 وج5 ص113 وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج7 ص109 وراجع: عيون أخبار الرضا ج2 ص202 وكتاب سليم بن قيس ص277 والصوارم المهرقة ص322 وبحار الأنوار ج33 ص224

وروي نفس هذا المعنى عن أنس أيضاً[1].

ب: عن عائشة قالت: «وكنت أحب نسائه إليه، وكان أبي أحب أصحابه إليه»[2].. فإن كان المراد بالنساء: الزوجات، فلا يشمل كلامها الزهراء «عليها السلام».. لكن خديجة، وأم سلمة كانتا أحب نساء النبي «صلى الله عليه وآله» إليه.. كما أن أبا بكر، لو صح أنه أحبّ أصحابه، مع أن سلمان منّا أهل البيت، كما قال «صلى الله عليه وآله».. فإن كلمة أصحابه لا تشمل علياً «عليه السلام»، لأنه هو نفس رسول الله بحكم آية المباهلة.

ج: قالت عائشة: إن خولة بنت حكيم بن الأوقص عرضت على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يتزوج، إن شاء بكراً، وإن شاء ثيباً.

قال: فمن البكر؟!

قالت: بنت أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبي بكر[3].

____

وج49 ص192 ونخبة اللآلي ص77.

(1) راجع المصادر في الهامش السابق وغيرها.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص65 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص178 وراجع 179 والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج8 ص234 والمعجم الكبير للطبراني ج23 ص30 وراجع ص31 وسير أعلام النبلاء ج2 ص147 وراجع: تخريج الأحاديث والآثار ج2 ص426 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص101.

(3) الإصابة ج4 ص359 و (ط دار الكتب العلمية) ج8 ص232 وأسد الغابة (ط سنة 1415 هـ) ج7 ص187 و (ط دار الكتاب العربي) ج5 ص502 وبحار الأنوار ج19 ص23 ومسند أحمد ج6 ص210 ومجمع الزوائد ج9 ص225 ومسند ابن

ونقول:

1 ـ إن الحديث المتقدم يدل على عدم صحة هذه الأقاويل..

2 ـ الحديث الذي ترويه عائشة عن نفسها، أو يرويه عمرو بن العاص لصالحها لا يمكن القبول به، لأن ابن العاص من مبغضي علي «عليه السلام». وكذلك عائشة، فقد حاربته وهي تجر النار إلى قرصها بمثل هذه الأمور.

3 ـ ما ذكرته عائشة عن خولة بنت حكيم لا يمكن الاعتماد عليه أيضاً، لأنه تضمن ما يوجب الريب والشبهة..

فأولاً: ليس فيه حديث عن حب النبي «صلى الله عليه وآله» لعائشة، وإنما فيه حديث عن حبه لأبي بكر.

ثانياً: قولها: إن عائشة حين تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت بكراً، مع أن أبا داود وغيره قد رووا بالأسانيد الصحيحة: أنها طلبت من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكنِّيها، فقال لها «صلى الله عليه وآله»: فاكتني بابنك عبد الله، أو قال: اكتني بابنك[1].

راهويه ج2 ص14 والآحاد والمثاني ج5 ص389 والمعجم الكبير ج23 ص23 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص411 و 412 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج3 ص162 وإمتاع الأسماع ج11 ص236 وتاريخ مدينة دمشق ج3 ص195 والسيرة النبوية لابن كثير ج2 ص142 والسيرة الحلبية ج2 ص42.

(1) سنن أبي داود ج4 ص294 (ط دار الفكر) ج2 ص471 بعدة أسانيد، والأذكار النووية ص295 والمجموع للنووي ج8 ص438 والمعجم الكبير للطبراني ج23 ص18 بعدة أسانيد، وكنز العمال ج16 ص424 ومسند أحمد ج6 ص107 و

ثالثاً: إن حديث الطير الذي رواه أنس يكذِّب هذه المزاعم أيضاً، فهو يقول: إنه أهدي للنبي «صلى الله عليه وآله» طائر مشوي، فدعا الله أن يأتيه بأحب الخلق إليه يأكل معه.. فجاء علي ثلاث مرات يدق الباب، فيرده أنس(1)، فكيف يصح ما قالته خولة؟!

على أن أنساً كان أحد الثلاثة الذين كانوا يكذبون على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»(2).. وإنما كان

---

151 و 186 و 213 وذكر أخبار إصبهان ج1 ص315 و 93 والمصنف للصنعاني ج11 ص42 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص18 وراجع: الغدير ج6 ص315 والطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص64 و 63 وصبح الأعشى ج5 ص409 والعلل لأحمد بن حنبل ج3 ص247 والسيرة الحلبية ج3 ص314.

(1) الأمالي للصدوق (ط مؤسسة البعثة سنة 1417هـ) ص753 وراجع: روضة الواعظين ص130 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص115 ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص138 و 140 و 142 و 146 والعمدة لابن البطريق ص246 و 248 و 251 والطرائف لابن طاووس ص72 وبحار الأنوار ج38 ص352 و 355 وج57 ص301 وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص46 ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص141 و 142 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص328 و 346 وحلية الأولياء ج6 ص339 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص309 و 310 و 311 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص167 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص247 و 248 و 253 وج51 ص60 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص633 ونهج الإيمان ص334 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص207 وسبل الهدى والرشاد ج7 ص191.

(2) الخصال ج1 ص189 و 190 والإيضاح لابن شاذان ص541 وبحار الأنوار ج2

يفعل ذلك لمصلحة خصوم علي «عليه السلام»، فيكون ما قاله في حديث الطير قد جاء على قاعدة: والفضل ما شهدت به الأعداء.

وهناك الحديث الذي يقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» سئل: من أحب الخلق إليه، فقال: فاطمة.

فسألوه عن الرجال، فقال: زوجها، أو بعلها، أو نحو ذلك[1].

ص217 وج22 ص102 و 242 وج31 ص640 وج108 ص31 ومعجم رجال الحديث ج4 ص151 وج11 ص79 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص81.

(1) ربيع الأبرار ج1 ص820 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج2 ص194 و 470 وشرح الأخبار ج1 ص140 و 429 وج3 ص55 وعيون المعجزات ص50 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص111 والطرائف لابن طاووس ص157 وبحار الأنوار ج32 ص272 وج35 ص230 وج38 ص307 و 313 وج43 ص38 و 53 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص145 و 146 و 151 و 233 وخلاصة عبقات الأنوار ج1 ص302 والغدير ج3 ص24 وج9 ص395 وج10 ص86 ومستدرك سفينة البحار ج8 ص234 وسنن الترمذي ج5 ص360 و 362 والمستدرك للحاكم ج3 ص155 و 157 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص140 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص110 والمعجم الأوسط ج7 ص199 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج4 ص1897 والرياض النضرة ج3 ص115 ونظم درر السمطين ص102 و 177 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص145 و 255 وتاريخ بغداد ج11 ص428 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص260 و 261 و 264 وسير أعلام النبلاء ج2 ص125 و 131 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص17 وربيع الأبرار ج2 ص167 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص44 و 633 و 635 والمستطرف للأبشيهي ج1 ص242 والمسترشد للطبري

أما قول عائشة: إنها أحب نسائه «صلى الله عليه وآله» إليه، فغاية ما يدل عليه: أنها تدَّعي: أنها أحب نساء النبي إليه، كما هو ظاهر إضافة كلمة «نسائه» إلى الضمير العائد إليه «صلى الله عليه وآله».. وهذا هو القدر المتيقن من كلامه، فلا يعلم شمول كلامها للزهراء «عليها السلام»، ولا يدل على أنها أحب النساء اللواتي في الأمة إليه..

على أن هذا لا يدل على أنه كان يحبها أكثر من خديجة، لأنها لم تجتمع معها في بيت الزوجية، كما أن هذا الكلام الذي تجر فيه عائشة النار إلى قرصها ليس مسلَّماً لدى الباحثين. ولهذا البحث مجال آخر.

علي × ينظر إلى الله!! والله ينظر إليه:

وذكرت الرواية المتقدمة: أنه «بين علي وبين نور الله باب ينظر إلى الله، وينظر الله إليه، وعلى رأسه تاج قد أضاء نوره ما بين المشرق والمغرب، وهو يرفل في حلتين حمراوين».

ونقول:

إن هذه التعابير تحمل في طياتها معانيَ وإشارات نذكرها كما يلي:

أولاً: صرحت هذه الفقرة: بأن الباب هو بين علي «عليه السلام» وبين

ص449 و 450 والفضائل لابن شاذان ص169 وذخائر العقبى ص35 و 62 وتهذيب الكمال ج5 ص126 وإعلام الورى ج1 ص295 والمناقب للخوارزمي ص79 وكشف الغمة ج1 ص94 وج2 ص90 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج1 ص53 وينابيع المودة ج2 ص39 و 55 و 151 و 320 واللمعة البيضاء ص179 والنصائح الكافية ص50.

نور الله عز وجل، فعلي «عليه السلام» ينظر إلى الله من خلال الباب الذي يوصله إلى نوره تعالى ـ فالذي يراه علي «عليه السلام» هو نور الله.. لا نفس الذات الإلهية ـ فإنه تعالى يجلّ عن أن يرى، أو أن يكون جسماً، أو في جهة، أو في مكان.

والمراد بنور الله: هو نور العظمة التي تتجلى في مخلوقاته، وعظمة ملكوته، وجليل وجميل صنعه، وعدم تناهي قدرته.. وأعظم تجليات عظمته تعالى في مخلوقاته هو النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي وأهل البيت «عليهم السلام»، فهم الآية الكبرى، والدلالة العظمى.

كما أن الله تعالى ينظر إلى علي «عليه السلام» بعين التكريم، والحب، والإنعام، ورفع الدرجات، والتأييد، والتسديد من موقع التوفيق والرعاية.

ثانياً: إن الذي على رأس علي «عليه السلام» هو تاج الكرامة الالهية، وإمامة الأمة وهو هاديها، وقائدها، وراعيها، من موقع العلم، وبالمعرفة، الزاخرة بالهدايات والدلالات، وبالتدبير من موقع المسؤولية، وهو أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين.

وبهذا المعنى يكون تاج الإمامة هذا، يشع بالهدى فيضيء الطريق للخلائق، الذين هم ما بين المشرق والمغرب.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» يرفل في حلتين حمراوين:

أولاهما: ترمز لجهاده، وتضحياته، وخوض الغمرات، والفداء بسيفه ونفسه منذ أشرقت أنوار دين الله، بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وثانيهما: ترمز لمقام الشهادة الذي أكرمه الله تعالى به، وإلا فلماذا وصف

«صلى الله عليه وآله» الحلتين بالحمراوين؟!

مع النبي في الجنة!!:

وتذكر الرواية المتقدمة: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «يا عائشة، أنا، وفاطمة، والحسن والحسين، وابن عمي علي في غرفة من درة بيضاء، أساسها من رحمة الله تعالى، وأطرافها من عفو الله تعالى ورضوانه..

وهي تحت عرش الله تعالى».

ونقول:

1 ـ إذا كان موقع هؤلاء الصفوة في الجنة، في غرفة، من درة بيضاء، تحت عرش الله..

وإذا كانت عائشة أحب الناس إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فلماذا لم تكن معه، ومع علي وفاطمة والحسنين «عليهم السلام»، في الغرفة التي هي درة بيضاء تحت العرش؟!

2 ـ لو كانت لعائشة هذه المكانة عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكانت أحب الناس إليه، فلماذا أوصت أن لا تدفن معه «صلى الله عليه وآله» في حجرته؟! لأنها قد أحدثت بعده، حسب اعترافها[1].

---

(1) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص74 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص29 والمستدرك للحاكم ج4 ص6 وج8 ص708 ومسند ابن راهويه ج2 ص43 وسير أعلام النبلاء ج2 ص193 والمصنف لابن أبي شيبة ج3 ص230 والمعارف لابن قتيبة ص80 و (ط دار المعارف بمصر) ص134 وشرح إحقاق

ولماذا كانت تتمنى أن تكون نباتاً من نبات الأرض، ولم تكن شيئاً مذكوراً؟![1]..

أو ورقة من شجرة[2]..

أو شجرة أو حجراً أو مدرة[3]..

أو أن تكون نسياً منسياً[4]..

الحق (الملحقات) ج32 ص411 عن أخبار النساء في العقد الفريد (ط دار الكتب العلمية ـ بيروت) ص158 وراجع: الكافئة للشيخ المفيد ص40 وبحار الأنوار ج32 ص327 والصراط المستقيم ج3 ص45 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص292.

(1) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص76.

(2) راجع: مسند ابن راهويه ج2 ص41 والطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص75 وسير أعلام النبلاء ج2 ص189 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص253.

(3) راجع: مسند ابن راهويه ج2 ص40 والطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص74 وشرح الأخبار ج2 ص71 والشافي في الإمامة ج4 ص351.

(4) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص73 و 74 و 75 ومسند أحمد ج1 ص276 و 349 وفتح الباري ج8 ص372 ومسند ابن راهويه ج2 ص40 و 42 ومسند أبي يعلى ج5 ص57 وصحيح ابن حبان ج16 ص42 والمعجم الكبير ج10 ص321 وأسباب نزول الآيات ص219 والدر المنثور ج5 ص37 وسير أعلام النبلاء ج2 ص180 وتاريخ الإسلام للذهبي ج4 ص253 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص101 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص169 ـ 170 و 177 وج11 ص181 ونهج الحق ص370 و (المطبوع مع دلائل الصدق) ج3 ق2 ص156 والمناقب للخوارزمي ص182 والمنتظم ج5

أو أن الله تعالى لم يكن قد خلقها شيئاً قط؟!(1).

ألا يدل ذلك كله: على أنها لم تكن واثقة بأنها ستكون مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فإنها لو كانت على يقين من ذلك، لكانت ترى موتها فوزاً، ولم تكن لتختار أن تدفن بعيداً عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

أساس الغرفة وأطرافها وموقعها وبياضها:

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن الغرفة التي هي من درة بيضاء، تكون تحت العرش، «أساسها من رحمة الله تعالى، وأطرافها من عفو الله ورضوانه».

لعل هذه الفقرات ترمز إلى معاني وحالات معينة ـ يصعب علينا فهمها، أو لا نملك دليلاً قطعياً عليها، ولعل منها:

1 ـ إن كون الدّرة التي تحتضن هؤلاء الصفوة بيضاء، ربما أريد به الإلماح إلى شدة نقاء ضمائر، وصفاء عنصر أهل البيت، وطهارة ذواتهم «عليهم السلام»، وأن ذلك هو الميزة الظاهرة فيهم، وفي كل المحيط الذي يعيشون فيه.

2 ـ إن كون هذه الغرفة الدرِّيَّة الصافية تحت العرش ربما يراد له أن يرمز

ص95 وأنساب الأشراف، ترجمة الإمام علي «عليه السلام» (بتحقيق المحمودي) ص265 وتاريخ بغداد ج9 ص184 و 185 وتذكرة الخواص ج1 ص395 و 396 والغدير ج7 ص155 وراجع: لسان العرب ج14 ص133 وتاج العروس ج10 ص367 وعن الإعتقاد والهداية ص246 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص410 وراجع: النهاية في اللغة ج5 ص51.

(1) راجع: مسند ابن راهويه ج2 ص40 والطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص74 وشرح الأخبار ج2 ص71.

إلى أن هؤلاء الصفوة، هم في ظل عرش القدرة الإلهية، وهم خاضعون لهيمنتها، أو معتصمون بها، أو لأنهم «عليهم السلام» كانوا مطيفين بالعرش، منذ خلقهم قبل خلق الخلق بآلاف الأعوام.. وبعد الحشر يعودون إلى موضعهم هذا..

3 ـ إن هذه الغرفة العتيدة أساسها من رحمة الله تعالى، فأصلها ثابت، وفرعها في السماء.. حيث يراد لهذه الرحمة الإلهية: أن تكون هي الراعية للمخلوقات، وهي منطلق التعامل معهم، وليس خلق هؤلاء الصفوة ليكونوا هم القادة والهداة، والرعاة للخلق، إلا من تجليات رحمة الله سبحانه للخلق، من: الجن والإنس، والملائكة، والطير، وكل شيء يحتاج إلى هذه الرحمة لنفسه، أو لأجل غيره.

4 ـ أما أكناف وأطراف هذه الرحمة، فهي من عفو الله تعالى ورضوانه.. وذلك لأن من يكون خارج هذه الغرفة، إنما يكون خارجها لعدم بلوغه مراتب عالية تؤهله للكون فيها..

مما يعني: أنه قد يخطئ، وقد يعصي، وقد يقصر بداعي طغيان الشهوة، أو بداعي الغفلة، فإذا التفت إلى نفسه يتراجع عن خطئه، أو يتوب من ذنبه، فيحتاج إلى العفو.. ويدخل بتوبته النصوح، والندم على ما فرط منه في دائرة رضوان الله تعالى..

وهذا إنما يكون للمؤمنين، والصالحين..

ولكن هذا المخلوق المختار كلما أمعن في الابتعاد عن محيط هذه الغرفة الدرية وعن الذين هم فيها.. فازدادت احتمالات الانزلاق في مهاوي الأهواء والشهوات، والشبهات، ثم الضلالات، إلى أن يصل إلى حد البغض لمحمد

وأهل بيته، والدخول ـ من ثم ـ في الظلمات والمهالك.

هل هذا جبر الهي؟!:

وتقول الرواية المتقدمة: «يا عائشة، خلقت ذرية محبينا من طينة تحت العرش، وخلقت ذرية مبغضينا من طينة الخبال، وهي في جهنم».

ونقول:

قد يحاول البعض أن يدَّعي: أن هذه الفقرة تؤيد مقولة الجبر الإلهي للعباد، لأن الصلاح والفساد يصبح تابعاً لأمر يرتبط بالخلقة، فمن كان من الطينة التي هي تحت العرش، يكون صالحاً، تقياً، ومن كان من طينة الخبال، وهي في جهنم، فهو ظالم شقي.

ونجيب:

بأن الخبال هو الفساد، يكون في الأفعال، والأبدان، والعقول[1].

وعن النبي «صلى الله عليه وآله» في من شرب الخمر: إنه ليسقى من طينة خبال، وهو صديد أهل النار، وما يخرج من فروج الزناة، فيجتمع ذلك في قدور جهنم، فيشربه أهل النار، فيصهر به ما في بطونهم والجلود[2].

---

(1) أقرب الموارد ج1 مادة خبل. وراجع: مجمع البيان، والنهاية في اللغة، وغير ذلك.

(2) بحار الأنوار ج8 ص244 وج73 ص330 وج76 ص126 و 131 وج72 ص194 و 244 والوافي ج5 ص1071 ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص8 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج25 ص376 و (الإسلامية) ج17 ص301 ومستدرك سفينة البحار ج3 ص16 ومجمع البيان (تفسير) ج6 ص67 ونور الثقلين (تفسير) ج2 ص532 وكنز الدقائق (تفسير) ج7 ص42 وج9 ص63.

وروي بسند صحيح عن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: من بهت مؤمناً، أو مؤمنة، بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال.

قلت: وما طينة الخبال؟!

قال: صديد يخرج من فروج المومسات(1).

وبعدما تقدم نقول:

إن خلق ذرية محبي النبي وأهل بيته من طينة تحت العرش، لا يعني أن يكونوا مجبرين على الإيمان والعمل الصالح..

بل هو يعني: أن يكون هناك انسجام طبعي مع الأخيار والأبرار، والأنبياء، والأئمة الأطهار، ورغبة بالكون منهم ومعهم، ويوجب الحنين إليهم..

كما أن أعداء آل محمد خلقوا من طين سجِّين، وخلق قلوبهم من طين أخبث منه، يهيِّء للانسجام مع أمثالهم، «وكل قلب يحن إلى بدنه» (2).

قال بعض الإخوة الأفاضل:

---

(1) الكافي ج2 ص357 وبحار الأنوار ج72 ص244 و 194 والوافي ج5 ص978 وهداية الأمة ج5 ص179 والمحاسن للبرقي ج1 ص101 والمؤمن للكوفي ص66 ومعاني الأخبار ص164 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج12 ص287 و (الإسلامية) ج8 ص603 ومرآة العقول ج10 ص434 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص443 وألف حديث في المؤمن ص139 والبرهان (تفسير) ج3 ص531 وج4 ص55 وج5 ص112.

(2) راجع: بصائر الدرجات ص34 وبحار الأنوار ج25 ص8 وص10 ـ 13 وج64 ص126 وراجع: ج58 ص44 وج5 ص243 و 250 والمحاسن للبرقي ج1 ص135 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص623 وألف حديث في المؤمن ص230.

ويمكن القول: إن ذلك على قاعدة: علم الله: أن هؤلاء سيكونون ـ باختيارهم ـ شيعة محمد وآله محمد «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، فخلقهم تعالى مما يناسب ذلك.. وأولئك علم الله أنهم سيكونون ـ بسوء اختيارهم ـ من أعداء محمد وآله «صلى الله عليه وآله»، فصنع في خلقهم ما يناسب ذلك.

وعن أبي جعفر «عليه السلام»: «إِنَّ اللهَ خَلَقَنَا مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِنَا مِمَّا خَلَقَنَا، وخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ، فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِي إِلَيْنَا، لأَنَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خُلِقْنَا، ثُمَّ تَلَا هَذِه الآيَةَ: ﴿**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ**﴾(1).

وخَلَقَ عَدُوَّنَا مِنْ سِجِّينٍ، وخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِهِمْ مِمَّا خَلَقَهُمْ مِنْه، وأَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ، فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، لأَنَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خُلِقُوا مِنْه، ثُمَّ تَلَا هَذِه الآيَةَ: ﴿**كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُوم * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**﴾(2)»(3).

---

(1) الآيات 18 ـ 20 من سورة المطففين.

(2) الآيات 7 ـ 10 من سورة المطففين.

(3) الكافي ج1 ص390 وج2 ص4 وروضة المتقين ج13 ص223 وبصائر الدرجات ص35 وبحار الأنوار ج25 ص9 ج58 ص43 وج64 ص127 وج5 ص235 ومرآة العقول ج4 ص277 وج7 ص7 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص624 وج7 ص415 وتفسير أبي حمزة الثمالي ص355 والبرهان (تفسير) ج5 ص606 ونور الثقلين (تفسير) ج5 ص529 وكنز الدقائق (تفسير) ج14 ص184.

وهذا الحنين، ميل من خلقوا من طينة واحدة إلى بعضهم البعض لا يعني الجبرية لهم في أفعالهم، مع وجود العقل، وحرية الاختيار، والأوامر والزواجر، وغير ذلك من الهدايات والدلالات، فإن الإنسان هو الذي يختار ما يشاء، ويطرح حنينه، وهوى قلبه جانباً. فيفوز بالمثوبات إن أطاع، وبالعقوبات والمخازي إن عصى.. ما دام أن هواه يمكن ويجب أن لا يغلب عقله، وأن حنينه لا أثر له في إجباره على شيء.

إشارات ولمحات:

وتبقى في الرواية المتقدمة إشارات عديدة، وحقائق سديدة، نذكر منها:

1 ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله»، يقول: إنه لا يقاس بعلي أحد..

إذن، فما بال الفريق الذي يناصر مناوئي علي «عليه السلام» ومن اعتدوا على بيته، وزوجته، وغصبوا حقه.. وكذلك من حاربه في الجمل وصفين ـ ما بال هؤلاء ـ يجهدون في التسويق لمقولات تفضيل غير علي «عليه السلام» كتفضيلهم أبا بكر وغيره عليه، حتى ليدَّعي بعضهم: أن الترتيب في الفضل على حد الترتيب في تولي الخلافة.. مع أن دعوى المساواة في الفضل فيها تكذيب للرسول «صلى الله عليه وآله»، فما بالك بادِّعاء أفضلية غيره عليه؟!

2 ـ تقول الرواية المتقدمة: إنه «صلى الله عليه وآله» كان يقول: الحسن والحسين هما ريحانتاي في الدنيا والآخرة.. فلماذا رموا جنازة الإمام الحسن «عليه السلام» بالسهام، ثم قتلوا الإمام الحسين «عليه السلام» وأهل بيته وأصحابه في كربلاء؟!

أليس ذلك من أشر الإساءات لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

3 ـ تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: إن الحسن والحسين «عليهما السلام» من أحب الخلق إلى الله ورسوله.

ولكن عائشة تقول عن الإمام الحسن «عليه السلام»: لا تُدخلوا بيتي من لا أحب.

4 ـ يقول النبي «صلى الله عليه وآله» عن فاطمة «عليها السلام»: إنها سيدة نساء العالمين.

ولكن الآخرين يدَّعون: أن فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام[1].

---

(1) راجع: مسند أحمد ج3 ص156 و 264 وج4 ص394 و 409 وج6 ص159 وسنن الدارمي ج2 ص106 وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج4 ص132 و 139 و 220 وج6 ص205 و 207 وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج7 ص133 و 138 وسنن ابن ماجة ج2 ص1091 و 1092 وسنن الترمذي ج3 ص179 و 180 وج5 ص365 وج7 ص68 وفضائل الصحابة للنسائي ص85 والمستدرك للحاكم ج3 ص587 وج4 ص116 وشرح صحيح مسلم للنووي ج15 ص199 ومجمع الزوائد ج9 ص243 وفتح الباري ج7 ص83 وعمدة القاري ج15 ص308 وج16 ص26 و 250 وج21 ص54 و 60 وتحفة الأحوذي ج5 ص460 وج10 ص260 ومسند أبي داود الطيالسي ص68 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص527 و 529 ومسند ابن راهويه ج2 ص21 و 486 ومنتخب مسند عبد بن حميد ص198 والشمائل المحمدية ص98 والآحاد والمثاني ج5 ص393 و 394 والسنن الكبرى للنسائي ج4 ص161 وج5 ص102 وج5 ص283 و 284 ومسند أبي يعلى ج6 ص345 و 346 و 347 وج13 ص219 و 220 و 235 وصحيح ابن حبان ج16 ص50

و 51 و 52 والمعجم الأوسط ج2 ص369 وج5 ص42 و 43 والمعجم الصغير ج1 ص94 والمعجم الكبير ج19 ص28 وج23 ص42 و 43 وسؤالات حمزة للدارقطني ص177 وشعب الإيمان ج5 ص93 والاستيعاب (ط دار الجيل) ج4 ص1883 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج14 ص23 وتخريج الأحاديث والآثار ج4 ص67 وبغية الباحث ص299 والجامع الصغير ج1 ص351 وج2 ص296 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج12 ص133 و 136 و 144 وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص493 وفيض القدير ج2 ص585 وج5 ص66 وكشف الخفاء ج1 ص155 و 389 و 461 وج2 ص89 وتفسير ابن أبي حاتم ج11 ص209 وتفسير الثعلبي ج9 ص353 وتفسير البغوي ج1 ص301 والجامع لأحكام القرآن ج2 ص106 وج4 ص82 و 83 وتفسير البيضاوي ج5 ص227 و 359 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص371 وج4 ص154 و 421 والدر المنثور ج2 ص23 وج5 ص37 وتفسير أبي السعود ج8 ص270 وفتح القدير ج1 ص340 وج5 ص257 وتفسير الآلوسي ج3 ص155 وج18 ص132 وج28 ص165 والطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص79 وطبقات المحدثين بأصبهان ج2 ص285 وتاريخ مدينة دمشق ج29 ص323 وج70 ص116 و 117 وأسد الغابة ج5 ص503 وتهذيب الكمال ج35 ص235 وسير أعلام النبلاء ج2 ص144 و 145 وطبقات الشافعية الكبرى ج4 ص400 والإصابة ج8 ص233 وتهذيب التهذيب ج12 ص386 وأنساب الأشراف ج1 ص413 وذكر أخبار إصبهان ج1 ص215 و 245 وج4 ص245 والوافي بالوفيات ج16 ص342 ومرآة الجنان ج1 ص45 و 104 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج2 ص73 وج3 ص159 و 160 وج8 ص100 وإمتاع الأسماع ج10 ص270 و 271 و 273 والنجوم الزاهرة ج1 ص150 والروض الأنف ج4 ص267

إبطال الكيد، والعبث بالحقائق:

وقد ظهر: أن هذه الرواية التي تقدم الحديث عنها، ونظائرها مما تقدم وسيأتي في هذا الكتاب: لا تهدف لمجرد تقرير وبيان فضائل أهل البيت «عليهم السلام»، بل هي تريد منع العبث، والتلاعب بعقائد الناس، بهدف تغيير مسار الأمور، وحرفها عن الخط الذي يريد الله تعالى لها أن تكون فيه.

كما أنها معالجات مسبقة، وإبطال لأضاليل وأباطيل كان «صلى الله عليه وآله» يعلم أنها سوف تشاع وتذاع.

كما أن هذه الرواية ونظائرها تريد تقويض المنطلقات والأسس التي سوف يحاول الظالمون والمزوِّرون: أن يتخذوا منها ذريعة لكيدهم ومكرهم، وأكاذيبهم الفاجرة، الرامية إلى إطفاء نور الله بأفواههم، والله متم نوره، ولو كره الكافرون.

وعيون الأثر ج2 ص382 والسيرة النبوية لابن كثير ج2 ص137 و 138 وقصص الأنبياء لابن كثير ج2 ص379 وسبل الهدى والرشاد ج11 ص176 والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج1 ص9.

الباب السادس:

كبار.. حتى في عهد

الفصل الأول:

يشهدان.. ويبايعان..

بداية:

لبعض الأحداث دلالتها الكبيرة، والجديرة بالتأمل والتمحيص، لأنها تلامس الجذور والمنطلقات التي ينبغي التوفر على معرفتها، وكشف حيثياتها، ومسارها، ومؤيداتها، كما أنها تلامس الحياة العامة في مفاصلها الحساسة.

وفي حياة الحسنين «عليهما السلام» أحداث كثيرة لها هذه الصفة، بعضها حصل في حياة النبي «صلى الله عليه وآله» ومن خلال شخصيته، أو تحت نظره وبرعايته.

وبعضها حصل بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم في عهد أبيهما بمبادرات منهما، وبإشراف وتأييد منه، وهو في سدة الإمامة، وفي مجالها العملي المباشر.

وبعضها كان منهما بعد أن توليا شؤون الإمامة بالفعل، بعد استشهاد أبيهما «عليه وعليهما الصلاة والسلام»..

ونحن نذكر في هذا الفصل حدثين حصلا في حياة النبي «صلى الله عليه وآله»، ومن خلاله، وبرعايته، فنقول:

الشهادة على كتاب ثقيف:

يقول المؤرخون: إن وفد ثقيف في سنة تسع للهجرة ـ وهي سنة الوفود

ـ قدم إلى المدينة، فكتب النبي «صلى الله عليه وآله» لهم كتاباً، وأثبت فيه شهادة الحسن والحسين «عليهما السلام»[1].

وكان عمرهما حينئذ خمس سنين، وست سنين.

ويذكر المؤرخون كتابين، أحدهما مختصر، والآخر مطول.. وأكثر المؤرخين ذكروا: أن شهادة الحسنين «عليهما السلام» كانت على النص المختصر، وبعضهم كابن سعد ذكر شهادتهما «عليهما السلام» على النص المطول.

---

(1) الأموال لأبي عبيد ص193 و (ط أخرى) ص279 و 280 وراجع: والطبقات الكبرى لابن سعد ج1 ص285 وفي (ط ليدن) ج1 ق2 ص33 وعن ج4 ق1 ص69 والتراتيب الإدارية ج1 ص274 وسبل الهدى والرشاد ج6 ص298 ومكاتيب الرسول ج3 ص72 و 73 عن المصادر المتقدمة، وعن: السيرة النبوية لابن هشام ج4 ص187 والبداية والنهاية ج5 ص344 وتاريخ الخميس ج2 ص193 وإعلام السائلين ص50 وجمهرة رسائل العرب ج1 ص52 عن المواهب اللدنية شرح الزرقاني ج4 ص10 ورسالات نبوية ص307/ 114 والأموال لابن زنجويه ج2 ص452 والمغازي للواقدي ج3 ص973 وزاد المعاد لابن القيم ج2 ص198 والسيرة الحلبية ج3 ص244 والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج3 ص11 والمواهب اللدنية ج1 ص236 ومدينة البلاغة ج2 ص335 وسيرة النبي «صلى الله عليه وآله» لإسحاق بن محمد الهمداني قاضي أبرقوه ص997 ومجموعة الوثائق السياسية ص287/ 182 عن مجموعة المكتبات للديبلي/ 17 وابن هشام، وابن سعد، والواقدي، وابن كثير، والقسطلاني في المواهب، ورسالات نبوية، وزاد المعاد، والأموال لأبي عبيد، وابن زنجويه، وإمتاع الأسماع للمقريزي ج1 ص493 و 494 ثم قال: قابل سنن أبي داود، ووفاء الوفا ص1036 وانظر كايتاني ص589 التعليقة الرابعة واشپربر ص72 واشپرنكر ج3 ص486.

وقد يرجح البعض: أنها كتاب واحد، اختصره المؤرخون، لأنهم لم يروا حرجاً في الاختصار، لأن الأمور التي أكد الكتاب عليها هي من الأمور البديهية، والمسلمات..

وسنشير في كلامنا إلى بعض هذه المضامين، إن شاء الله تعالى.

سؤال يحتاج إلى جواب:

علينا ملاحظة ما يلي:

1 ـ إن قبيلة ثقيف لم تكن قبيلة عادية، بل كان لها نفوذ وشأن في محيطها. وكان لها موقف سلبي وكريه من الإسلام وأهله.. فإن هواها كان هو نفس هوى أهل مكة، والظروف والأحوال التي دعت إلى استسلام أهل مكة، وألزمت غيرهم من مشركي العرب بالبخوع، والخضوع، والمجاراة والتسليم هي نفسها التي دعت ثقيف إلى إظهار الإسلام..

2 ـ لم نعهد في تاريخ الكتب والمراسلات، والمعاهدات التي تعقد بين القبائل، أو التي تصدر عن مقام رسمي: أن أشهدوا عليها أطفالاً صغار السن لا يزيد عمر أحدهم على خمس أو ست سنوات.. وإلى جانبهما أبوهما سيد الخلق بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

نعم، لقد شهد طفلان صغيران على مضمون كتابٍ بالغ الحساسية والأهمية لقبيلة لها موقعها بين القبائل.

فكيف رضي وفدهم بإثبات شهادة أطفال بهذه السن؟!

وحين رجع الوفد إلى البلاد، ورأى قومهم هاتين الشهادتين.. هل رضي قومهم بهذا التصرف، وركنوا إلى هذه الشهادات؟! أم أنهم رفضوها؟!

إن المتوقع هو ـ على الأقل ـ: أن يتهم أولئك الناس وفدهم بالتفريط، والغفلة، والغباء، وسقم التفكير، وضعف البصيرة؟!

بل إننا نرجح: أن تثور ثائرة بعضهم، إذا رأوا: أن هذا الكتاب أو العهد لا يحمل سوى شهادة رجل واحد وطفلين، وسوف ينهالون على الوفد الذي أرسلوه باللوم والسخرية، وبالتنديد، والتقريع، لاكتفائه بهذه الشهادات، وقبوله بها.

وربما اعتبر الكثيرون منهم: أن هذه الشهادات فيها تصغير لشأنهم، وتوجب لحوق العار بهم.

3 ـ فما بالنا لم نجد ما يدل على شيء من ذلك، ولو بمستوى سؤال، لا من ثقيف، ولا من محبيهم، ومن هم على مثل رأيهم، ولا من غيرهم، فلم نسمع أن أحداً من مناويئهم قد عيرهم بذلك؟!

فوائد وعوائد، ودلالات:

ويستوقفنا هنا أمور كثيرة أخرى، وفوائد وعوائد يمكن اعتبارها من دلالات، وأهداف هذا الإشهاد..

ويمكن أن نذكر منها هنا ما يلي:

1 ـ إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يعرف الناس أموراً مثل:

ألف: إن الناس لا يقاسون بأعمارهم ولا بأحجامهم، ولا بألوانهم، ونحو ذلك.. بل يقاس الناس بعقولهم، وبمعرفتهم بالله، وطاعتهم له، وبخُلُقهم الكريم، ومواقفهم، ونحو ذلك.

والمطلوب في الشاهد لتكون شهادته محقة للحق، ومبطلة للباطل: أن

يكون ذا عقل كامل، وادراك ووعي شامل..

ب: إن ذلك يدل على أن الشاهد قادر على ضبط الأمور، وعلى التمييز بينها.

ج: إنه على معرفة تامة بأحكام الشرع والدين..

د: إنه إنسان متزن، ومنضبط ومهيمن على نفسه، فلا يميل مع هوى، ولا يفرط بما يجب حفظه.

هـ: إنه ذو رأي سديد، ونظر ثاقب، يعرف الصالح من غيره، فلا مجال للتلاعب به، وتعمية الأمور عليه.

و: إنه صلب في مواقفه، فلا يخضع لخوف، ولا يستدرجه طمع ليحيد عن الحق، لمصلحة الباطل وأهله.

ز: إن لديه مبادئ وسجايا لا يستهين، ولا يفرط بها، ومنها: الصدق في القول والعمل، وحفظ العهود، والشهادة بالحق.

ح: إن لديه ديناً يضبط حركته، وتقوى تقوم على أساس المعرفة بالله في مسيرته، ويطبع سيرته ضمير حي، ووجدان طاهر، والتزام أحكام الشرع والدين، والقيم والأخلاق الحميدة.

فلو أن إحدى هذه المذكورات فقدت في الشاهد، فإن ذلك يفتح أبواب الريب والشك في الشهادة، ويخدش في سلامتها وصحتها.

ونحن لا نجد هذه الأمور، أو بعضها متحققة لدى الكثيرين من كبار السن، الذين يتصدَّون للشهادة في المجالات المختلفة.

وإشهاد النبي «صلى الله عليه وآله» الحسنين «عليهما السلام» على كتاب

ثقيف إعلان منه بتوفر هذه العناصر فيهما «عليهما السلام» على أتم وجه وأوفاه.

وهو يدل على عظيم فضلهما، وعلو مقامهما، ونباهة شأنهما، ووافر علمهما، ورسوخ حقيقة التقوى والخشية في قلبيهما..

الشهود على كتاب ثقيف:

هناك خمسة أشخاص وجدت اسماؤهم في هذا الكتاب، وهم:

1 ـ رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو الذي أعطى ثقيف هذا العهد، وفرض مضمونه عليهم وعلى الناس.. فليس هو من الشهود.

2 ـ أمير المؤمنين علي «عليه السلام».

3 ـ الحسن بن علي «عليهما السلام».

4 ـ الحسين بن علي «عليهما السلام».

5 ـ خالد بن سعيد بن العاص الذي كتب الكتاب بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلا يعد من الشهود.

فيكون الشهود بالمعنى المعروف ثلاثة أشخاص فقط. وهم علي وولداه «صلوات الله وسلامه عليهم».

ويظهر النص المكتوب للكتاب: أنهما «عليهما السلام» قد شهدا على نسخة الصحيفة كتابة، فدل ذلك على معرفتهما بالكتابة قبل ذلك التاريخ.

الضامن هو الله ورسوله:

إن بني ثقيف قد حصلوا على هذا الكتاب من النبي «صلى الله عليه وآله» الذي يقول الله تعالى عنه: **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ**

يُوحَى﴾[1]..

مما يعني: أن إشهاده الحسنين «عليهما السلام»، وهما طفلان صغيران على كتابهم قد كان بوحي وأمر من الله تعالى. ولأجل ذلك لم يعترض المؤمنون منهم على هذا الإشهاد..

وأما الذين في قلوبهم مرض، فلعلهم لم يعترضوا، لأنهم لا يريدون أن يظهروا أنفسهم في صورة المعترض على الرسول، والمشكك في صوابية ما يقول ويفعل.. لأنهم قد يرون أن ذلك يلحق بهم ضرراً هم في غنى عن التعرض له، بعد أن أدركوا عجزهم وعجز قريش والعرب عن مواجهته «صلى الله عليه وآله».

على أن التردد في قبولهم هذا الأمر منه «صلى الله عليه وآله» قد ينتهي إلى إسقاط هذا العهد عن درجة الفاعلية والتأثير.. وهذا ما لا يريده الثقفيون، لأنهم هم الذين طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يكتب لهم هذا المضمون.

مضامين الكتاب:

ونص هذا الكتاب ـ المشهود عليه ـ سواء في نصه المطوَّل، أو في نصه المختصر يعطي ما يلي:

1 ـ إن المشهود عليه ليس هو بيع فرس، أو بيت، أو حديقة، أو شاة أو جمل. بل هو أمر جليل وخطير، يرتبط بالحقوق العامة، وبأمور حيويةٍ جداً

---

(1) الآية 3 و 4 من سورة النجم.

لهم، وفيه ما يرتبط بحياتهم الاجتماعية والدينية.

2 ـ وإذا أردنا أن نجمل تفاصيل ما ورد في ذلك الكتاب، فنجد فيه ما يلي:

ألف: المنع من الظلم.

ب: عقوبات على التعديات على أملاك الناس وعلى ظلمهم فيها.

ج: المنع من التعدي بالسرقة، أو أي نوع من أنواع الإساءة، بقطع الأشجار، وما إلى ذلك.

د: جعل لهم حريماً ليس لأحد تجاوزه، فلا يعبر أحد بلدهم بغير إذنهم.

هـ: لا يدخل أحد في الطائف بكل مشتملاته بغير إذنهم.

و: إن على عمال الزكاة: أن ياخذوا الزكاة من أماكنها بأنفسهم، ولا يكلف أهل الطائف بحمل زكاتهم إلى عمال الزكاة.. لأن ذلك من الظلم، وفيه مشقة عليهم، وتعطيل لهم عن أعمالهم، ويحمِّلهم مصارف الحمل والنقل، والعلوفة للدواب، وغير ذلك.

ز: لا يؤخذ منهم، إلا الصدقة الواجبة التي شرَّعها الله، ولا يؤخذ العُشر الذي كان يؤخذ منهم قبل الإسلام.

ح: لأهل الطائف الحق في دخول أي حيز شاؤا من بلاد المسلمين.

ط: ومن كان في أيديهم من الأسرى المأخوذين في حروبهم في الجاهلية، فهم لهم حتى يأخذوا فديتهم.. وليس لهم بيعهم بعد كتابة هذا العهد، ومن بِيع قبل ذلك، فقد نفذ بيعه.

ي: قد أسقط هذا العهد الربا الذي كانوا يتعاملون به في سوق عكاظ في الجاهلية، وليس لصاحب المال، إلا أن يأخذ رأس ماله.

ك: المديون لهم يعطيهم الدين، ولا يعطيهم الربا.

بالإضافة إلى أمور أخرى ذكرت في ذلك الكتاب تعلم بالمراجعة..

3 ـ ظهر: أن لهذا العهد مساساً بقضايا مهمة، وحاجات ملحة لطائفة كبيرة من الناس، كالأمن، والاقتصاد، والعلاقات، وحرية الحركة، والحقوق، والأحكام.. وما إلى ذلك.

4 ـ إنه يطرح أموراً لها امتداد واستمرار، وبقاء لا يستغني أولئك الناس عنها، ولا مجال لاستبدالها بغيرها، ولا تنتهي في زمان بعينه، بل هي ضرورة يحتاجها الناس في مختلف أدوار حياتهم، وحاجتهم إليها كحاجتهم للهواء، والماء، والغذاء والدواء.

لأجل هذا أشهدهم:

ولأن ما تضمنه هذا العهد ليس من قبيل العطايا المادية، بل هي أحكام شرعية، وتقرير لحقوق، وبيان لسياسات إلهية.. فإن الضمانة لهذه الأحكام، وتعاهد هذه الحقوق، وإجراء هذه السياسات.. هي لدى صفوة الخلق وخيرته، الذين يختارهم الله هداة ورعاة لعباده، وساسة لبلاده، بأحكام الله وشرائعه، من موقع التقوى والعلم، والمعرفة، والعصمة، والقيم، والأخلاق، وما تقتضيه الفطرة الإنسانية السليمة والمعرفة بمقامهم «عليهم السلام»، وهم الأمناء على وحي الله، والحافظون لدينه، والقادة لعباده بالنهج القويم إلى جنات النعيم.

ولأجل ذلك لم يخلط «صلى الله عليه وآله» بهم غيرهم.. مع أن صحابته المعروفين، لم يكونوا في منأى عن كتابة هذا الكتاب.. وهم، ولاسيما المهاجرون من أهل مكة يحرصون على مصالح ثقيف، وأهل الطائف، لأنهم يعتبرونهم

من حزبهم، وعلى نهجهم، وينسجمون معهم في طموحاتهم وتطلعاتهم.

الشهادة والإمامة:

وقد ظهر: أن هذه الشهادة الضامنة والراعية، تتوافق مع معنى الإمامة للحسنين «عليهما السلام»، الذي جهر به رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين قال: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا. وبمعناه غيره..

كما أنها تؤكد معنى الامتداد الزماني، الذي يؤكده التوالي والتعاقب بالإمامة للأئمة الاثني عشر «عليهم السلام».. فيكون عليٌّ أولاً، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم باقي الأئمة الطاهرين «صلوات الله عليهم أجمعين»، الذين يرثون الأرض ومن عليها.

ولكن البعض قال عن إشهاد الحسنين «عليهما السلام» على كتاب النبي «صلى الله عليه وآله» لثقيف، ما يلي:

«ولا يجوز القول: بأن تلك خصوصية لهما «رضي الله عنهما»، إذ لا دليل عليها. وما دام الطفل مميزاً يجب أن تعتبر شهادته، فإنه قد يحتاج إليها..»(1).

ونجيب بما يلي:

أولاً: إن الصحابة، ولاسيما قريشاً ومؤيديها كانوا مهتمين بأمر ثقيف، فلماذا لم يُشهد النبي «صلى الله عليه وآله» أحداً منهم على الكتاب غير هؤلاء الثلاثة؟!

فإن لم يكن أحد منهم حاضراً عنده في تلك الساعة، فقد كان بإمكانه

---

(1) تعليق محمد هراس على كتاب الأموال لأبي عبيد، هامش ص280.

«صلى الله عليه وآله» أن يطلب حضور بعضهم ممن هم في المسجد، أو بالقرب منه، أو من أهل الصفَّة، التي كانت متصلة بالمسجد، وسوف يأتيه منهم العشرات.

وكان «صلى الله عليه وآله» يرسل إلى بعضهم ليحضر إليه، ويكتب ما ينزل من الآيات عليه، أو ليكتب له الرسائل.

كما أن المسجد كان يمتلئ بالمصلين كل يوم عدة مرات، فلماذا لم يشهد أحداً على هذا الكتاب غير علي وولديه «عليهم السلام»؟!

ثانياً: يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» كثيراً ما كان في كتبه المختلفة يشهد على الكتاب الذي يكتبه، نفس من يتولى كتابة ذلك الكتاب، فتجد في ذيل كثير من الكتب عبارة: وكتب فلان، وشهد، أو نحو ذلك[1].

فلماذا لم يشهد حتى كاتب كتاب ثقيف، وهو خالد بن سعيد بن العاص على ما كتبه، مع أنه قد صرح فيه باسمه أيضاً، فقال: «وكتب خالد بن سعيد بأمر من محمد بن عبد الله رسول الله الخ..»؟!

ثالثاً: قال هذا الرجل: «وما دام الطفل مميزاً يجب أن تعتبر شهادته، فإنه قد يحتاج إليها..».

ونقول:

لو صح كلامه هذا، للزم إثبات شهادات الأطفال المميزين في كل كتاب..

---

(1) راجع على سبيل المثال: مكاتيب الرسول للعلامة الأحمدي ج3 ص276 و 482 و 505 و 511 و 156 وغير ذلك كثير.

مع أننا لم نجد شهادة لأي طفل في أي كتاب آخر كتبه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو غيره لأحد من الناس.

إلا أن يقال: لم يكن في المدينة طفل مميز غير الحسن والحسين «عليهما السلام»!! وهذا كلام غريب وعجيب!!

ولماذا لا يقول محمد خليل هراس: إن شهادتهما «عليهما السلام»، إنما كانت لإظهار خصوصية الإمامة فيهما بصورة عملية، وفعلية، فإنه «صلى الله عليه وآله» هو الذي قال: إنهما إمامان قاما أو قعدا، أو نحو ذلك.

رابعاً: قال ابن رشد: إن العدالة تشترط في الشاهد بإجماع المسلمين.

«وأما البلوغ، فإنهم اتفقوا على أنه يشترط حيث تشترط العدالة..

واختلفوا في شهادة الصبيان بعضهم على بعض في الجراح، وفي القتل، فردها جمهور فقهاء الأمصار.. لما قلناه، من وقوع الإجماع على أن من شرط الشهادة العدالة، ومن شرط العدالة البلوغ.. ولذلك، ليست في الحقيقة شهادة عند مالك، وإنما هي قرينة حال..»(1).

بيعة الرضوان:

وقالوا:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخذ البيعة من الحسنين «عليهما السلام» في بيعة الرضوان، فقد:

1 ـ رووا عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: «لم يبايع النبي

---

(1) بداية المجتهد ج2 ص457.

«صلى الله عليه وآله» من لم يحتلم إلا الحسن والحسين، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عباس «رضي الله عنهم».

قال: ولم يبايع صغيراً إلا منا»[1].

وفي بعض المصادر، لم يذكر ابن عباس[2].

ونقول:

إن إضافة ابن عباس، وعبد الله بن جعفر لا تصح، أو هي موضع ريب شديد، تماماً كما هو حال قول بعضهم: إنه «صلى الله عليه وآله» بايع عبد الله بن الزبير، وهو ابن سبع[3].

وسيأتي الكلام حول هذا وذاك عن قريب، إن شاء الله تعالى.

---

(1) جواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص275 وجمل أنساب الأشراف ج4 ص49 والمعجم الكبير للطبراني ج3 ص115 وتاريخ مدينة دمشق ج14 ص182 وتهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران ج4 ص322 و 323 ومختصر تاريخ دمشق ج7 ص129 والبداية والنهاية ج8 ص207 ومناهل الضرب ص150 و 50 و 51. وراجع: ينابيع المودة ص375 و (ط أخرى) ج3 ص150 عن فصل الخطاب لمحمد پارسا البخاري، عن النووي فيما يبدو، وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ص150 وحياة الصحابة ج1 ص250 ومجمع الزوائد ج6 ص40 و 46 وعن المعجم الكبير للطبراني، وقال: هو مرسل، ورجاله ثقات. وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج20 ص624 و 649.

(2) العقد الفريد ج4 ص384.

(3) التراتيب الإدارية ج1 ص222 عن القرطبي، والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج9 ص41.

2 ـ في احتجاج المأمون على بني العباس، حين أراد تزويج ابنته من الإمام الجواد «عليه السلام» قال المأمون:

«أما علمتم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، وهو ابن عشر سنين.

وقبل منه الإسلام، وحكم له به، ولم يدعُ أحداً في سنِّه غيره؟!

وبايع الحسن والحسين «عليهما السلام» وهما دون الست سنين، ولم يبايع صبياً غيرهما؟!

أولا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم، وأنهم ذرية بعضها من بعض، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟! الخ..»[1].

---

(1) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج20 ص630 ـ 631 و 640 و 628 ـ 629 وتحف العقول ص332 ـ 334 و (ط أخرى) ص451 ـ 453 والإرشاد للمفيد ج2 ص269 و (ط أخرى) ص359 ـ 363 وكشف الغمة ج2 ص353 ـ 358 وج3 ص144 وروضة الواعظين ج1 ص238 ـ 241 والإحتجاج ج2 ص240 ـ 245 وبحار الأنوار ج50 ص74 ـ 79 وج10 ص384 وشرح الشافية لابن أمير الحاج ص557 ـ 563 وراجع: تفسير القمي ج1 ص184 و 185 و (ط بيروت) ج1 ص189 ـ 192 وراجع: الإتحاف بحب الأشراف ص171 ـ 172 والإختصاص ص98 ـ 101 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص381 وجلاء العيون ج3 ص108 والصواعق المحرقة ص204 ونور الأبصار ص161 ودلائل الإمامة ص206 ـ 208 وإعلام الورى ص351 فما بعدها، والإمام محمد الجواد، لمحمد علي دخيل ص37 ـ 41 وأعيان الشيعة ج2 ص33 ـ 34 والفصول المهمة لابن الصباغ ص253 ـ 256.

3 ـ قال الشيخ المفيد: «وكان من برهان كمالهما «عليهما السلام»، وحجة اختصاص الله تعالى لهما ـ بعد الذي ذكرناه من مباهلة النبي «صلى الله عليه وآله» بهما ـ بيعة رسول الله لهما، ولم يبايع صبياً في ظاهر الحال غيرهما.

ونزول القرآن بإيجاب ثواب الجنة لهما على عملهما، مع ظاهر الطفولية فيهما، ولم ينزل بذلك في مثلهما»(1).

4 ـ قال ابن شهرآشوب: ومن برهانهما بيعة رسول الله لهما، ولم يبايع صغيراً غيرهما.. ونزول القرآن بإيجاب ثواب الجنة عن عملهما، مع ظاهر الطفولية منهما قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ**﴾(2) الآيات، فعمهما بهذا القول مع أبويهما(3).

ونقول:

هنا أمور يحسن لفت النظر إليها، وهي التالية:

ابن الزبير لم يبايع صغيراً:

جاء في بعض المصادر:

أن عبد الله بن الزبير أيضاً بايع النبي «صلى الله عليه وآله» وكان عبد الله

---

(1) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج20 ص648 عن مناهل الضرب ص381 والإرشاد للمفيد ج2 ص30 وفدك للقزويني ص16 والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص177 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص155.

(2) الآية 8 فما بعدها، من سورة هل أتى.

(3) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص142 وبحار الأنوار ج43 ص278.

ابن سبع سنين[1].

وهذا غير صحيح، لما يلي:

أولاً: إن الرواية المتقدمة برقم [1] عن الإمام الصادق «عليه السلام» تقول: «ولم يبايع صغيراً إلا منا»، وهي مروية بطرق أهل السنَّة.. وقد تقدمت مصادرها..

ومن المعلوم: أن ابن الزبير لم يكن من أهل البيت، ولم يكن هاشمياً.

ثانياً: إن المأمون العباسي يقول للعباسيين عن الحسنين «عليهما السلام»: «ولم يبايع صبياً غيرهما» وقد تقدمت مصادر ذلك في النص رقم [2].

ثالثاً: وقال الشيخ المفيد أيضاً: «ولم يبايع صبياً في ظاهر الحال غيرهما».

وقد تقدم هذا النص مع مصادره، برقم [3].

وقال ابن شهرآشوب المازندراني: «ولم يبايع صغيراً غيرهما»[2].

رابعاً: إن عُمْر ابن الزبير في بيعة الرضوان كان ست سنوات، لأنه ولد عام الهجرة.. فلماذا زادوها سنة، وقالوا: كان عمره سبعاً؟!

ابن جعفر، وابن عباس:

وقد ذكرت الرواية التي رواها أهل السنة، عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن عبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر قد بايعا أيضاً صغيرين.

ونقول:

---

(1) بداية المجتهد ج2 ص457.

(2) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص142 وبحار الأنوار ج43 ص278.

إن ذلك لا يصح:

أولاً: إن المأمون كان عباسياً.. وكان يهمه أن يثبت أمثال هذه الفضائل لجده عبد الله بن العباس، وكذلك الأمر بالنسبة لسائر العباسيين..

ولكننا رأينا المأمون نفسه ينفي أن يكون هناك أي صبي غير الحسن والحسين «عليهما السلام» قد بايع النبي «صلى الله عليه وآله»..

وقد ذكر ذلك محتجاً به على العباسيين، ولم نجد أحداً منهم يعترض أو يناقش في هذا الأمر، أو يثير أي سؤال أو شبهة حوله.

ثانياً: قلنا آنفاً: أن الشيخ المفيد، وابن شهرآشوب وغيرهما ذكروا: أنه «صلى الله وعليه وآله» لم يبايع صغيراً (في ظاهر الحال)، أو صبياً غير الحسن والحسين «عليهما السلام».. وكلامهم هذا يشمل: ابن جعفر، وابن عباس على حد سواء.

هل التكليف منوط بالتمييز؟!:

وقد يدور بخلد البعض: أن التكليف في عام الحديبية، وبيعة الشجرة كان منوطاً بالتمييز.. وزعموا: أن هذا لا يدل على امتياز ذي شأن للحسنين «عليهما السلام»، لأن غاية ما يدل عليه: أنهما قد بلغا درجة التمييز في وقت مبكر، فتبع ذلك صيرورتهما مكلفين.

ونجيب:

أولاً: إذا صح هذا، فلماذا لم يحصل هذا التمييز المبكر لغير الحسنين «عليهما السلام»؟! علماً بأن عمر الإمام الحسن «عليه السلام» حين بيعة الرضوان في الحديبية التي كانت سنة ست للهجرة كان ثلاث سنوات.. وعمر الحسين

«عليه السلام» كان سنتين.

فكيف لم نجد أحداً غيرهما بايع النبي «صلى الله عليه وآله» وهو في عمر يقلّ عن خمس عشرة سنة؟!

أم يعقل أنه لم يكن في المسلمين من يقلّ عمره عن خمس عشرة سنة غير الحسن والحسين «عليهما السلام»؟!

أو أنهم كانوا موجودين، لكن لم يكن فيهم مميز سواهما؟!

ثانياً: إن حصول التمييز المبرر لأخذ البيعة ممن هو بعمر سنتين، أو ثلاث مما لم نعهد حدوثه لأحد..

والتمييز مراتب ودرجات، فهناك تمييز يؤهل للقيام ببعض الأمور دون بعض، كما لو أوكل إليه أن يأتي بالحاجات، ويتصرف فيها تنظيماً، أو يحدث فيها أثراً يطلب منه تولي إحداثه.

ولكنه يبقى قاصراً عما هو أكثر من ذلك.. فهو لا يستطيع أن يتولى مثلاً حفظ وضبط حركة مجموعة صغيرة من الناس، أو إدارة مدرسة، فكيف إذا كان المطلوب منه أن يفي بتعهداته في البيعة، مثل دفع الأعداء، وحفظ مصالح الأمة، والالتزام مثلاً بمقتضيات البيعة في مختلف الأدوار والحالات؟!

ثالثاً: لو لم يكن هذا التمييز المبكر بهذا المستوى الرفيع أمراً ذا شأن عظيم، لوجب أن لا يكون لنبي الله يحيى «عليه السلام» الذي آتاه الله الحكم صبياً فضل وامتياز بهذا الأمر.. لأن هذا الحكم الذي هو من شرع الله لا يعرف إلا بالتوقيف عليه، والتعريف به، والبيان له من قِبَلِه تعالى.. وله مساس بحياة الناس، وأمنهم وسعادتهم، وضبط أمورهم.

كما أن إنكار أهمية هذا التمييز يفتح الباب أمام إنكار فضل عيسى حين تكلم في المهد صبياً، وأعلن للناس: أن الله آتاه الكتاب وجعله نبياً..

ثم إنكار فضل النبي «صلى الله عليه وآله» على سائر الناس، حين تكلم بذكر الله حين ولادته.. وإنكار فضل فاطمة «عليه السلام» حين كانت تحدِّث أمها، وهي في بطنها.

وهكذا الحال بالنسبة لسائر الأئمة الطاهرين «عليهم السلام».

رابعاً: إن ادِّعاء إناطة التكليف بالتمييز حين بيعة الرضوان في الحديبية لا يصح، لأنهم يقولون: إن إناطة التكليف بالتمييز قد انتهت يوم الخندق، وأنيط التكليف بالسن من يومئذ في قصة مشاركة ابن عمر في تلك الغزوة(1).

---

(1) راجع: صحيح البخاري ج3 ص20 وج2 ص69 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق 2 ص29 و 33 وجوامع السيرة النبوية ص148 وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص205 و 244 وفتح الباري ج7 ص302 وشرح صحيح مسلم للنووي (مطبوع بهامش إرشاد الساري) ج8 ص64 والسيرة النبوية لابن كثير ج3 ص181 والبداية والنهاية ج4 ص94 وتاريخ الخميس ج1 ص480 و 481 والمواهب اللدنية ج1 ص110 والطبقات الكبرى لابن سعد ج4 ص105 وأنساب الأشراف ج1 ص343 و 344 بإضافة كلمة: «وأشف منها». والمغازي للواقدي ج2 ص453 والمصنف للصنعاني ج5 ص310 و 311 ومسند أحمد بن حنبل ج2 ص17 وصحيح مسلم ج6 ص30 وسنن ابن ماجة ج2 ص850 والسيرة الحلبية ج2 ص329 و 315 وسبل الهدى والرشاد ج4 ص561 ودلائل النبوة للبيهقي ج3 ص396 والجامع الصحيح للترمذي، كتاب الأحكام، باب ما جاء في حد بلوغ الرجل والمرأة ج3 ص632 و 633 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13

وغزوة الخندق كانت في السنة الرابعة[1]، أو في السنة الخامسة للهجرة[2].

ص241 و 242 والغدير ج10 ص4 عن البخاري، وفتح الباري، وعن عيون الأثر ج2 ص6 و 7 وعن تاريخ الطبري ج2 ص296.

(1) راجع المصادر التالية، فإنها قد ذكرت هذا القول: عنوان المعارف في ذكر الخلائف ص12 وجوامع السيرة النبوية ص148 وقال: الثابت أنها في الرابعة بلا شك. والمحبر ص113 وصحيح البخاري ج3 ص20 وفتح الباري ج7 ص302 والبداية والنهاية ج4 ص93 والسيرة النبوية لابن كثير ج3 ص180 وإعلام الورى ص90 وتاريخ ابن الوردي ج1 ص160 وشرح صحيح مسلم للنووي (بهامش إرشاد الساري) ج8 ص64 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص29 و 33 وتاريخ الخميس ج1 ص480 والمواهب اللدنية ج1 ص110 وتاريخ مختصر الدول ص95 ووفاء الوفاء ج1 ص300 وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص205 و 244 عن ابن عقبة، عن ابن شهاب، وعروة عن ابن عقبة، والنووي. وشذرات الذهب ج1 ص11 عن النووي. وراجع: الجامع للقيرواني ص279 و 281 عن مالك، وسيرة مغلطاي ص56 وبهجة المحافل ج1 ص262 وعيون الأثر ج2 هامش ص55 ودلائل النبوة للبيهقي ج3 ص393 و 395 و 400 و 394 ومجمع الزوائد ج9 ص345 وتهذيب الكمال ج10 ص31 ومناقب آل أبي طالب ج4 ص76 ومرآة الجنان ج1 ص9 والسيرة النبوية لدحلان ج2 ص2 والسيرة الحلبية ج2 ص328 وراجع: إمتاع الأسماع ج1 ص216 وسبل الهدى والرشاد ج4 ص561 وحدائق الأنوار ج1 ص52 متناً وهامشاً، عن الدرر في اختصار المغازي، والسير للقرطبي ص179 وذهب إليه العاقولي في الرصف ج1 ص60.

(2) لكي تجد القول بأن هذه الغزوة كانت في السنة الخامسة، إما بصورة قول تبناه المؤلف، أو يذكره بلفظ قيل.. راجع المصادر التالية: المغازي للواقدي ج2 ص440 و 441 وتاريخ ابن الوردي ج1 ص160 والسيرة النبوية لابن هشام ج3 ص224

وقد رجحنا: أنها كانت في السنة الرابعة، استناداً إلى بعض القرائن،

و 241 والإكتفاء للكلاعي ج2 ص158 ودلائل النبوة للبيهقي ج3 ص395 والبدء والتاريخ ج4 ص217 وصححه، وشذرات الذهب ج1 ص11 ومختصر التاريخ ص42 والمختصر في أخبار البشر ج1 ص134 وعيون الأثر ج2 ص55 و 64 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص50 والكامل في التاريخ ج2 ص178 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص233 وتهذيب سيرة ابن هشام ص188 و 195 وتفسير القمي ج2 ص176 وبحار الأنوار ج20 ص216 و 208 عنه، ونقله في ص271 عن إعلام الورى، لكن الموجود في إعلام الورى: أنها في الرابعة. والمحبر ص113 ومروج الذهب ج2 ص219 والثقات لابن حبان ج1 ص264 ووفاء الوفاء ج1 ص300 وحبيب السير ج1 ص359 وشرح بهجة المحافل ج1 ص262 وبهجة المحافل ج1 ص262 بلفظ: قيل. وإمتاع الأسماع ج1 ص216 والجامع للقيرواني ص279 و 281 والتنبيه والإشراف ص115 وأنساب الأشراف ج1 ص343 ومجمع البيان ج8 ص208 ونهاية الأرب ج17 ص166 وراجع: فتح الباري ج7 ص302 عن ابن إسحاق، والسيرة النبوية لدحلان ج2 ص2 وسبل الهدى والرشاد ج4 ص561 ونسبه إلى الجمهور.

وراجع: البداية والنهاية ج4 ص93 و 94 والسيرة النبوية لابن كثير ج3 ص180 و 181 وتاريخ الخميس ج1 ص479 و 480 عن ابن إسحاق، وفتوح البلدان ج1 ص23 وصفة الصفوة ج1 ص455 ـ 459 والطبقات الكبرى لابن سعد ج2 ق 2 ص47 وج4 ق 1 ص60 والمصنف للصنعاني ج5 ص367 وسيرة مغلطاي ص56 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج2 ق2 ص29 والسيرة الحلبية ج2 ص328 والمواهب اللدنية ج1 ص110 والرصف ج1 ص60 بلفظ قيل. وراجع: جوامع السيرة النبوية ص148 وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص205 وسير أعلام النبلاء ج1 ص289 و 290.

فراجع(1).

خامساً: ذكروا: أن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» بعد انتهاء حرب الجمل التي فيها كان قد أخذ مروان بن الحكم في جملة من أخذهم.. فكلَّم الحسنان «عليهما السلام» أباهما في مروان، وطلبا منه أن يرضى بأن يبايعه.

فقال «عليه السلام»: «أولم يبايعني بعد قتل عثمان؟! لا حاجة لي في بيعته. إنها كف يهودية، لو بايعني بيده [عشرين مرة] لنكث [باسته] بسبته»(2).

وهذا يشير إلى أن قبول البيعة لا يستند إلى مجرد التمييز، ولا يكفي ذلك فيه، كما لا يكفي بلوغ سن التكليف.. بل لا بد من إحراز: أن المبايع من أهل الوفاء بتعهداته.

ولا بد من ملاحظة طبيعة المسؤوليات والقدرات، وما هو المطلوب، وما يتوخى من البيعة له، وصحة نية المبايع في ذلك، فكل ذلك له دوره وتأثيره في قبول البيعة.

---

(1) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج8 ص8.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص123 و 124 الخطبة رقم 73 وراجع: الخرائج والجرائح ج1 ص197 ح35 والجمل لابن شدقم ص149 وبحار الأنوار ج32 ص229 و 230 و 235 و 355 وج41 ص298 و 355 وشجرة طوبى ج1 ص130 والغدير ج8 ص261 ونهج السعادة ج1 ص336 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص146 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص36 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص169 عن ربيع الأبرار (مخطوط) ص615 واختيار مصباح السالكين لابن ميثم ص181 وتذكرة الخواص ص390 وإعلام الورى ج1 ص340.

ويدل على أن المطلوب هو إمكان حصول الوفاء من المبايع في قبول البيعة منه في جملة من أخذهم: أن كثيرين قد بايعوا ثم نكثوا.. كما هو الحال في بيعة الصحابة يوم غدير خم لعلي «عليه السلام».

كما أن مسلم بن عقيل قد أخذ البيعة من أهل الكوفة للحسين بن علي «عليهما السلام»، ثم نكثوا.. بل لقد شاركوا في حرب وقتل الحسين «عليه السلام»، هو وأصحابه يوم عاشوراء.

ويشهد لذلك أيضاً: أن المبايع قد يتدخل في طبيعة المهمات أو التعهدات التي يعطيها، ويبايع عليها، فيرفض بعضها، ويقبل ما عداه.

وقد ذكروا: أن بعضهم حاول أن يشترط على أمير المؤمنين حين بويع «عليه السلام» بعد قتل عثمان: أن يبايعه على العمل بكتاب الله وسنة رسوله «صلى الله عليه وآله»، وسنة الشيخين، فلم يرض «عليه السلام» أن يبايعه على سنة الشيخين[1].

وحين بويع النبي «صلى الله عليه وآله» بيعة العقبة التي كانت في مكة

(1) راجع: بحار الأنوار ج31 ص368 ـ 369 و 371 و 372 و 399 وأمالي الطوسي ج2 ص166 و 168 و 169 و 170 و 320 وشرح نهج البلاغة ج1 ص187 و 188 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص162. وراجع: مسند أحمد ج1 ص75 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص238 والصواعق المحرقة ص106 والتمهيد للباقلاني ص209 وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص114 وفتح الباري ج13 ص197 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص334 وكتاب الأربعين للشيرازي ص570 والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص715.

قبل الهجرة إلى المدينة، لم تتضمن بيعتهم بعض الشروط التي أخذت عليهم في بيعة الشجرة في الحديبية. فلذلك سميت بيعة العقبة ببيعة النساء.

حقيقة البيعة:

والبيعة هي تعهد والتزام أمام الحاكم بالدلالات القولية والجوارحية، بالقيام بمهام، أو تحمل مسؤوليات معينة يريدها الحاكم من المبايعين. وكانت البيعة للنبي وللإمام التزاماً بالطاعة له في كل ما يرتبط بالدعوة، والحفظ، والتأييد للدين، والدفاع عن أهله، والكون مع أهله وحماته، في المنشط والمكره، مهما كلَّف المبايع ذلك من تضحيات، أو عرَّضه لأخطار..

وهذا يعطي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أخذ البيعة من الحسنين «عليهما السلام» كان يرى أنهما قادران على الوفاء بالبيعة، والعمل بما تفرضه وتقتضيه، بالرغم من صغر سنهما، حيث لم يتجاوز السنتين والثلاث.

كما أن ذلك يدل على أنهما على معرفة تامة بمعنى البيعة، وما توجبه عليهما، وعلى أنهما مصممان على الوفاء بها.

الفصل الثانـي:

حديث المباهلة: نصوص وآثار..

بداية:

إن حديث المباهلة بين النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام» من جهة، وبين وفد نصارى نجران من جهة أخرى بالغ الأهمية في دلالاته، وسائر خصوصياته حتى لقد خلَّد القرآن الكريم هذه الحادثة حين قال:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾[1].

ونحن في هذا الفصل نذكر طائفة من النصوص التي عرضت هذا الحدث، أو تعرضت لبعض تفاصيله، ونشير إلى طائفة من المصادر التي أوردتها، بإسهاب، أو بإيجاز.

وحيث إن الغرض هو مجرد عرض النصوص كما وردت في مصادرها،

---

(1) الآيات 59 ـ 63 من سورة آل عمران.

فقد آثرنا الاكتفاء بإيرادها وفق ما جاء في كتابنا سيرة الحسين «عليه السلام» الجزء الرابع، وهي كما يلي:

من روايات حديث المباهلة:

قال ابن اسحاق: قدم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وفد نصارى نجران، ستون راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، منهم: العاقب هو والسيد، وأبو حارثة بن علقمة، وأوس، والحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، ويحنس.

منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب أمير القوم، وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه. واسمه عبد المسيح.

والسيد ثمالهم، وصاحب رحلهم، ومجتمعهم، واسمه الأيهم.

وأبو حارثة بن علقمة، أحد بني بكر بن وائل أسقفهم، وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدراسهم، وكان أبو حارثة قد شرف فيهم، ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه، ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونها من حبرة، وتختموا بالذهب.

وفي لفظ: دخلوا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مسجده [في المدينة] حين صلى العصر، عليهم ثياب الحِبرات: جبب وأردية، في جمال رجال بني الحارث بن كعب.

فقال بعض من رآهم من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» يومئذ: ما رأينا وفدا مثلهم. وقد حانت صلاتهم. فقاموا في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلون نحو المشرق (فأراد الناس منعهم).

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «دعوهم».

ثم أتوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب.

فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وكانوا يعرفونهما، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا لهما: يا عثمان، ويا عبد الرحمن، إن نبيكما كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما؟ أنعود إليه، أم نرجع إلى بلادنا؟!

فقالا لعلي بن أبي طالب «عليه السلام» وهو في القوم: ما الرأي في هؤلاء القوم يا أبا الحسن؟!

فقال لهما: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودوا إليه.

ففعل وفد نجران ذلك ورجعوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسلموا عليه فرد عليهم سلامهم، ثم قال: «والذي بعثني بالحق، لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم»(1).

---

(1) سبل الهدى والرشاد ج6 ص416 و 417 والمواهب اللدنية وشرحه للزرقاني

وفد نجران يحاور رسول الله ’:

وعن ابن عباس، والأزرق بن قيس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» دعا وفد نجران إلى الإسلام، فقال العاقب، عبد المسيح، والسيد أبو حارثة بن علقمة: قد أسلمنا يا محمد.

فقال: «إنكما لم تسلما».

قالا: بلى، وقد أسلمنا قبلك.

قال: «كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاث فيكما: عبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير، وزعمكما أن لله ولداً».

ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى ابن مريم؟! فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبياً أن نعلم قولك فيه.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقول الله في عيسى»[1].

ج5 ص187 و 188 وبحار الأنوار ج21 ص337 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص378 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج5 ص65 وإمتاع الأسماع ج14 ص69 وإعلام الورى ج1 ص255 والسيرة النبوية لابن كثير ج4 ص103 ومكاتيب الرسول ج2 ص495.

(1) سبل الهدى والرشاد ج6 ص417 عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم، وابن سعد، وعبد بن حميد، وتفسير القرآن العظيم ج1 ص378 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج5 ص65 والسيرة النبوية لابن كثير ج4

وعن عبد الله بن الحارث بن جَزْء الزبيدي: أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «ثبت (ليت) بيني وبين أهل نجران حِجاب، فلا أراهم ولا يروني»، من شدة ما كانوا يمارون رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1]. انتهى.

وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، وابن سعد عن الأزرق بن قيس، وابن جرير عن السدي، وابن جرير، وابن المنذر عن أبي جريج: أن نصارى نجران قالوا: يا محمد، فيم تشتم صاحبنا؟!

قال: «من صاحبكم»؟!

قالوا: عيسى بن مريم، تزعم أنه عبد.

قال: «أجل، إنه عبد الله وروحه وكلمته، ألقاها إلى مريم، وروح منه».

فغضبوا وقالوا: لا، ولكنه هو الله نزل من ملكه، فدخل في جوف مريم، ثم خرج منها، فأرانا قدرته وأمره، فهل رأيت قط إنساناً خلق من غير أب؟!

فأنزل الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾[2].

ص103 وغاية المرام ج3 ص215 وراجع: بحار الأنوار ج21 ص286 وج35 ص263 وتفسير الميزان ج3 ص234.

(1) سبل الهدى والرشاد ج6 ص417 عن ابن جرير، وجامع البيان للطبري ج3 ص405 والمحرر الوجيز للأندلسي ج1 ص447 والدر المنثور ج2 ص38 وتفسير الآلوسي ج3 ص194 وراجع: مجمع الزوائد ج1 ص155 وفتوح مصر وأخبارها ص511.

(2) الآية 17 من سورة المائدة.

وأنزل تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهَ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(1).

فلما أصبحوا عادوا إليه، فقرأ عليهم الآيات، فأبوا أن يقروا. فأمر تعالى نبيه الكريم «صلى الله عليه وآله» بمباهلتهم، فقال سبحانه وتعالى:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ الله عَلَى الْكَاذِبِينَ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ وَإِنَّ اللهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾(2). فرضوا بمباهلته «صلى الله عليه وآله»..

فلما رجعوا إلى منازلهم قال رؤساؤهم: السيد، والعاقب، والأهتم: إن باهلنا بقومه باهلناه؛ فإنه ليس نبياً، وإن باهلنا بأهل بيته خاصة لم نباهله، فإنه لا يقدم على أهل بيته إلا وهو صادق.

وعن جابر، وابن عباس، وقتادة، وسلمة بن عبد يسوع، عن أبيه عن جده، وعن حذيفة، والأزرق بن قيس، والشعبي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما نزلت هذه الآيات دعا وفد نجران إلى المباهلة، فقال: «إن الله تعالى أمرني إن لم تقبلوا هذا أن أباهلكم».

فقالوا: يا أبا القاسم، بل نرجع فننظر في أمرنا.

وفي حديث آخر فقالوا: أخرنا ثلاثة أيام، فخلا بعضهم إلى بعض وتصادقوا.

---

(1) الآيتان 59 و 60 من سورة آل عمران.

(2) الآيات 61 ـ 63 من سورة آل عمران.

فقال السيد العاقب: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولئن لاعنتموه ليخسفن بأحد الفريقين، إنه لَلْإستئصال لكم، وما لاعن قوم قط نبياً فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم.

وفي رواية: فقال شرحبيل: لئن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فلاعنَّاه لا يبقى على وجه الأرض منا شعر ولا ظفر إلا هلك.

وفي رواية: لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا.

قالوا: فما الرأي يا أبا مريم؟!

فقال: رأيي أن أُحَكِّمَه، فإني أرى رجلاً لا يحكم شططاً أبداً.

فقال السيد: فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل، ثم انصرفوا إلى بلادكم.

فلما انقضت المدة أقبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مشتملاً(1) على الحسن والحسين في خميلة له، وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذٍ عدة نسوة. فقال «صلى الله عليه وآله»: «إن أنا دعوت فأمنوا أنتم»(2).

---

(1) لم تذكر هذه الرواية علياً «عليه السلام». ولعله هو النص المروي عن الشعبي، الذي ينكر حضور علي «عليه السلام»، كما سنرى.

(2) سبل الهدى والرشاد ج6 ص419 عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم في الدلائل، والبيهقي، وأبي الشيخ، والترمذي، والنسائي، وابن سعد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور. وراجع: المواهب اللدنية وشرحه للزرقاني ج5 ص187 ـ 190 والشفا لعياض ج2 ص48 وبحار الأنوار ج35 ص264 والدر المنثور ج2 ص39 وتفسير الآلوسي ج3 ص188 وشرح إحقاق الحق

وعن سعد بن أبي وقاص، عن علي بن أحمر قالا: لما نزلت آية المباهلة دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً وفاطمة، وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»[1]. انتهى.

فتلقى شرحبيل رسول الله «صلى الله عليه وآله» فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك.

فقال: «وما هو»؟!

فقال: حكمك اليوم إلى الليل، وليلتك إلى الصباح، فما حكمت فينا فهو جائز. وأبوا أن يلاعنوه.

وعن ابن عباس قال: لو باهل أهل نجران رسول الله «صلى الله عليه وآله» لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً[2].

(الملحقات) ج9 ص79 ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص90.

(1) سبل الهدى والرشاد ج6 ص419 عن مسلم، والترمذي، وابن المنذر، والحاكم في السنن، وفي هامشه عن: الحاكم ج4 (1871)، وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج5 ص190 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص66 والعمدة لابن البطريق ص132 و 188 والطرائف لابن طاووس ص45 وص129 والصراط المستقيم للعاملي ج1 ص186 وبحار الأنوار ج37 ص265 و 270.

(2) سبل الهدى والرشاد ج6 ص419 عن عبد الرزاق، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر. ومجمع البيان للطبرسي ج1 ص310 والدر المنثور للسيوطي ج2 ص39 وراجع: بحار الأنوار ج17 ص169 ومسند أحمد ج1 ص248 ومجمع الزوائد ج8 ص228 وفتح الباري ج8 ص557 والسنن الكبرى للنسائي ج6 ص308 ومسند أبي يعلى ج4 ص472 وتفسير القرآن للصنعاني

وروي عن الشعبي مرسلاً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «لقد أراني البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير على الشجر، لو تموا على الملاعنة».

وروي عن قتادة مرسلاً: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن كان العذاب لقد نزل على أهل نجران، أن لو فعلوا لاستؤصلوا من الأرض»[1].

ولما غدا إليهم أخذ بيد حسن وحسين، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمِّنوا».

فقال أسقفهم: إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله. فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة. والله، لقد عرفتم نبوته، ولقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم، أي عيسى. فوالله، ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فإن أبيتم إلا دينكم فوادعوا الرجل، وانصرفوا.

فقالوا: يا أبا القاسم لا نلاعنك.

فقال: «فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم». فأبوا.

قال: «فإني أناجزكم».

فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك.

فصالحهم، وقال: «والذي نفسي بيده، إن العذاب تدلى على أهل نجران،

ج1 ص52 وجامع البيان للطبري ج1 ص597 وج3 ص409.

(1) سبل الهدى والرشاد ج6 ص419 والدر المنثور للسيوطي ج2 ص39.

ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر»[1].

وفي بعض النصوص أنهم قالوا له: لم لا تباهلنا بأهل الكرامة والكبر، وأهل الشارة ممن آمن بك واتبعك؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: «أجل، أباهلكم بهؤلاء خير أهل الأرض، وأفضل الخلق».

ثم تذكر الرواية قول الأسقف لأصحابه: «أرى وجوهاً لو سأل الله بها أحد أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله..

إلى أن قال:

أفلا ترون الشمس قد تغير لونها، والأفق تنجع فيه السحب الداكنة، والريح تهب هائجة سوداء، حمراء، وهذه الجبال يتصاعد منها الدخان؟! لقد أطلَّ علينا العذاب! انظروا إلى الطير وهي تقيء حواصلها، وإلى الشجر

---

(1) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ج5 ص190 عن ابن أبي شيبة، وأبي نعيم وغيرهما، وراجع: المحرر الوجيز للأندلسي ج1 ص448 وتخريج الأحاديث والآثار ج1 ص185 و 186 وتفسير البغوي ج1 ص310 والتفسير الكبير ج8 ص85 وتفسير أبي السعود ج2 ص46 ومناقب آل أبي طالب (ط المطبعة الحيدرية) ج3 ص144 والعمدة لابن البطريق ص190 والطرائف لابن طاووس ص42 وبحار الأنوار ج21 ص281 وج35 ص258 وكتاب الأربعين للماحوزي ص303 وشجرة طوبى ج2 ص425 وتحفة الأحوذي ج8 ص279 وتفسير جوامع الجامع ج1 ص294 وخصائص الوحي المبين ص126 و 127 وتفسير الميزان ج3 ص231 ومطالب السؤول ص38.

كيف يتساقط أوراقها، وإلى هذه الأرض ترجف تحت أقدامنا»[1].

---

(1) راجع: تفسير القمي ج1 ص104 وحياة الإمام الحسن «عليه السلام» للقرشي ج1 ص49 ـ 51 وقد روى قضية المباهلة بأهل الكساء بالاختصار تارة، وبالتفصيل أخرى جم غفير من الحفاظ والمفسرين.

ونذكر على سبيل المثال منهم هنا: تفسير العياشي ج1 ص176 و 177 ومجمع البيان ج2 ص452 و 453 وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج1 ص370 و 371 وتفسير جامع البيان للطبري ج3 ص211 و 213 و 212 وتفسير النيسابوري (بهامش جامع البيان) ج3 ص213 و 214 وتفسير الرازي ج8 ص80 وبعد ذكره حديث عائشة في المباهلة بأهل البيت «عليهم السلام»، وأنه «صلى الله عليه وآله» جعل حينئذٍ الجميع تحت المرط الأسود، حيث قرأ آية التطهير قال الرازي: «وهذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث».

وراجع: التفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ج8 ص108 عن التاج الجامع للأصول ج3 ص396 عن مسلم والترمذي، والكشاف للزمخشري ج1 ص368 ـ 370 والإرشاد للمفيد (ط دار المفيد) ص166 والصواعق المحرقة ص153 و 154 وأسباب النزول للواحدي ص58 و 59 وصحيح مسلم ج7 ص120 و 121 والبداية والنهاية ج5 ص54 وحياة الصحابة ج2 ص492 وج1 ص130 و 121 وصحيح الترمذي ج5 ص638 و 22 وينابيع المودة ص52 و 232 وعن ص479 ودلائل النبوة لأبي نعيم ص298 و 299 وحقائق التأويل للشريف الرضي «رحمه الله» ص110 و 112 وفرائد السمطين ج1 ص378 وج2 ص23 و 24 وشواهد التنزيل ج1 ص126 و 127 و 124 و 123 وج2 ص20 والمسترشد في الإمامة ص60 وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي ط1) ج1 ص206 و (ط2) ص225 والمناقب للخوارزمي ص59 و 60 وكشف الغمة ج1 ص232 و 233 والإصابة ج2

ص503 و 509 ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص50 وتفسير فرات ص15 و 14 و 16 و 117 وأمالي الشيخ الطوسي ج2 ص172 وج1 ص265 والجوهرة في نسب علي وآله «عليهم السلام» ص69 وذخائر العقبى ص25 وروضة الواعظين ص164 وما نزل من القرآن في أهل البيت لابن الحكم ص50 والفصول المهمة لابن الصباغ ص110 و 5 و 7 ومستدرك الحاكم ج3 ص150 وأُسد الغابة ج4 ص26 وسنن البيهقي ج7 ص63 ومسند أحمد ج1 ص185 ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص263 وفي هامشه عن نزول القرآن لأبي نعيم (مخطوط) والدر المنثور ج2 ص38 ـ 40 عن بعض من تقدم، وعن البيهقي في الدلائل، وابن مردويه، وابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

وراجع: البرهان (تفسير) ج1 ص286 ـ 290 عن بعض من تقدم، وعن موفق بن أحمد، في كتاب فضائل الإمام علي، والإختصاص، وعن الصدوق، وعن الثعلبي، عن مقاتل، والكلبي، وفي الميزان (تفسير) ج2 ص228 ـ 235 عن كثير ممن تقدم، وعن عيون أخبار الرضا، وإعلام الورى ص79 والخرائج والجرائح، وحلية الأولياء، والطيالسي.

وهو أيضاً في: فتح القدير ج1 ص347 و 348 والتبيان في تفسير القرآن ج2 ص485 ونور الثقلين ج1 ص288 ـ 290 عن بعض من تقدم، وعن الخصال، وروضة الكافي وغيرهما، وعن نور الأبصار ص111 وعن المنتقى باب 38 وفي تفسير الميزان ج3 ص235 وقال ابن طاووس في كتاب سعد السعود ص91: رأيت في كتاب تفسير ما نزل في القرآن في النبي وأهل بيته، تأليف محمد بن العباس بن مروان: أنه روى خبر المباهلة من أحد وخمسين طريقاً عمن سماه من الصحابة وغيرهم، وعد منهم: الحسن بن علي «عليهما السلام» وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وبكر بن سمال، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف،

وعبد الله بن عباس، وأبا رافع مولى النبي، وجابر بن عبد الله، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك» انتهى.

وروي ذلك أيضاً عن: علي «عليه السلام»، وأم سلمة، وعائشة، وأبي سعيد الخدري، وعمرو بن سعيد بن معاذ، وحذيفة بن اليمان، (وزاد ابن طاووس نقلاً عن الحجام) أبا الطفيل عامر بن واثلة، وجرير بن عبد الله السجستاني، وأبا قيس المدني، وأبا إدريس، ومحمد بن المنكدر، وعلي بن الحسين، وأبا جعفر محمد بن علي بن الحسين، وأبا عبد الله جعفر بن محمد، والحسن البصري، وقتادة، وعلباء بن الأحمر، وعامر بن شراحيل الشعبي، ويحيى بن نعمان، ومجاهد، وشهر بن حوشب.

وأضاف ابن شهرآشوب في مناقبه ج3 ص368 ـ 369 و 370: أبا الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس، وابن البيع في معرفة علوم الحديث، وأحمد في الفضائل، وابن بطة في الإبانة، والأشفهي في اعتقاد أهل السنة، والخركوشي في شرف النبي، ومحمد بن إسحاق، وقتيبة بن سعيد، والقاضي أبا يوسف، والقاضي المعتمد أبا العباس، وأبا الفرج الأصبهاني في الأغاني، عن كثيرين، وهامش حقائق التأويل ص110 عن بعض من تقدم، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص165 والكامل لابن الأثير ج2 ص392 وعن كنز العمال ج6 ص407 وعن تفسير الخازن، وعن تفسير البغوي بهامشه.

وثمة مصادر كثيرة أخرى ذكرها في مكاتيب الرسول ج2 ص502 و 503 و 504 مثل: تاريخ اليعقوبي ج2 ص66 وفي (ط أخرى) ص71 وفتوح البلاذري ص75 وفي (ط أخرى) ص85 والسيرة الحلبية ج3 ص240 والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج3 ص6 والشفاء للقاضي عياض ج2 ص107 ونسيم الرياض ج3 ص411 وشرح القاري (بهامشه) ج2 ص522 وج3 ص411 وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ص141 والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج4 ص104 والمنار ج3 ص322 وأعيان الشيعة ج1 ص416 وبحار

الأنوار ج35 وج21 ص277 و 282 و 321 و 338 و 339 و 341 ـ 343 و 346 و 354 ودلائل النبوة للبيهقي ص298 والقاضي البيضاوي في تفسير الآية، وروح المعاني ج3 ص190 وروح البيان ج2 ص44 والسراج المنير ج1 ص222 وتفسير الشريف اللاهيجي ج1 ص332 وجلاء الأذهان ج1 ص61 وكنز الدقائق ج2 ص102 والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ج2 ق2 ص57 والعمدة لابن بطريق ص188 وما بعدها، وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص14 وأحكام القرآن للجصاص ج2 ص16 وفي (ط أخرى) ص295 والأغاني ج12 ص7 ونهج الحق ص177 وغاية المرام المقصد الثاني الباب 3 و 4 عن سعد، وجابر، وابن عباس، والشعبي، والسدي، وأبي عبد الله، والحسن، وأبي الحسن موسى، وأبي ذر عن علي «عليهما السلام» في حديث (المناشدة)، وعن محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير، وعن أبي الحسن الرضا «عليه السلام».

وكذا أخرجه في ملحقات إحقاق الحق ج3 ص46 فما بعدها وج5 وج9 وج14 عن مصادر أهل السنة جمعاء، عن جمع ممن قدّمناه، وعن الثعلبي في تفسيره، ومعالم التنزيل ج1 ص302 ومصابيح السنة ج2 ص204 وأحكام القرآن لابن العربي ج1 ص115 وجامع الأصول ج9 ص470 وتلخيص الذهبي، ذيل المستدرك ج3 ص150 ومطالب السؤول ص7 والرياض النضرة ص188 وتفسير النسفي ج1 ص136 وتبصير الرحمن ج1 ص114 ومشكاة المصابيح ج2 ص356 والكاف الشاف ص226 والمواهب للكاشفي ج1 ص71 ومعارج النبوة ج1 ص315 والإكليل ص53 وتفسير الجلالين ج1 ص33 وتفسير أبي السعود ج2 ص143 ومدارج النبوة ص500 ومناقب مرتضوي ص44 والإتحاف بحب الأشراف ص50 والجواهر للطنطاوي ج2 ص120 ورشفة الصادي ص35 وكفاية الخصام ص39 وراجع أيضاً ج9 ص70 عن منهاج السنة لابن تيمية ج4 ص34 ومقاصد المطالب ص11 والمنتقى ص188 وأرجح المطالب ص55 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3

كتاب مصالحة النجرانيين:

وبعد امتناع نصارى نجران عن الدخول في الملاعنة، تقرر ضرب الجزية عليهم، فانصرفوا حتى إذا كان من الغد كتب إليهم كتاباً بذلك..

وذكرت بعض المصادر: أن كاتب الكتاب هو المغيرة بن شعبة(1).

وقيل: هو معيقيب(2).

وقيل: عبد الله بن أبي بكر(3).

ص194 ومرآة الجنان ج1 ص109 وشرح المقاصد للتفتازاني ج2 ص219 وشرح المواهب اللدنية للزرقاني ج4 ص43 وإمتاع الأسماع ص502 والمواقف ج2 ص614 وشرح ديوان أمير المؤمنين «عليه السلام» ص184 وراجع أيضاً ج5 ص59 و 102 وج14 ص131 ـ 148.

(1) راجع: مكاتيب الرسول ج3 ص148 عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج1 ص266 و (ط ليدن) ج1 ق2 ص21 والبداية والنهاية ج5 ص55 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج5 ص67 ورسالات نبوية ص66 وحياة الصحابة ج1 ص123 وزاد المعاد ج3 ص41 وجمهرة رسائل العرب ج1 ص76 ومدينة العلم ج2 ص297 ومجموعة الوثائق ص179/ 95 عن جمع ممن قدمناه، وعن إمتاع الأسماع (خطية كوپرلو) ص1038 و (ط دار الكتب العلمية سنة 1420هـ) ج14 ص71 و 72 ودلائل النبوة للبيهقي ج5 ص391 والسيرة النبوية لابن كثير ج4 ص106 وراجع: سبل الهدى والرشاد (خطية باريس) 1992، ورقة 65 ـ ألف، وراجع أيضاً ص718 و (ط دار الحديث سنة 1419هـ) و (ط دار الكتب العلمية) ج11 ص393 وراجع ج6 ص420.

(2) ذكر ذلك أبو عبيد، وابن زنجويه.

(3) ذكر ذلك أبو يوسف.

وقال اليعقوبي: إنه علي «عليه السلام»(1).

ويؤيده: ما ذكره يحيى بن آدم(2).

ويؤيده أيضاً: ما ذكروه من أن النجرانيين جاؤوا علياً «عليه السلام» بكتابه الذي كتبه لهم بيده، فراجع(3).

---

(1) تاريخ اليعقوبي ج2 ص82.

(2) فتوح البلدان ج1 ص78 ومكاتيب الرسول ج3 ص107 و 153 و 169.

(3) السنن الكبرى للبيهقي ج10 ص120 ومعجم البلدان ج5 ص269 ومكاتيب الرسول ج3 ص170 عن المصادر التالية: المصنف لابن أبي شيبة ج14 ص550 و 551 عن سالم، وكنز العمال ج4 ص323 و (ط مؤسسة الرسالة) ج12 ص601 عن ابن أبي شيبة، والأموال لأبي عبيد، والبيهقي وج14 ص247 عن البيهقي، عن عبد خير، والأموال لابن زنجويه ج1 ص276 و 418 عن سالم، والخراج لأبي يوسف ص80 قال: وكان الكتاب في أديم أحمر، والأموال لأبي عبيد ص143 / 273 والمطالب العالية ج4 ص41 وراجع: فتوح البلدان ج1 ص79 والكامل في التاريخ ج2 ص294.

الفصل الثالث:

وقفات مع حديث المباهلة..

المفيد وابن شهرآشوب يتحدثان:

في بداية كلامنا في هذا الفصل نذكر ما أجمله الشيخ المفيد «قدس سره»، وفصَّله ابن شهرآشوب المازندراني «أعلى الله مقامه».. ونختار النص الذي ذكره المازندراني، فنقول:

قال المازندراني بعد ذكر بيعة الحسنين «عليهما السلام» يوم بيعة الرضوان:

«ولم يبايع صغيراً في ظاهر الحال غيرهما، ونزول القرآن بإيجاب ثواب الجنَّة لهما على عملهما مع ظاهر الطفولية، منها قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾[1]، فعمهما بهذا القول مع أبويهما..

وأدخلهما في المباهلة.

قال ابن علان المعتزلي: هذا يدل على أنهما كانا مكلفين في تلك الحال، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين.

---

(1) الآيات 8 ـ 12 من سورة هل أتى.

وقال أصحابنا: إن صغر السن عن حد البلوغ لا ينافي كمال العقل.

وبلوغ الحلم حد لتعلق الأحكام الشرعية، فكان ذلك لخرق العادة، فثبت بذلك أنهما كانا حجة الله لنبيه في المباهلة مع طفوليتهما.

ولو لم يكونا إمامين لم يحتج الله بهما مع صغر سنهما على أعدائه، ولم يتبين في الآية ذكر قبول دعائهما.

ولو أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجد من يقوم مقامهم غيرهم، لباهل بهم، أو جمعهم معهم، فاقتصاره عليهم، يبين فضلهم، ونقص غيرهم.

وقد قدَّمهم في الذكر على الأنفس ليبين عن لطف مكانهم، وقرب منزلهم، وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس معدون بها.

وفيه دليل لا شيء أقوى منه: أنهم أفضل خلق الله»[1].

متى كانت المباهلة؟!:

كانت بيعة الرضوان في سنة ست من الهجرة..

وتقدم: أن الحسن والحسين «عليهما السلام» بايعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيها..

وفي سنة ست أيضاً، وقيل: قبلها، كانت المباهلة بين رسول الله «صلى

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص368 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص142 وبحار الأنوار ج43 ص278. وكلام المفيد في الإرشاد ج2 ص30 ومناهل الضرب ص381 والمستجاد من الإرشاد (مجموعة نفيسة) ص155 وفدك للقزويني ص16 والمجالس الفاخرة ص177.

الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام»، وبين وفد نصارى نجران، كما قال العلامة الطباطبائي[1].

وقيل: كانت سنة عشر، أو تسع.

فإن كانت سنة ست، فيكون عمر الحسن والحسين «عليهما السلام» حينها سنتين وثلاثاً.. وإن كانت سنة تسع، فيكون عمرهما «عليهما السلام» خمساً إلى سبع سنين.

وهذا التفاوت لا أثر له في البحث الذي نحن بصدده.

حديث المباهلة متواتر:

1 ـ إن بعض المعروفين ـ كالشعبي ـ وإن لم يذكر علياً «عليه السلام» في جملة من شارك في المباهلة.. ولكن ذلك لم يضر علياً «عليه السلام»، بل هو يضر الشعبي، ويفضح أمره، ويشي بعدم أمانته، وقلة إنصافه، وانسياقه مع مشاعر التعصب والكيد..

وربما أراد التزلف بذلك إلى بني أمية، أعداء أمير المؤمنين وأهل بيته «عليهم السلام».

كما أن من يتجرأ على إنكار الواضحات، ويتجاهل المتواترات، ويسعى لطمس الحقائق، والإضرار بعقائد الناس، لا بد أن يكون في غاية الجرأة، وغاية البعد عن الله سبحانه.

ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك..

---

(1) الميزان (تفسير) ج3 ص368.

2 ـ إن ثبوت حديث المباهلة بعلي وأهل البيت «عليهم السلام» مما لا ريب فيه، وهو كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار، ويكفي أن نقول:

ألف: يقول الرازي عن رواية المباهلة بعلي وولديه «عليهم السلام»: «إن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث»(1).

ب: قال الجصاص: «فنقل رواة السير، ونقلة الأثر، لم يختلفوا فيه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخذ بيد الحسن والحسين، وعلي، وفاطمة «عليهم السلام»، ثم دعا النصارى الذين حاجُّوه إلى المباهلة»(2).

ج: قال الحاكم: «تواترت الأخبار في التفاسير عن عبد الله بن عباس وغيره: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخذ يوم المباهلة بيد علي، وحسن وحسين، وجعلوا فاطمة وراءهم الخ .. »(3).

د: في بعض المصادر روي خبر المباهلة من أحد وخمسين طريقاً، وهو مروي عن عشرات الصحابة والتابعين(4).

3 ـ قد يكون بنو أمية وراء محاولات استبعاد الشعبي لعلي «عليه

---

(1) التفسير الكبير ج8 ص80 و (الطبعة الثالثة) ج8 ص85 وبحار الأنوار ج21 ص285 وتفسير النيسابوري (بهامش الطبري) ج3 ص213 ودلائل الصدق ج4 ص402.

(2) أحكام القرآن للجصاص ج2 ص16 و (ط دار الكتب العلمية سنة 1415هـ) ج2 ص18 و (ط أخرى) ص295.

(3) معرفة علوم الحديث ص50.

(4) سعد السعود ص91 وغاية المرام، الباب الثاني والثالث، وغير ذلك من المصادر التي تقدمت في الفصل السابق.

السلام»، حيث لم يجدوا سبيلاً لإشراك محبيهم معه، في هذا الحدث الجميل والجليل، الذي خلَّده الله تعالى في كتابه الكريم.

المباهلة بالخمسة دون سواهم:

1 ـ زعم بعضهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخرج معه للمباهلة: «الحسن والحسين، وعلياً، وفاطمة، وعائشة، وحفصة.. «وهذا دل عليه قوله تعالى: ﴿**وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ**﴾[1]»[2].

2 ـ ورووا عن الإمام الصادق «عليه السلام» عن أبيه، في قوله تعالى: ﴿**تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾[3]، أنه قال:

«فجاء بأبي بكر وولده، وبعمر وولده، وبعثمان وولده، وبعلي وولده»[4].

ونقول:

إن هذا لا يصح، وذلك لما يلي:

أولاً: بالنسبة للنص الأول الذي ذكر عائشة وحفصة فقط نقول: إنه

---

(1) الآية 61 من سورة آل عمران.

(2) السيرة الحلبية ج3 ص212 و (ط دار المعرفة) ج3 ص236 والسيرة النبوية لدحلان ج2 ص144 و 145.

(3) الآية 61 من سورة آل عمران.

(4) الدر المنثور ج2 ص40 عن ابن عساكر، وتفسير المنار ج3 ص322 ومكاتيب الرسول ج2 ص507 وكنز العمال ج2 ص379 وتفسير الميزان ج3 ص244 وفتح القدير ج1 ص348 وتاريخ مدينة دمشق ج39 ص177 والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص278.

زعم أن قوله تعالى: ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ يؤيد، بل يدل على صحة هذه الإضافة حيث إنها ذكرت النساء بصيغة الجمع، وبإضافة حفصة وعائشة إلى فاطمة يصير المجموع ثلاثة، وهو أقل الجمع..

وقد فات هذا المستدل: أن استدلاله هذا يحتم عليه إيجاد ثلاثة مصاديق أيضاً للأنفس، وثلاثة للأبناء، مع أن الموجود في الموردين أقل من ثلاثة، كما دلت عليه عشرات الروايات.

ثانياً: بالنسبة للنص الأول أيضاً نقول:

لماذا لم يحضر من الزوجات غير عائشة وحفصة؟!

وأين هي أم سلمة، وزينب بنت جحش، وسودة بنت زمعة، وأم حبيبة، وميمونة، وصفية، وجويرية؟!

ثالثاً: إن ذكر إخراج أولاد عمر، وأبي بكر، وعثمان في الرواية المنسوبة إلى الإمام الصادق «عليه السلام» لا يمكن قبوله، فقد قال الشيخ الطبرسي «رحمه الله»: «أجمع المفسرون: على أن المراد بأبنائنا: الحسن والحسين»[1].

وقال الشيخ محمد عبده ـ كما نقل عنه رشيد رضا: «إن الروايات متفقة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» اختار للمباهلة: علياً، وفاطمة، وولديهما[1].

وقال شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي «قدس سره»: «أجمع أهل النقل

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص142 وبحار الأنوار ج35 ص266 ومجمع البيان ج2 ص452 وراجع: التبيان ج2 ص485 ونهج الحق (مطبوع مع دلائل الصدق) ج2 ص83 وتفسير الرازي ج8 ص80 وحقائق التأويل ص114 وفيه: أجمع العلماء الخ..

(1) تفسير المنار ج3 ص322.

والتفسير على ذلك»[1].

رابعاً: لماذا تجاهل هذا النص فاطمة الزهراء «عليها السلام» التي أجمع أهل النقل على حضورها في المباهلة؟!

أم أن أبا بكر وعمر، وعثمان، وأولادهم قد أخذوا مكانها، فبقيت في بيتها، ولم تخرج؟!

خامساً: هل يمكن أن يكون استبعاد الزهراء «عليها السلام»، وإحلال الذين ظلموها، وضربوها، وأسقطوا جنينها، وحاولوا إحراق بيتها، يهدف إلى التقليل من شأنها، وأن هذا الاستبعاد يهوِّن ما ارتكبوه بحقها، بل يرفع من مقامهم، ويعلي من شأنهم، ويمنحهم درجة من القداسة، توهم الناس: أنهم قد يكونون محقين فيما فعلوه وارتكبوه في حقها..

ولاسيما إذا أعطتهم هذه الرواية المزعومة مظلة غيبية، لاسيما مع ملاحظة تناسب وتوافق التسلسل في ذكرهم مع التسلسل والترتيب لهم في الخلافة.

وربما بذلت محاولة تزعم: أن ترتيبهم في الفضل متوافق مع ترتيبهم في الخلافة خارجاً، ثم تبذل محاولة تسرية هذا الترتيب للخلفاء إلى أبنائهم أيضاً.

كما أن ذكر أولادهم يجعل ـ بزعمهم ـ أولئك الأولاد متساوين مع الحسن والحسين «عليهما السلام» في استحقاق مقام الخلافة والإمامة، ويساوي بينهم أيضاً في القداسة، وفي الميزات المختلفة؟!

ليكونوا قد ارتكبوا بهذه الإيحاءات جريمة هي من أفحش الجرائم بحق

(1) تلخيص الشافي ج3 ص6.

النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته، من حيث عمق التزوير لدينه، وتشويه مقاصده، والتجني على أهل بيته الطاهرين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين».

لماذا هؤلاء فقط؟!:

1 ـ سيأتي إن شاء الله: أن المقصود بالنساء والأبناء ليس هو الزوجات، ولا خصوص المولود الذي يكون من صلب أي كان من المسلمين.. بل المقصود هو النساء والأبناء النموذج الأرقى لصناعة الاسلام: ﴿**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾[1]. وهم المعصومون المطهرون، وليس أبو بكر وأولاده، ولا عمر وأولاده، ولا عثمان وأولاده من هؤلاء.

لأن المقصود من المباهلة هو التحدي بالقادرين على الاحتجاج على حقائق الدين، والعالمين بحقائقه، والمنصهرين فيه فكراً، وعملاً، وسلوكاً وموقفاً.. لأن الغرض من المباهلة هو إثبات بشرية عيسى «عليه السلام»، وأن مثله ﴿**عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾.

ولو لم يكن الحسن والحسين وفاطمة وعلي «عليهم السلام» يملكون هذه القدرات والخصائص لما أخرجهم «صلى الله عليه وآله» لمواجهة هذا التحدي.

كما أنه «صلى الله عليه وآله» لم يخرج الحسن والحسين «عليهما السلام» بدون أخذ رأيهما في ذلك، أو من دون اختيارهما.. لأنهما يملكان من العلم والعقل والخلق والدين، ما جعلهما أهلاً لنيل مقام الإمامة، وهما في ذلك

(1) الآية 39 من سورة طه.

السن المبكر، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى هو الذي منحهما هذا المقام، وشرفهما بهذا الوسام، كما أشرنا إليه أكثر من مرة في كتابنا هذا.

ولو كان الحسنان «عليهما السلام» لا يدركان ما يجري حولهما، أو كانا يدركان ذلك، ولكنهما كانا مقهورين على المشاركة فيه، فهل يكون هذا الإشراك مرضياً ومقبولاً، وسائغاً؟! ولاسيما إذا كان في هذا الإشراك تعريض لهما لأخطار لا يرضيان بالتعرض لها.

تأويلات سقيمة:

هناك من يزعم: أن إشراك علي وفاطمة، والحسنين «عليهم السلام» في المباهلة ليس لأجل ما لديهم من طهر، وعلم، وملكات، وقدرات عقلية، وخصوصيات، وميزات روحية ونفسية، ولا لأجل الدفاع، ودحض الشبهات والأباطيل عن حقائق الدين والإيمان.

بل كان إشراكهم لأجل إفهام النصارى، وغيرهم من أهل الكتاب والمشركين: أنه «صلى الله عليه وآله» على استعداد أن يجعل حياة هؤلاء الصفوة الذين هم أعز الخلق عليه، وأحبهم إليه، وهم منه، وهو منهم ـ أن يجعلهم ـ ضمانة لصدقه..

فإذا كان على استعداد للتضحية بنفسه وبهؤلاء في سبيل إثبات ما يقوله، من أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، ثم يطلب هو من الله تعالى بحرقة وابتهال: أن ينزِّل عليه وعلى أحبائه العذاب.. إن كانوا كاذبين، أو ينزل العذاب على الفريق الآخر.. إن كان ذلك الفريق هو الكاذب.

فالقضية ـ كما يزعم هذا البعض ـ لا تعدو كونها وسيلة للتأثير النفسي على الطرف الآخر..

ونجيب:

أولاً: لا بد من ملاحظة ما يلي:

ألف: إن المباهلة لم تكن اقتراحاً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليقال: إنه «صلى الله عليه وآله»، قرر أن يضحي بأعز الناس عليه، لإثبات صدقه. بل كانت قراراً إلهياً من الله تعالى، بعد أن جنح نصارى نجران إلى الجحود، والعناد، والمكابرة، بعد أن أقيمت الحجج القاطعة عليهم.

بدليل قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾[1]. فالاحتجاج قد حصل، والحق قد ظهر بواسطة العلم الذي آتاه الله تعالى نبيه.. فإن أصروا على الباطل، ولم يقبلوا الحق بعد ظهوره، فقل: ﴿**تَعَالَوْا نَدْعُ..**﴾.

ب: فظهر بما ذكرناه: أن الله تعالى هو الذي أمر نبيه بدعوتهم إلى المباهلة، وهو الذي حدد لنبيه الأشخاص الذين يباهل بهم، وحدد لهم المضمون الذي يباهلون به، ويطلبون من الله تعالى إهلاك الكاذبين من بين الفريقين..

ج: إن هذا القرار الإلهي بالمباهلة قد جاء جزاء للنجرانيين على عنادهم وإصرارهم على باطلهم، بعد تمامية الحجة عليهم.. وكان يمكن أن يعاقبهم الله على ذلك من دون المباهلة، ولكنه تعالى لم يفعل ذلك، لأنه يريد: أن يظهر للناس الذين قد لا يدركون مضامين الحجج، مكابرة هؤلاء، وتعمدهم للباطل،

---

(1) الآية 61 من سورة آل عمران.

فجعلهم أمام خيارين كلاهما مر:

الأول: أن يقدموا على المباهلة، ويطلبوا من الله تعالى بألسنتهم، وباختيارهم، وبإصرار، وإلحاح أن يبعد الكاذبين عن رحمته، وإنزال العذاب عليهم، فيثبت لكل أحد أنهم كاذبون، معاندون، متعمدون للباطل.

الثاني: أن يمتنعوا عن المباهلة، فيظهر لكل أحد كذبهم في دعواهم أنهم متيقنون بما يقولون. فلو كانوا كذلك لبادروا إلى المباهلة، واعتبروها فرصة لإثبات صحة دينهم.

فرفضهم للمباهلة أثبت للناس كلهم: ضعف موقفهم، وعدم يقينهم، بل هم في ريبهم يترددون.

وبهذا الامتناع يفقدون ثقة الناس بهم، ويسقط محلهم في نفوسهم، ولا يستطيع أي عاقل أن يعوِّل على أقوالهم. وهذا لهم خزي عظيم، وضرر جسيم، وعذاب أليم.

ثانياً: لو كان القصد من الدعوة للمباهلة: هو التأثير النفسي على نصارى نجران، لكان ما جرى مجرد تمثيلية، وعمل استعراضي لا جدِّيَّة فيه، ولا قيمة واقعية له، ولا مبرر لذكره في آية قرآنية.

ثالثاً: إن نبياً يعجز عن إثبات صحة ما جاء به، فيلجأ إلى تقديم أهله وأحبائه قرابين، لهو نبي عاجز، وفاقد للحجج والدلالات على صحة أقواله.

مع أن الآيات ـ كما تقدم ـ قد أظهرت أن الاحتجاج قد حصل.. وأنه لم يكن احتجاجاً بالأوهام، أو الظنون والاحتمالات، بل احتج عليهم بالعلم الذي جاء من الله، كما دل عليه قوله تعالى: **﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾**،

ولكنهم جحدوا، وكابروا، وأنكروا الحق الواضح، فكان الأمر بالمباهلة، لكي ينزل الله عليهم العذاب بطلب تسبب منهم، ولم يكن ذلك لمجرد التهويل والتخويف..

ولو أنه «صلى الله عليه وآله» لم يحتج عليهم بحجج قاطعة، وانحصرت وسيلته بالتأثيرات النفسية، أو التهويل، لجاء السؤال الذي يقول: لو اختاروا الدخول في المباهلة في هذه الحال، هل يكفي هذا التهويل لنزول العذاب عليهم؟!

أم أن ذلك يكون ظلماً لهم، لأن المفروض: أنهم لم تقدم لهم أدلة مقنعة وكافية، وقاطعة للعذر؟!

رابعاً: إنه تعالى قال: ﴿**ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[1].

ولم يقل: ابتهل، فاجعل لعنة الله على الكاذب، فالظاهر: أن الآية تقول: إن الذي يبتهل هو النبي «صلى الله عليه وآله».. ولكن ليس وحده، بل معه الذين دعاهم، وهم الذين ينزل عليهم العذاب لو كانوا كاذبين..

ولو نوقش في ذلك بدعوى: أن المراد: هو ابتهال الطرفين المتنازعين، ولو بواسطة واحد من كل طرف، فإننا نقول:

إذا كان العذاب ينزل عليهم، فيفترض: أن يشاركوا في الابتهال والدعاء لكي يسهموا في كشف براءتهم من الكذب.

وكل واحد من هؤلاء لا بد أن يكون هو الذي يقول: إن عيسى «عليه السلام» بشر.. ويريد كل واحد منهم إثبات ذلك، وكل واحد منهم يحتج

---

(1) الآية 61 من سورة آل عمران.

عليه، ويختار تعريض نفسه للخطر، لو كان كاذباً في كلامه هذا.

ومعنى ذلك: أن الإمام الحسن «عليه السلام» الذي كان بعمر ثلاث سنوات، والحسين «عليه السلام» الذي كان بعمر سنتين، كانا يدَّعيان بشرية عيسى، ويحتجان، ويصران عليها، تماماً كما يدَّعي ذلك النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي وفاطمة «عليهما السلام».

مع أن هذا الذي يدَّعيانه، ويصران عليه ويريان: أنه في غاية البداهة قد خالفهم فيه أمة من الناس، لم تتمكن، أو لم تُرِدْ دفع الشبهات، والتخلص من الترهات التي يثيرها من يسميهم النصارى علماء.

وقد بلغ هذا الأمر الذي ضل فيه الكثيرون من البداهة والوضوح لدى الحسنين «عليهما السلام»، أنهما يجعلان حياتهما ضمانة لصحة قولهما فيه، وهما يفعلان ذلك بملء إرادتهما، وبقرار واختيار منهما.. فعلي، وفاطمة، والحسنان شركاء في الدعوى وفي إثباتها، ويدعون المعاند الجاحد بالحق مع وضوحه له إلى المباهلة فيه.

وهذا من أفضل المناقب التي خص الله تعالى بها نبيه[1].

قال الزمخشري: «..وفيه دليل لا شيء أقوى منه: على فضل أصحاب الكساء»[1].

---

(1) الميزان (تفسير) ج3 ص224 ودلائل الصدق ج2 ص84.

(1) راجع: الكشاف ج1 ص370 والصواعق المحرقة ص153 عنه، وإقبال الأعمال لابن طاووس ج2 ص351 والطرائف لابن طاووس ص43 وكشف الغمة ج1 ص235 والصراط المستقيم ج1 ص249 وبحار الأنوار ج21 ص282 وج35

النجرانيون لا يباهلون أهل البيت ^:

إن أهل البيت «عليهم السلام»، وهم: علي وفاطمة والحسنان «عليهم السلام» ـ هم ـ ثمرات جهود الأنبياء، وتضحيات الشهداء، وجهاد وجهود الصالحين، وهم حجج الله على خلقه، وأوصياؤه في عباده، والأئمة المعصومون المطهرون، والأمناء على بلاده وعباده، وهم حفظة دينه..

ولذلك أخرجهم «صلى الله عليه وآله» للمباهلة، لا لمجرد كونهم أبناءً، وأسباطاً، وأصهاراً، وأبناء عمومة، وما إلى ذلك.

وإنما، لأن مصير العباد والبلاد، والأمم، والدين، والأخلاق، والقيم مرهون بهم..

ويبدو: أن النجرانين كانوا يعرفون ذلك.. ولعلهم كانوا يعرفون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[1].

ص60 وراجع: الإرشاد للمفيد ص99 والميزان (تفسير) ج3 ص238 وجوامع الجامع ج1 ص294 وتفسير البحر المحيط ج2 ص503.

(1) راجع: الكافي ج1 ص288 ومكاتيب الرسول ج1 ص561 وفي الهامش عن: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام» ص47 وغنية النزوع ص323 وجامع الخلاف والوفاق ص368 و 404 وتذكرة الفقهاء ج5 ص435 و (ط قديمة) ج1 ص254 وج2 ص437 ومختلف الشيعة ج3 ص333 وج6 ص308 و 330 ومجمع البيان (ط الأعلمي) ج2 ص311 وج8 ص165 وتفسير جوامع الجامع ج3 ص70 و 857 وتلخيص الشافي ج4 ص170 ونور الثقلين ج3 ص290 وج4 ص284 والميزان ج4 ص312 والإرشاد للمفيد ج2 ص30 والمسائل الجارودية للمفيد ص35 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة)

وقال «صلى الله عليه وآله» مخاطباً الإمام الحسين «عليه السلام»:

«أنت سيد، ابن سيد، أخو سيد..

وأنت إمام، ابن إمام، أخو إمام..

وأنت حجة، ابن حجة، أخو حجة..

وأنت أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم»(1).

ص157 والصراط المستقيم ج2 ص118 وج3 ص130 والمحتضر لابن سليمان الحلي ص179 والتعجب للكراجكي ص129 والفصول المختارة ص303 وروضة الواعظين ص156 وكفاية الأثر ص38 و 117 والفرق بين الفرق ص25 ودعائم الإسلام ج1 ص37 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص143 و 163 والفضائل لابن شاذان ص118 والطرائف 196 وغوالي اللآلي ج3 ص130 وج4 ص93 ومدينة المعاجز ج2 ص391 وج3 ص290 وبحار الأنوار ج16 ص307 وج21 ص279 وج35 ص266 وج36 ص289 و 325 وج73 ص7 وج37 ص298 و 291 وج44 ص2 و 16 وإعلام الورى ج1 ص407 و 421 وكشف الغمة ج2 ص156 وج2 ص225 و 245 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص717 و 732 وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص168 ونزهة المجالس ج2 ص184 وفي السراج الوهاج للشبراوي الشافعي: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لهما: أنتما الإمامان، ولأمكما الشفاعة، وغاية المرام ج2 ص243 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج7 ص482 وج19 ص216 و 217 عن أهل البيت لتوفيق علم (ط مطبعة السعادة القاهرة) ص195 وعن الرسالة في نصيحة العامة لابن كرامة البيهقي (النسخة المصورة في مكتبة أمبروزيانا في إيطاليا) ص18 و 67 وينابيع المودة ص445.

(1) ينابيع المودة ص168 و 445 و (ط دار الأسوة سنة 1416هـ) ج2 ص44 و

وقال للحسنين «عليهما السلام»: «أنتما الإمامان، ولأمكما الشفاعة»[1].

فهو «صلى الله عليه وآله» يثبت لهما الإمامة والسيادة والحجية وسواها بصورة فعليه، ولا يقول لهما: ستكونان إمامين، أو سيدين، أو حجتين.. تماماً كما أثبت الله تعالى النبوة لعيسى وهو في المهد، فقال: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ

---

316 وج3 ص291 و 394 وراجع: منهاج السنة لابن تيمية ج4 ص209 وإثبات الهداة ج5 ص129 وبحار الأنوار ج36 ص241 و 360 و 290 و 291 وكفاية الأثر ص46 وغاية المرام ج1 ص129 وكشف الأستار ص61 ومقتل الحسين للخوارزمي ص212 ـ 213 وكمال الدين ص262 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج27 ص99 عن عيون الأخبار (نسخة مكتبة الفاتيكان) ص55 وعن آل محمد للمردي الحنفي ص18 .

وراجع: الإمامة والتبصرة ص110 والخصال ص475 وعيون أخبار الرضا ج1 ص56 والإستنصار للكراجكي ص9 والإختصاص ص207 وكتاب سليم بن قيس ص460 والصراط المستقيم ج2 ص119 و 130 ومدينة المعاجز ج3 ص232 وكتاب الأربعين للماحوزي ص214 وإعلام الورى ج2 ص180 والدر النظيم ص791 وكشف الغمة ج3 ص313 والعدد القوية ص85 والنجم الثاقب ج1 ص482.

(1) نزهة المجالس ج2 ص184 و (ط القاهرة) ج2 ص228 والإتحاف بحب الأشراف ص129 وإثبات الهداة ج5 ص52 والمحتضر لابن سليمان الحلي ص179 وكشف الغمة ج2 ص129 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص666 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج9 ص251 وج33 ص292 عن مختصر المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء الأربعة (ط دار ابن كثير دمشق وبيروت) ص191.

مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[1].

وقال عن يحيى «عليه السلام»: **﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾**[2].

وقد ثبتت الإمامة للإمام الهادي، والجواد، والإمام الحجة المنتظر، وأعمارهم كانت ما بين خمس وعشر سنوات.

وقد تعامل الله تعالى مع الحسنين «عليهما السلام»، كما يتعامل مع أي عاقل كامل، مطهر معصوم، فلاحظ سورة هل آتى، وآية التطهير، وآية المودة في القربى، وآية المباهلة.

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» أشركهما في بيعة الرضوان، وفي الشهادة على كتاب ثقيف، وأشركتهما الزهراء «عليها السلام» في الشهادة على فدك، حتى قال الشاعر:

ثـمّ قالـت: فِنِحلـةٌ لِيَ مـن وا — لـدِي المصـطفى فلـم يَنْحَلاهـا
فأقامـت بهـا شُـهوداً فقـالوا — بعلُهـا شـاهِدٌ لهـا وابناهـا[1]

---

(1) الآيات 30 ـ 32 من سورة طه.

(2) الآية 12 من سورة مريم.

(1) المسترشد في إمامة علي بن أبي طالب «عليه السلام» ص105 و 106 و 108 ومروج الذهب ج3 ص237 والصواعق المحرقة ص35 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص469 وسيرة الأئمة الاثني عشر ج1 ص129 و 130 عن الصواعق المحرقة، وعن شرح المواقف، ودلائل الصدق ج3 ق1 ص38 عن المواقف، وفدك للقزويني ص16 و 17 ومكاتيب الرسول ج2 ص579 عن المسعودي، والحلبي، وابن أبي الحديد، ومالكيت خصوصي (زمين) للأحمدي ص132 عن

وقد ظهرت المعجزات منهما، ومن الأنبياء والأوصياء سواهما أيضاً في حال صغر السِّن، وبأن امتيازهم عن سائر الخلق بالمعجزات والكرامات، وبالعلم، والحكمة، وبالسمات والصفات، وبالعصمة، والفضائل والكمالات، وغيرها، مما دل على ثبوت مقام الإمامة لهما بأظهر معانيه.

لمحات في آية المباهلة:

ونختم كلامنا عن المباهلة بالإشارة إلى لمحات تعرضت لها آية المباهلة المباركة، وهي قوله تعالى: **﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾**[1].

واللمحات التي هي محط النظر، هي التالية:

دلت الآية، أو أشارت، أو يمكن أن يستفاد منها:

1 ـ أن المباهلة كانت أو تكون بعد الاحتجاج وظهور الحق، فقد قال تعالى: **﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾**.

2 ـ إن الاحتجاج الذي يسبق المباهلة كان ويكون بوسائل علمية ويقينية.

3 ـ إن المبرر للمباهلة هو الإصرار على الباطل بعد وضوحه.

أكثر من تقدم، وعن جامع أحاديث الشيعة ج8 ص606 وتهذيب الأحكام، وبحار الأنوار ج8 ص108 عن كشكول العلامة.

(1) الآية 61 من سورة آل عمران.

4 ـ إنه بالرغم من أن المسألة التي هي موضع الاحتجاج عقلية وإدراكية، لأنها تدور حول بشرية عيسى «عليه السلام»، لكن الله تعالى هو الذي أبلغ نبيه أدوات الاحتجاج، ولم يكِله إلى عقله وإدراكاته.. ولذا قال: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾، ولم يقل: من بعد احتجاجك..

5 ـ إن هذا البيان يعطي: أن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان مبلغاً للوحي الإلهي، وينفِّذ التعاليم الربانية، ولم يكن ينشئ الاستدلال من عند نفسه، فليس لأحد أن يظن: أن الموضوع موضوع صراع عقول.. قد يكون بعضها أقوى من بعض، فتكون الغلبة للقوي، وإن لم يطابق الواقع..

كما أن أمر البشرية لعيسى «عليه السلام» مرتبط بالخالق.. فهو الذي يخبر عن أنه بشر، أو ليس بشر، ويحدد ما هو عليه في الواقع، من موقع خالقيته وألوهيته، وعلمه الحضوري، لأنه هو الفاعل والجاعل، والبارئ، والخالق، فهو لا يخبر من موقع الحدس والتخمين، أو استناداً إلى استلزامات عقلية تجريدية.

6 ـ ولا يستطيع النجرانيون: أن يدَّعوا لأنفسهم شيئاً من ذلك، وبذلك يكون قد ألجأ النجرانيين إلى الإقرار: بأنهم إنما يخبرون عن أمر ليس لهم سبيل للوصول إليه، ويقينهم الذي يدَّعونه لا يكون حجة على غيرهم، ممن ليس لديه هذا اليقين.. لاسيما وأنهم يعترفون: بأن صلتهم بالله مقطوعة، ولا سبيل لهم إلى كشف الواقع بالوحي.

أما النبي «صلى الله عليه وآله»، فهو لا يخبر عن معادلات واستلزامات عقلية، بل يخبر عن الله، من حيث هو «صلى الله عليه وآله» رسول الله إليهم.

7 ـ ويشهد لذلك أيضاً: أن المباهلة نفسها لم تكن اقتراحاً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كانت قراراً إلهياً أبلغه الله إليهم، من خلال رسوله..

8 ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد تكلَّم عن الدعاة للمباهلة بصيغة الجمع، فقال: ﴿**نَدْعُ**﴾ بصيغة الجمع..

مع أن الداعي للحسنين وعلي وفاطمة «عليهم السلام» هو رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فلماذا جاء بصفة الجمع، فقال: ﴿**نَدْعُ**﴾؟!

ونجيب:

لعل سبب ذلك: أن الدعوة للأبناء والنساء والأنفس تكون من طرفين، هما: النبي «صلى الله عليه وآله» من جهة، والنجرانيون من جهة أخرى، إذا انضما إلى بعضهما البعض، بالاتفاق بينهما على الدعوة، فيصح التعبير عن الطرفين أو الثلاثة بصيغة الجمع، ويشهد لذلك: أنه قد جاء على لسان موسى «عليه السلام» في خطابه لفرعون عن نفسه وعن أخيه هارون قوله: ﴿**قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ**﴾[1]. وقال: ﴿**قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا**﴾[2].

ويكفي أن يكون الداعي الطرفين ـ النبي «صلى الله عليه وآله» وخصمه ـ في تصحيح صيغة الجمع، فكأنه «صلى الله عليه وآله» قال: تعالوا ندعُ نحن وأنتم، وإن كان الذي يتولى الدعوة من كل طرف شخص واحد.

---

(1) الآية 47 من سورة طه.

(2) الآية 45 من سورة طه.

9 ـ والكلام المتقدم يجري في قوله: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾، لكنه أضاف إلى الطرفين الداعيين: الأبناء، والنساء، والأنفس المدعوِّين من الطرفين للمباهلة أيضاً..

والشاهد على ذلك: قوله: ﴿عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ فإنه، يشهد: بأنه «صلى الله عليه وآله» لا يخبرهم عن أمر ذهني، عقلي تجريدي، بل هو يخبر عن الواقع الخارجي، بحيث تكون مطابقة الخبر له شاهد صدق على صحة الخبر.. وعدم مطابقته له تشهد على كذب ذلك الخبر.

ولأجل ذلك قال: ﴿عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، ولم يقل: على المخطئين مثلاً في فكرهم، أو في استدلالهم.

10 ـ قوله: ﴿نَدْعُ﴾ تشهد على أن المطلوب هو الدعوة للأبناء، ثم يكون لهم الخيار في الاستجابة وعدمها.. فهم إذن، لم يجبروا على الحضور، حيث لم يقل: إئتوا بأبنائكم وبنسائكم.

11 ـ وقد قال: ﴿نَدْعُ﴾، ولم يقل: ادع أبنائي ونسائي، وتدعون أنتم أبناءكم ونساءكم، لأن قوله: تعالوا أدع أبنائي و.. الخ.. تفيد: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما يتكلم عن نفسه، وعن ربه، وهما الجهة التي هي جهة المحقين.. وهي التي تواجه النجرانيين، الذين هم مجرد أفراد انضم بعضهم إلى بعض.. والله ليس معهم، بل هو ضدهم.

12 ـ إنه تعالى قال: ﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، ولم يقل: فتكون اللعنة مثلاً على الكاذبين، ربما لأن قوام المباهلة: هو أن يطلب المتباهلون من الله سبحانه أن يبعد الفريق الكاذب من ساحة رحمته، وينزل به نقمته وعذابه..

فلا يكون إنزال العذاب مجرد فعل انتقامي، قد يُدَّعى أنه قد تجاوز الحق فيه، إذ كان عليه أن يرحم، وأن يعفو..

والدليل على أنه ليس عملاً انتقامياً: أنه عذاب جاء تلبية لرغبة الداعي نفسه، كما أنه تلبية لطلب المظلوم الذي يتهمه الداعي الآخر بالكذب بدون وجه حق.

13 ـ لعل هذا يدل على أن المباهلة لا بد أن يكون فيها الطرفان يعترفان بالله، أو لا بد أن يكون واحد منهما مؤمناً، ومحقاً، والآخر راضياً بتعريض نفسه لعذاب الله، على فرض وجود الله.. أي أنه يقدم على المباهلة عناداً، وسعياً في إبطال الحق، وحباً بنصرة الباطل.

14 ـ بقي أن نشير إلى أن تقديم الأبناء، ثم النساء في الذكر في الآية الشريفة قد تكون له أسباب كثيرة، مثل:

ألف: أن يظهر الله تعالى للنجرانيين، وللناس كلهم المعجزة في الحسنين «عليهما السلام».. ويدل على كمال عقلهما، واختيارهما، وعلى أنهما قادران على تحمل المسؤولية مهما كانت كبيرة وخطيرة.. وليسلم لهما الناس بالإمامة، ولا يبغي أحد عليهما فيها، وفي أي من شؤونها..

وليعلم الناس جميعاً: أن السن في الإمام ليس معياراً، فلا فرق بين كونه ابن يوم، أو ابن مئة سنة.

كما أنه يدل على غزارة علمهما، وعلى صحته ومطابقته للواقع، وغير ذلك.

ب: إن الله تعالى ـ كما تقدم ـ قد آتى يحيى «عليه السلام» الحكم صبياً، وتكلم عيسى «عليه السلام» في المهد، وأن الله تعالى جعله نبياً، وأنه أمره

بالصلاة والزكاة ما دام حياً.. فلا مجال إذن للشك في الإمامة، أو بالنبوة، استناداً إلى صغر السن، لا في الحسنين ولا في غيرهما.

ج: إن الكمالات المشار إليها، ولزوم الدفاع عن الحق والدين لا ينحصر بالرجال، فللنساء أيضاً نصيب من ذلك، إذا امتلكن القدرات الإيمانية والفكرية، وبلغن الدرجات الفضلى في العلم، والأخلاق، والطهر والاستقامة.

15 ـ إن المباهلة مأخوذة من البهلة ـ بفتح الباء وضمها ـ، وهي: اللعنة، ثم كثر استعمالها في الدعاء، مع إلحاح وإصرار.

16 ـ إنما قال: ﴿**فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ**﴾ ليدل على حتمية إنتاج هذا الإلحاح والإصرار في الدعاء، للمطلوب الذي هو إظهار الحق، وانتصاره، وإبطال الباطل وانكساره.. وهو طلب محق، يحبه الله، ويرضاه كل عاقل منصف، ويدَّعيه ويتظاهر به حتى المبطلون ليخدعوا به الناس، وليسوِّقوا به الباطل.

17 ـ إن ضمير ﴿نَدْعُ﴾ يرجع إلى الجماعتين معاً، وهم المسلمون والنجرانيون. ولكن ضمير ﴿**أَبْنَاءَنَا.. وَنِسَاءَنَا.. وَأَنْفُسَنَا**﴾ يرجع لخصوص المسلمين، وضمير قوله: ﴿**وَأَبْنَاءَكُمْ.. وَنِسَاءَكُمْ.. وَأَنْفُسَكُمْ**﴾ يرجع للنجرانين النصارى.. فكأنه قال: ندع أبناءنا، ونساءنا، وأنفسنا، وتدعون أبناءكم ونساءكم وأنفسكم.

بل لقد قال بعض الإخوة الأكارم:

لعله يصح فيه أن يقال: إنه من مقابلة الجمع بالجمع، التي تقتضي التوزيع، فالدعاة جمع، وهم نحن. أي مجموع الفريقين، والمدعوون جمع أيضاً، وهم الأبناء، والنساء، والأنفس لكل من الفريقين، فكل فريق يدعو من يختص به من طوائف المدعوين.

18 ـ واللافت هنا: أن النجرانيين لا ينظرون إلى موضوع إشراك أبنائهم، ونسائهم في المباهلة، إلا أنه تعريض منهم لأحب الخلق إليهم، وأعزهم عليهم إلى خطر أكيد وواضح.. ولا يرون مبرراً للإقدام على هذا الأمر، لأن أبناءهم ونساءهم.. إما لا يفقهون شيئاً مما يجري، أو أن ما يجري لا يعني لهم شيئاً.

ولكن الطرف الآخر، وهو النبي وأهل بيته «صلوات الله وسلامه عليهم» لهم نظرة أخرى، إذ إن إحقاق الحق في هذه المسألة، وتشييد عقيدة التوحيد، وإبقاءها على حالة النقاء والصفاء هو من أهم الأمور بالنسبة إليهم.. وهم، بما فيهم الأبناء والنساء الذين أشركهم «صلى الله عليه وآله» في المباهلة يدركون إلى أقصى حد أبعاد، ودقائق، وأهمية هذا الأمر، ويودون لو يضحُّون في سبيله بكل غال ونفيس، وبالأبناء والأرواح وكل شيء.

فإن كان يعز على النجرانيين تعريض أبنائهم ونسائهم، فضلاً عن أنفسهم لأمر لا يعنيهم ولا يفقهونه، شفقة منهم عليهم، وحباً لهم، فذلك يشير إلى وجه تقديم الأبناء في الدعوة، لأن محبتهم لأبنائهم أقوى.. ولأنها لا تقبل التغيير، ولا التنازل على مدى الدهور والعصور.. فكيف يمكن لهم، وهم طلاب دنيا: أن يرضوا بالهلاك والبوار لأحب وأعز الخلق عليهم، وهم أبناؤهم، ونساؤهم، وأنفسهم؟!

19 ـ إنه تعالى لم يقل: نجعل لعنة الله على من كان كاذباً.. لأن هذا التعبير يحتمل أن يكون الكاذب واحداً، أو أن يكون جماعة.. ولا يدل على شراكة المتباهلين، في الدعوى، وفي إثباتها، والدعوة إلى الإقرار والالتزام بها..

مع أن الحسنين والزهراء وعلياً «عليهم السلام» لهم هذه الشراكة، من حيث هم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة.

20 ـ إن إخراج الحسنين وفاطمة «عليهم السلام» للمباهلة لم يكن لكونهم أبناءً، أو نساءً، ليكون الأبناء نموذجاً عن أبناء المسلمين، والنساء نموذجاً عن نسائهم، كما توهمه البعض.. بل لأجل شراكة خصوص هؤلاء في الدعوى، وفي الدعوة إليها.

ولو كان إخراجهم على سبيل النموذج لم يصح قوله: ﴿**فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ لأنه يدل على وجود جماعة كاذبة.. إما في هذا الطرف، أو في ذاك، بل كان يجب أن يقول: لعنة الله على الكاذب، لأن الدعوى تكون في هذه الحال منحصرة برسول الله «صلى الله عليه وآله» دونهم.

21 ـ فظهر: أنه لم يكن في المسلمين من يمكن أن يكون شريكاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذا الأمر الدقيق سوى هؤلاء الصفوة، فلا يوجد أبناء ولا نساء سواهم يقدرون على الاحتجاج، ويدركون دقائق وحقائق هذا الأمر، لكي يندفعوا إلى الاحتجاج عليه، وبذل كل شيء، حتى أرواحهم في سبيله.

تشويهات المنار للحقيقة:

نقل محمد رشيد رضا في تفسيره المسمى بـ «المنار» عن الشيخ محمد عبده، ما ملخصه:

«إن الروايات متفقة على أن النبي «صلى الله عليه وآله» اختار للمباهلة: علياً، وفاطمة، وولديهما.

ويحملون كلمة ﴿نِسَاءَنَا﴾ على فاطمة، وكلمة ﴿أَنْفُسَنَا﴾ على علي فقط.

ومصادر هذه الروايات هي الشيعة، ومقصدهم معروف. وقد اجتهدوا في ترويجها ما استطاعوا، حتى راجت على كثير من أهل السنة.

ولكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية، فكلمة ﴿نِسَاءَنَا﴾ لا يقولها العربي ويريد بها بنته، لاسيما إذا كان له أزواج، ولا يفهم هذا من لغتهم.

وأبعد من ذلك: أن يراد بـ ﴿أَنْفُسَنَا﴾ علي «عليه الرضوان».

ثم إن وفد نجران، الذين قالوا: إن الآية نزلت فيهم، لم يكن معهم نساؤهم وأولادهم.

وكل ما يفهم من الآية: أمر النبي «صلى الله عليه وآله» أن يدعو المحاجين والمجادلين في عيسى «عليه السلام» من أهل الكتاب إلى الاجتماع رجالاً، ونساءً وأطفالاً، ويجمع هو المؤمنين رجالاً ونساءً وأطفالاً، ويبتهلون إلى الله: بأن يلعن هو الكاذب فيما يقول عن عيسى.

وهذا الطلب يدل على قوة يقين صاحبه، وثقته بما يقول.

كما يدل امتناع من دعوا إلى ذلك من أهل الكتاب، سواء أكانوا نصارى نجران، أو غيرهم على افترائهم في حجاجهم، ومماراتهم فيما يقولون، وزلزالهم فيما يعتقدون، وكونهم على غير بيِّنة ويقين.

وأنى لمن يؤمن بالله أن يرضى بأن يجتمع مثل هذا الجمع من الناس المحقين والمبطلين في صعيد واحد، متوجهين إلى الله تعالى في طلب لعنه، وإبعاده من رحمته؟!

وأية جراءة على الله، واستهزاء بقدرته وعظمته أقوى من هذا؟!

قال: أما كون النبي «صلى الله عليه وآله» والمؤمنين كانوا على يقين مما يعتقدون في عيسى «عليه السلام»، فحسبنا في بيانه قوله تعالى: ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾، فالعلم في هذه المسائل الاعتقادية لا يراد به إلا اليقين.

وفي قوله: ﴿**نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ..**﴾ (1) وجهان:

أحدهما: أن كل فريق يدعو الآخر، فأنتم تدعون أبناءنا، ونحن ندعو أبناءكم، وهكذا الباقي.

ثانيهما: أن كل فريق يدعو أهله، فنحن المسلمين ندعو أبناءنا ونساءنا وأنفسنا، وأنتم كذلك.

ولا إشكال في وجه من وجهي التوزيع في دعوة الأنفس، وإنما الإشكال فيه على قول الشيعة ومن شايعهم من القول بالتخصيص»(1). انتهى بأدنى تصرف.

ونقول:

إن هذا الكلام غير دقيق، بل هو تشويهات زائلة، وأوهام باطلة، ونحن نجيب عنها ضمن العناوين التالية:

الروايات شيعية.. راجت على أهل السنة:

بالنسبة لقوله: «إن مصادر هذه الروايات هي الشيعة، وقد روجوها ما استطاعوا، وقد راجت على أهل السنة» نقول:

---

(1) الآية 61 من سورة آل عمران.

(1) المنار (تفسير) ج3 ص322 و 323 وعنه الميزان (تفسير) ج3 ص236.

أولاً: إن هذه الروايات مروية في مصادر أهل السنة بأسانيد كبار محدثيهم وعلمائهم، ومن هم على مذهبهم، ممن لا يعتقدون بولاية علي «عليه السلام»، وقد تقدم في الفصل السابق: أن هذا الحديث روي عن عثمان، وسعد بن أبي وقاص، وعائشة، وعبد الرحمان بن عوف، وطلحة، والزبير، وأنس، وابن المكندر، والحسن البصري، وابن عباس، وقتادة، والشعبي، والبيهقي، ومجاهد، وابن مطيع، وأحمد، وابن بطة، والأشعث والخدري، والخركوشي، وابن إسحاق، والقاضي أبي يوسف، وأبي الفرج، ومقاتل، والثعلبي، ومسلم، والترمذي، والحاكم، والذهبي، وعشرات آخرين، لا يحتمل المقام ذكر أسمائهم، وتحديد مؤلفاتهم، وغير ذلك.

وسؤالنا هو: لماذا لم يذكروا الرواية، أو الروايات التي رووها هم لأنفسهم، وكانت بحوزتهم قبل أن تروج عليهم روايات الشيعة، لكي نقارن بينها، وبين هذه الروايات الرائجة؟!

فإن لم توجد روايات عندهم، فسؤالنا سيكون عن سبب عدم روايتهم حدثاً مهماً كهذا، سجله القرآن في آياته المباركة.. وإن كانت موجودة، وقد أهملوها أو ضيعوها، فلا بد أن نسأل عن سبب هذا الاهمال والتضييع!! على أن إهمالها في الاستدلال لا يعني اختفاءها من الكتب والمجاميع..

ثانياً: إذا كان الشيعة قد تمكنوا من ترويج هذا الكم الهائل من الروايات المروية بأسانيد أهل السنة، حتى أقنعوهم بها، فأوردوها في كتبهم ومصادرهم، ورووها بأسانيدهم، وعن رجالهم وثقاتهم.. فكيف يمكن ـ بعد هذا ـ الوثوق بأي حديث من أحاديث أهل السنة؟!

وكيف نطمئن إلى ما ورد في صحاحهم، ومسانيدهم عن علمائهم ورواتهم، فإن كل حديث فيها يصبح موضع ريب وشبهة، لاحتمال أن يكون مدسوساً، ومما راج عليهم من جهة خصومهم ومخالفيهم..

ثالثاً: إن عهدنا بأهل السنة أنهم شديدو الحذر والاحتراس من روايات شيعة أهل البيت «عليهم السلام»، حتى لقد اعتمدوا معياراً لم نعهد أن أحداً اعتمده، أو اعتمد ما يشبهه في التعامل مع التراث، حيث إنهم صاروا يعتبرون كل من روى رواية في حق علي وأهل البيت الطاهرين «عليهم السلام»: أنه شيعي، أو أنه يتشيع.. يرمونه بذلك.

بل لقد بلغ الأمر حداً: أننا أصبحنا نسمع، ونقرأ: أن فلاناً مثلاً فيه تشيع يسير، لأنه روى رواية في حق علي «عليه السلام»، أو بحق أحد من أهل البيت «عليهم السلام» مع أنه من كبار علمائهم، ومن أئمتهم ـ بزعمهم ـ في العلم والحديث.

فراجع على سبيل المثال: ترجمة عبد الرازق الصنعاني، ومحمد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ والتفسير، وترجمة وكيع، وإسحاق بن منصور، وزيد بن الحارث بن عبد الرحمان وغيرهم[1].

ولكنهم يروون عن الخوارج والمبتدعة، مثل عمران بن حطان، وهو من أكبر الدعاة إلى البدعة[2].. وهو مادح ابن ملجم لقتله علياً أمير المؤمنين

---

(1) راجع: كتب الجرح والتعديل، وكتب التراجم، مثل: ميزان الإعتدال، ولسان الميزان، وسير أعلام النبلاء.

(2) الباعث الحثيث ص100.

«عليه السلام»..

بالإضافة إلى روايتهم عن كثير من مبغضي علي «عليه السلام»[1].

مع أنهم يروون عن ابن لهيعة: أنه سمع شيخاً من الخوارج يقول:

«إن هذه الأحاديث دين؛ فانظروا عمَّن تأخذون دينكم؛ فإنَّا كنَّا إذا هوينا أمراً صيَّرناه حديثاً»[1].

أو قال: «كنَّا إذا رأينا رأياً جعلناه حديثاً»[2].

واللافت: أن نفس هذا المعنى نسبوه إلى حمَّاد بن سلمة، عن شيخ من الرافضة[3].

وقال الأعمش لأياس بن معاوية، حين حدثه بحديث عن بعض الحرورية ـ أي الخوارج ـ: «أتريد أن أكنس الطريق بثوبي، فلا أدع بعرة، ولا خنفساء إلا حملتها»؟!![4].

وقال الجوزجاني، عن الخوارج في الصدر الأول بعد الرسول «صلى الله

---

(1) راجع كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج1 ص259 و 260.

(1) لسان الميزان ج1 ص10 و 11 والكفاية للخطيب ص123 و 128 وآفة أصحاب الحديث ص71 و 72 واللآلي المصنوعة ج2 ص468 وراجع: العتب الجميل ص122 وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص29 عن الأولين، وعن الموضوعات لابن الجوزي ص38 وعن السنة ومكانتها في التشريع للسباعي ص97.

(2) الكامل لابن عدي ج1 ص152 والكفاية للخطيب البغدادي ص151.

(3) راجع: لسان الميزان ج1 ص11.

(4) الكفاية في علم الرواية ص403 وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص29 عن المحدث الفاضل للرامهرمزي ج1 ص12.

عليه وآله»: «نبذ الناس حديثهم اتهاماً لهم»[1].

هذا بالإضافة إلى الروايات الناهية عن الرواية عن أهل البدع[1].

إعادة الاعتبار للخوارج:

ولكن مع ذلك، عادت القشرة لتحن على عودها، فقد عادوا للعمل على استرضاء الخوارج، والأخذ بيدهم، ومنحهم الأوسمة، فقد قال التهانوي: «الخوارج أعلم بكثير من الرافضة، والخوارج أصدق من الرافضة، بل الخوارج لا نعلم عنهم أنهم يتعمدون الكذب، بل هم من أصدق الناس»[2].

وقال التهانوي أيضاً: «الخوارج لا يكادون يكذبون، بل هم من أصدق الناس مع بدعتهم وضلالهم»[3].

وقال ابن تيمية: «الخوارج مع مروقهم من الدين، فهم أصدق الناس، حتى قيل: إن حديثهم أصح الحديث»[4].

وقال أبو داود: «ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج»[5].

والحاصل: أن من يراجع كتب التراجم، وكتب الجرح والتعديل يجد:

---

(1) أحوال الرجال ص34.

(1) راجع: لسان الميزان ج1 ص10 و 12 و 7 وميزان الاعتدال ج1 ص3.

(2) قواعد في علوم الحديث للتهانوي ص443.

(3) قواعد في علوم الحديث ص444 ـ 445.

(4) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص29.

(5) ميزان الاعتدال ج3 ص236 والعتب الجميل ص121 وفتح الباري (المقدمة) ص432 وج2 ص154.

أن معظم ما أوردوه فيها: هو طعون تدور مدار الاتهام بالتشيع، وأكثرها لا مبرر له.. إلا أنهم وجدوا للراوي رواية تتضمن فضيلة لعلي، أو لأحد من أهل البيت، فإن كثرت رواياته في هذا المجال، فإن منسوب الاتهامات والشتائم يرتفع ويتعاظم، حتى يتهم بالكفر والزندقة، ويحكم عليه بالخلود في النار، ويستحل دمه وعرضه، وماله، والافتراء عليه.

وتزداد قيمته، وعظمته، ويصل إلى درجة العصمة، ويجعل في مصاف الأنبياء والمرسلين، ويصير أفضل من الملائكة المقربين، والأوحديين، والصديقين، بمقدار ما يظهره من مراتب الإعراض عن كل ما له ارتباط بعلي، وأهل البيت، ثم ما يظهره من بغضٍ وعدواة لهم، ومن مودة وتفان في حب أعدائهم، ونصرتهم على الذين أمر الله بمودتهم، بل إن قاتل الحسين «عليه السلام» كعمر بن سعد، ويزيد، ومن أعان على قتله، يحكم بوثاقته، وتبذل الجهود الجبارة لتبرئة ساحته، وإيجاد الأعذار الواهية له.

وبعد كل ما تقدم، فإن البلاء قد تفاقم وتعاظم، بصدور المرسوم المنسوب زوراً إلى النبي «صلى الله عليه وآله»: «حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[1].

---

(1) راجع: صحيح البخاري (ط سنة 1309هـ) ج2 ص165 والمصنف للصنعاني ج6 ص109 و 110 وج10 ص310 و 311 و 312 هوامشه، والجامع الصحيح ج5 ص40 وسنن أبي داود ج3 ص322 وسنن الدارمي ج1 ص136 ومسند أحمد ج3 ص46 و 13 و 56 وج2 ص214 و 159 و 202 و 474 و 502 ومشكل الآثار ج1 ص40 و 41 وذكر أخبار أصبهان ج1 ص149 وكشف الأستار عن مسند البزار ج1 ص109 والأسرار المرفوعة ص9 والمجروحون ج1 ص6 ومجمع الزوائد ج1 ص151 والمعجم الصغير ج1 ص166 وكنز العمال ج10

مع أنه «صلى الله عليه وآله» إنما قال: «حدِّثوا عني ولا حرج»(1).

ولا يساوي النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه ببني إسرائيل الذين فضحهم الله في كتابه، وعلى ألسنة رسله وأنبيائه..

فكانت هذه هي إحدى الوسائل التي سهَّلت على الخلفاء بعد الرسول (باستثناء علي وولده وشيعته) إعطاء الفرصة لمسلمة أهل الكتاب لاحتلال مساجد المسلمين، لينشروا من على منابرها ترهاتهم، وأباطيلهم طيلة عشرات السنين. وجرى العبث من خلالها بعقائد المسلمين، والتلاعب بفقههم، وأحكامهم، ولوثت أخلاقهم، وتبدلت ومسخت قيمهم، وحقائق دينهم.

خامساً: إذا كان الشيعة قد تمكنوا من الدس في روايات أهل السنة، ما فاضت به كتب أهل السنة ومجاميعهم، بالرغم من شدة حذرهم منهم، فكم سيكون حجم ما دسَّه الخوارج والمرجئة، وغيرهم ممن لا يحذرهم أهل السنة، فضلاً عما يمكن أن يكون القصاصون وعلماء أهل الكتاب قد دسوه في حديثهم ومجاميعهم، بعد أن سمح لهم الخلفاء برواية ترهات بني إسرائيل، وجعلوهم في مساجد المسلمين، ليثقِّفوا المسلمين بها، وكانوا قد مهدوا

ص129 و 135 والتراتيب الإدارية ج2 ص224 و 225 و 226 والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص90 و 91 و 92 و 100 و 103 و 105 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص4 و 221 والبداية والنهاية ج1 ص6 وج2 ص132 و 133 وتقييد العلم ص30 و 31 و 34 وشرف أصحاب الحديث ص15 و 14.

(1) كنز العمال ج10 ص128 و 135 و 136 عن أحمد ومسلم، وأبي داود، وابن عساكر، وصحيح مسلم ج8 ص229 والمصنف للصنعاني ج11 ص260 وتقييد العلم ص31 و 33 و 34 و 35 و 78.

لذلك باتخاذهم موقفاً سلبياً جداً من رواية أحاديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن كتابته، وتداوله.. ومن السؤال عن معاني القرآن..

ثم حصروا الفتوى بخصوص الأمراء الذين كان الكثيرون منهم أميين، وجهلة، ومنحرفين، ومرتكبين للجرائم والمآثم، والعظائم؟!..

النساء والأنفس وعلي وفاطمة:

وقول صاحب المنار: إن العربي لا يقول: نساءنا، ويقصد بنته الواحدة، لاسيما إذا كان له أزواج، ولا يقول: أنفسنا، ويقصد شخصاً واحداً، وهو علي «عليه السلام».. كما أنه لا يقول: أبناءنا ويريد منه ولديه..

بل يقول: بنتي فلانة، ومن هو نفسي، وهو علي «عليه السلام»، وولداي، وهما: الحسن والحسين «عليهما السلام»، فالآية لا تنطبق على المذكورين، لأنها لا توافق الكلام العربي!!

ونجيب:

أولاً: بأن الكلام تارة يكون تعبيراً عن واقع قائم، يراد تقريره بكل خصوصياته.. فالقضية تكون خارجية.

وأخرى يكون إيراد الكلام على نحو القضية الحقيقية لا الخارجية، أي أنه يصدر الحكم على الطبيعة، وهي الموضوع الذي يمكن وجوده، ولا يخبر عن موضوع موجود فعلاً..

والكلام في الآية وارد على نحو القضية الحقيقية، وليس إخباراً عن أمر قد حصل، بل هو إنشاء لحكم يراد له أن يحصل وفق مواصفات، وخصوصيات محددة، وشرائط معينة، كالعلم والإدراك، والعصمة، والاستعداد للتضحية،

ونحو ذلك.

وفي المورد الذي نحن بصدده، إذا وجدت الشرائط والمواصفات المطلوبة في بنت واحدة، و إذا كان رجل واحد فقط يوازي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو علي «عليه السلام»، ووجد من الأبناء اثنان فقط يجمعان الأوصاف المتوخاة، وهما: الحسن والحسين «عليهما السلام»، لاسيما مع توقع ظهور مصاديق أخرى في بقية الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام»، فإن الحكم المنشأ بالآية على طبيعة المرأة، وطبيعة الأبناء، وطبيعة الأنفس (وهو الأمر بدعوة هؤلاء) يصبح ناجزاً، وقابلاً للامتثال والتطبيق..

لأن الحكم قد رُتِّب على الطبيعة والحقيقة ذات الأوصاف المعينة.

ولم يُرتَّب على أي ابن كان، وأي امرأة كانت.. فلا يشمل قوله تعالى: ﴿**وَنِسَاءَنَا**﴾ زوجات النبي «صلى الله عليه وآله»، لعدم توفر الشرائط فيهن..

بل المقصود: المباهلة بالأنفس والأبناء، والنساء، بحسب ما وجد، وما يمكن أن يوجد جامعاً للشرائط.

ويشهد لذلك: قول صاحب المنار: إنه لم يكن مع النصارى نساء، ولا أطفال، ولم يعترض النجرانيون على هذا الطلب: بأنه لا نساء ولا أطفال لدينا..

وهذا يدل على أنهم فهموا من آية المباهلة: لزوم دعوة خاصة أهلكم، وأعلم، وأفضل الناس فيكم..

وهذا النوع من البيان لا ينحصر بآية المباهلة، فمن ذلك:

ألف: قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ**

يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾[1].

فالمقصود بالآية: ليس خصوص من وجد من الزوجات والبنات، والنساء، بل المقصود البنات، والزوجات، ونساء المؤمنين الموجودات، واللواتي يمكن أن يوجدن بعد نزول الآية، فإن على النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقول لهن ذلك..

على أننا قد ذكرنا في كتبنا: أن لدينا الكثير من الأدلة والشواهد التي تفيد: أنه لم يكن للنبي «صلى الله عليه وآله» بنت غير الزهراء «عليها السلام»، وأن زوجات عثمان لم يكنَّ بنات النبي «صلى الله عليه وآله» على الحقيقة، بل كنَّ ربائب له، ويطلق على الربيبة أنها بنت، فراجع الكتب التالية:

1 ـ بنات النبي أم ربائبه.

2 ـ القول الصائب في إثبات الربائب.

3 ـ ربائب النبي شبهات وردود.

4 ـ البنات ربائب..

بالإضافة إلى عدة موارد أخرى تدل على ذلك، ذكرناها ـ بصورة متفرقة ـ في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام»..

وقد قال بعضهم:

لم يخلِّف غيرها بنتاً، ومن يجد الزهراء يزهد في سواها

---

(1) الآية 59 من سورة الأحزاب.

ب: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(1).

فإن المقصود بهذه الآية: إثبات الولاية العظمى لعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولكنه أورد الكلام على سبيل ضرب القاعدة، وإعطاء الضابطة الصالحة للانطباق عليه، وعلى كل من له الخصوصية المذكورة.. ليشمل ولديه، وسائر الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام» من بعده.

ج: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(2).

إذ لا يقصد به حكَّام الجور، بل المقصود به: خصوص الأئمة الطاهرين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»، لأن الله لا يأمر بإطاعة من يعصيه.

د: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(3). إذ لا يقصد بها، إلا أصحاب الكساء، ثم سائر الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام» أيضاً، ولا يقصد بها الزوجات، ولا عم الرسول، ولا أبناء عمه العباس.

هـ: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾(4). والمقصود به: خصوص أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهي واردة على نحو القضية الحقيقية لا الخارجية، كما هو الظاهر.

---

(1) الآية 55 من سورة المائدة.

(2) الآية 59 من سورة النساء.

(3) الآية 33 من سورة الأحزاب.

(4) الآية 43 من سورة الرعد.

و: قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1].

فإن المقصود بالقربى: خصوص أصحاب الكساء، ويلحق بهم سائر الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام»، إذ لا يأمر بمودته «صلى الله عليه وآله» بالكافرين والمنحرفين من ذوي القربى، ولا بمن يدَّعي الإمامة زوراً، أو من يشي بالإمام إلى أعدائه، أو من قتل زوار قبر الحسين «عليه السلام»، أو من أمر بحرث قبره الشريف.

ثانياً: قول صاحب المنار: «إن كلمة «نساءنا» لا يقولها العربي ويريد بها بنته، لاسيما إذا كان له أزواج، ولا يفهم هذا من لغتهم» لا يمكن قبوله.

لأن هذه الروايات التي صرحت بإرادة السيدة الزهراء «عليها السلام» من كلمة «نساءنا» في الآية قد رواها عرب أقحاح، وتلقاها العلماء، والفقهاء، والأدباء المشهود لهم بالرضا والقبول، وكثير منهم من المعروفين في الصحابة.. فضلاً عمن رواها من التابعين وغيرهم.

وبعضهم يعدُّ من أئمة الدين عند المسلمين، أو عند شطر من هذه الأمة.. وقسم كبير منهم عاشوا في الصدر الأول.. ولم نجد أحداً اعترض أو تساءل، أو سجل تحفظاً على هذا المورد.

ولا شك في أنهم أعرف باللغة العربية، وبالصحيح والفاسد من استعمالاتها من أمثال رشيد رضا، ممن ولد بعدهم بألف وبضع مئات من السنين.. خصوصاً وأنه ولد عاش في بيئة فسدت فيها اللغة، واختلط الحابل بالنابل.

---

(1) الآية 23 من سورة الشورى.

لا نساء ولا أبناء مع النجرانيين:

ويقول صاحب المنار أيضاً: إن وفد النجرانيين، «لم يكن معهم نساؤهم وأولادهم».

ونقول:

أولاً: أنه لم يقدِّم دليلاً على هذا النفي القاطع.. مع أن كلامه يخالف ما جرى عليه الناس آنئذٍ، فقد كانوا يصطحبون في أسفارهم ـ حتى للحرب ـ نساءهم وأطفالهم.. وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يصطحب بعض نسائه في حروبه، كأم سلمة، وعائشة.. وكانت معه نساء أخريات يداوين الجرحى، ويسقين المرضى، وقد شارك بعضهن في الذب عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم أُحد، وهي أم عمارة، نسيبة بنت كعب الأنصارية.

وكانت معه ابنته فاطمة «عليها السلام» في غزوة أحد، وهي التي ضمدت جراحه «صلى الله عليه وآله»، وكان علي «عليه السلام» هو الذي جاء بالماء من المهراس[1].

ثانياً: إن كلام رشيد رضا يخالف قوله تعالى: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا**

---

(1) راجع: تاريخ الخميس ج1 ص441 و 437 عن المواهب اللدنية، والسيرة الحلبية ج2 ص237 و 236 والكامل لابن الأثير ج2 ص157 و 158 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص200 و 201 والمغازي للواقدي ج1 ص290 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص17 وفي السيرة الحلبية ج2 ص236 و 237: أن سعداً هو الذي أتاه بالماء، فشرب منه ودعا له. ولكن الصحيح: هو أنه علي «عليه السلام» لتضافر الروايات عليه.

﴿وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾[1].. فإنها تدل على وجود أبناء ونساء مع وفد النجرانيين..

ثالثاً: وقد قدمنا: أن المقصود هو المباهلة بصنف خاص من الناس. يكون هو المسؤول عن حفظ الحق، والنموذج الأكمل والأفضل، والأمثل، وهو الأعلم بالشرع والدين، وكل شيء، والأكثر حكمة، ودراية، والمستعد للتضحية بكل شيء في سبيل الحق الذي يؤمن به. والملتزم بكل التعاليم والأحكام، والمعصوم عن أي خطأ أو زلل.

ولم يكن في المسلمين من هو بهذه المثابة سوى هؤلاء الخمسة.

وأما النجرانيون فعليهم أن يختاروا أيضاً أفضل من يحقق لهم غرضهم.. ممن يجدون فيه الأهلية والقدرة على المواجهة.

رابعاً: إن رشيد رضا نفسه يقول: «وكل ما يفهم من الآية: أمر النبي «صلى الله عليه وآله» أن يدعو المحاجين والمجادلين في عيسى «عليه السلام» من أهل الكتاب إلى الاجتماع رجالاً ونساءاً وأطفالاً، ويجمع هو المؤمنين رجالاً ونساءاً وأطفالاً الخ..». وقد أشار إلى هذا بعض الإخوة الأكارم.

المطلوب في المباهلة:

زعم صاحب المنار: أن كل ما يفهم من آية المباهلة: هو أن يدعو المحاجين، والمجادلين في عيسى من أهل الكتاب إلى جمع من لديهم، رجالاً، ونساءً، وأطفالاً، ويجمع هو المؤمنين رجالاً، ونساءً، وأطفالاً في صعيد واحد، ثم

---

(1) الآية 61 من سورة آل عمران.

يبتهلون إلى الله بأن يلعن الكاذب فيما يقول عن عيسى..

وهذا الطلب يدل على يقين صاحبه، وثقته بما يقول.. كما يدل امتناع النصارى عن ذلك: أنهم كاذبون، وأنهم لا يقين لهم بما يدعون..

ونجيب:

أولاً: ذكرنا آنفاً: أن هذا ليس هو المقصود بالمباهلة، لأن صاحب المنار نفسه قد أقرَّ: بأن وفد نجران ليس فيه نساء، ولا أبناء صغار.

ثانياً: قلنا: إن المقصود: هو أن يأتي كل فريق بالصفوة الذين يقولون بمقالته، ويقوم مقامه، سواء أكانوا أطفالاً، أو كباراً، ورجالاً، أو نساءً.. ممن لهم مواصفات وشرائط خاصة، وهي العلم والدراية، والحكمة، والعصمة، والطهارة، والالتزام، واليقين، وتحمل المسؤولية، بالإضافة إلى سائر الصفات الحميدة، والمزايا الفريدة.

ولم يكن في طرف المؤمنين والمسلمين من هو بهذه الصفة سوى هؤلاء الخمسة، وعلى النجرانيين أن يختاروا هم من يفي بغرضهم، من حيث جامعيته للمواصفات التي يرون أنها ضرورية.

ثالثاً: ظاهر كلام صاحب المنار: أن الآية يمكن أن يراد بها: أن يطلب النبي «صلى الله عليه وآله» من المتجادلين أن يرضوا بأن يدعو هو جميع المؤمنين رجالاً ونساءً، وأطفالاً.. وأن يدعو النصارى جميع من هم على مثل رأيهم، رجالاً، ونساءاً، وأطفالاً لأجل المباهلة.

وهذا لا يصح، لأنه غير ممكن التحقق، فإن جمع هؤلاء وأولئك من مختلف الأقطار والأمصار متعذر.. ويكون طلباً تعجيزياً، غير عقلائي، يهدف

إلى التهرب من الموضوع، مع أنه طلب يهدف إلى إحقاق الحق، وإبطال الباطل.

رابعاً: إن ما ذكره، من أن الآية تأمر بجمع المؤمنين للمباهلة، فيه نوع من التجني على المؤمنين، لأن شرط المباهلة: أن يكون المباهل على يقين من الموضوع الذي يراد إثباته بالمباهلة.

ولا يستطيع رشيد رضا ولا غيره أن يثبت وجود هذا اليقين لدى كل فرد من المسلمين.. بل لعل بعضهم لا يفقه كثيراً مما يقال حول هذه المسألة نقضاً وإبراماً، وربما لو عرضت عليه تحير فيها.. فلماذا يزجّ به في أمر لا يملك المؤهلات للدخول فيه؟!

المراد بالعلم:

وأما قول صاحب المنار: «أما كون النبي «صلى الله عليه وآله» والمؤمنين كانوا على يقين مما يعتقدون في عيسى «عليه السلام»، فحسبنا في بيانه قوله تعالى: ﴿**مِنْ بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ**﴾، فالعلم في هذه المسائل الإعتقادية لا يراد به إلا اليقين»..

فهو مردود عليه بما يلي:

أولاً: لأن هذا العلم إنما جاء لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا دليل يدل على أنه «صلى الله عليه وآله» قد أطلع عليه جميع المسلمين..

ثانياً: لنفترض: أنه «صلى الله عليه وآله» أطلع المسلمين كلهم، على ما جاءه من العلم، فمن الذي قال: إنه أطلع عليه بدقائقه وتفاصيله أطفالهم ذكوراً وأناثاً؟! بل لعل شطراً كبيراً من النساء أيضاً لم يطَّلعوا عليه، أو لم يدركوا دقائقه وتفاصيله.

ثالثاً: على أن المراد بالعلم في الآية هو عناصر الاحتجاج على النصارى.. وليس المراد به اليقين القلبي، وهذه العناصر إنما توجب اليقين لخصوص من اطَّلع عليها، وأدرك دلالاتها.. فهل يمكن الجزم بأن كل فرد مسلم قد حصل عليها، وأدرك دلالاتها؟!

والدليل على أن المراد بالعلم هنا هو طريقة الاحتجاج: أن العناصر التي يحتج بها، تحتاج إلى تعليم من قبل الله تعالى، كما دلت عليه الآية..

تدعون أبناءنا، وندعو أبناءكم:

وقد ذكر هذا الرجل: أن المراد بقوله تعالى: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ أحد وجهين:

أحدهما: أن يدعو كل فريق أبناء الفريق الآخر.

الثاني: أن يدعو كل فريق الأبناء من أهله.

ونقول:

ولازم ذلك: أن ينسحب هذان الاحتمالان على دعوة النساء والأنفس أيضاً..

وعلى هذا فإننا نجيب بما يلي:

أولاً: إذا كانت الآية تعطي النجرانيين الحق في اختيار الأبناء والنساء والأنفس من المسلمين.. فلماذا بادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى اختيار علي وزوجته وولديه «عليهم السلام» ليباهل بهم، ولم يترك للنجرانيين حرية الاختيار؟!

ولماذا لم يبادر هو «صلى الله عليه وآله» إلى اختيار عناصر المباهلة من بين نصارى نجران؟!

ثانياً: لو أن الاختيار كان للنصارى، فمن قال: إن النصارى سوف يختارون أيّاً من هؤلاء الخمسة الذين هم: النبي «صلى الله عليه وآله»، وعليٌّ، وفاطمة، والحسنان «عليهم السلام»، فلعلهم يختارون: الوليد بن عقبة، وعمرو بن العاص، ومعاوية، أو أي شخص آخر..

ومما يدل على أن رغبة النجرانيين كانت في استبعاد أشخاص بأعيانهم: ما تقدم، من أنهم قد تواصوا فيما بينهم: بأنه «صلى الله عليه وآله» إذا باهلهم بأهل بيته، أن لا يباهلوه، لأنه يكون صادقاً بلا ريب، وسينتهي الأمر بهلاكهم(1).

ثالثاً: إن النصارى قد لا يرضون بأن يختار المسلمون من يباهلونه من النصارى.. لأنهم يعرفون أن بعض النصارى أكفأ من بعض في هذا المجال.. وهم يجدون أنفسهم أمام مواجهة مصيرية، ويخشون من أن يختار المسلمون الأضعف من بين النصارى.

وربما كانوا يريدون أن يباهلوا بمن يرون له مقاماً عند الله.

أو يريدون اختيار البصير منهم بالمهارب والمسارب، التي تخرجهم من

---

(1) تفسير القمي ج1 ص104 وبحار الأنوار ج21 ص340 و 341 والبرهان (تفسير) ج1 ص629 ونور الثقلين (تفسير) ج1 ص347 وكنز الدقائق (تفسير) ج3 ص116 و 117 والتفسير الأصفى ج1 ص153 والتفسير الصافي ج1 ص344 والميزان (تفسير) ج3 ص228 و 229.

مأزقهم هذا، أو بمن يرون أنه الأعلم فيهم، أو الأكثر تشدداً في دينهم.

رابعاً: إذا كان الأمر على هذه الصورة، فإنه قد يعطي النجرانيين الذريعة لرفض المباهلة، بحجة أن هذا يتضمن تحكماً بهم، وإذلالاً لهم، وفرض شروط عليهم، وإكراههم على أمر لا يرضون بأن يكرههم أحد عليه.. فإن الرجل لا يدعو نفسه.

كيف يدعو النبي ' نفسه؟!:

بقي أن نشير إلى أن الآية لا تعني أن يقول النبي «صلى الله عليه وآله»: يا محمد، أخرج للمباهلة، لكي تتحقق الدعوة للأنفس، فإن الرجل لا يدعو لنفسه، بل المراد بكلمة: «أنفسنا وأنفسكم»: هو أن ينتدب صاحب الدعوة من بين المسلمين من يكون كالنبي، ويقوم مقامه، ويكون حضوره، وقوله، وتصرفه بمثابة حضور صاحب الدعوة، وهو النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه.

وأن ينتدب رئيس النصارى، وصاحب القول النافذ، والعظيم المطاع فيهم من يقوم مقامه، ويكون فعله وتصرفه، وموقفه بمثابة موقف، وفعل، وتصرف صاحب الدعوة.

الفصل الرابع:

ترهات وشبهات حول الأبناء..

أبناء المسلمين، أم أبناء الرسول؟!:

وقد يدور بخلد البعض: أن المراد بالأبناء في الآية: أبناء الدعوة، لا أبناء الرسول «صلى الله عليه وآله»..

ويؤيد هذا المعنى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخرج ابني بنته، لا ابنيه بالمباشرة.

ويؤيد ذلك أيضاً: أن الآية قالت: ﴿**أَبْنَاءَنَا**﴾، ولم يقل: ندع أبنائي..

فلو أتى بأي ابنين آخرين لبعض المسلمين الذين هم أصحاب الدعوة لكفى ذلك.

كما أن كلمة ﴿**وَأَنْفُسَنَا**﴾ يراد بها أي رجل كان من المسلمين، الذين هم أصحاب الدعوة، وليس المراد بها خصوص علي «عليه السلام».

وخروج علي «عليه السلام» لا لأجل أنه أريد بشخصه، بل لأنه رجل من المسلمين.

وهكذا يقال بالنسبة لكلمة ﴿**وَنِسَاءَنَا**﴾، فإنه لا يقصد بها خصوص فاطمة «عليها السلام».. وإنما أخرج «صلى الله عليه وآله» فاطمة، لأنها واحدة من نساء المسلمين.

ونجيب:

أولاً: قالوا: إن علياً «عليه السلام» قال يوم الشورى: «أنشدكم بالله، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله «صلَّى الله عليه وآله وسلم» في الرحم منّي، ومن جعله نفسه، وأبناءه أبناءه، ونساءه نساءه، غيري؟!

قالوا: اللّهمّ لا»(1)..

فإن هذا يدل على أن اختيار النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام».. كان وساماً لعلي بنظر علي «عليه السلام»، وكذلك بنظر من ناشدهم.. ولذلك اعترفوا له بهذه الفضيلة، وأنها من خصائصه.. وهو دليل فضله على غيره.

ومعنى هذا: أنه لم يختره لمجرد أنه رجل من المسلمين.. بل هو باختياره له قد جعله نفسه، وباختياره لأبنائه «عليهما السلام» جعلهما أبناء لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وباختياره لفاطمة «عليها السلام»جعل نساء علي «عليه السلام» نساء رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

فادّعاء أنه «صلى الله عليه وآله» اختار الحسنين، لأنهما ابنان لأحد المسلمين، واختار فاطمة لأنها من نساء المسلمين لا يصح..

ثانياً: قال الشعبي: «أبناؤنا: الحسن والحسين، ونساؤنا: فاطمة، وأنفسنا: علي بن أبي طالب»(2).

---

(1) بحار الأنوار ج35 ص267 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص432 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص1161 وكتاب الولاية لابن عقدة ص177 ودلائل الصدق ج2 ص85 والغدير ج1 ص161.

(2) دلائل الصدق ج2 ص85 والطرائف لابن طاووس ص47 وبحار الأنوار ج35

حيث حصر الأبناء بالحسنين «عليهما السلام»، والنساء بفاطمة «عليها السلام»، والأنفس بعلي «عليه السلام»، فلو كان الحسنان قد خرجا للمباهلة بعنوان أنهما من جملة أبناء المسلمين.. لما صح أن يحصر الشعبي الأبناء بالحسنين «عليهما السلام»، بل كان عليه أن يقول: الأبناء هم جميع أبناء المسلمين، والنساء جميع نساء المسلمين، والأنفس هم جميع رجال المسلمين..

ولكنه لم يقل ذلك كما رأينا.

ثالثاً: سيأتي في هذا الفصل ما يلي:

ألف: إن الإمام الكاظم «عليه السلام» احتج بآية المباهلة على أن الحسنين «عليهما السلام» أبناء رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ب: إن سعيد بن جبير احتج على الحجاج بهذه الآية على أن الحسن والحسين «عليهما السلام» ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ج: احتج يحيى بن يعمر بهذه الآية على الحجاج أيضاً لإثبات بنوَّتهما للرسول «صلى الله عليه وآله»..

فلو كان المراد بالأبناء: أبناء المسلمين، لما صح هذا الاستدلال في هذه الموارد..

ومن الواضح: أن هذا الاستدلال ليس استدلالاً بأمر تعبدي ثبت لهم بالنص.. فإن الأمر لو كان كذلك، لأفصحوا عنه، وذكروا لنا ذلك النص.. ولم يقبل منهم السكوت عنه.. بل هو استدلال بظهور الآية، من خلال دلالات

ص262 وأسباب نزول الآيات ص68 ونهج الإيمان لابن جبر ص346.

ألفاظها.

رابعاً: لو صح القول: بأن المقصود هو أبناء المسلمين، لا ابن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لكان المقصود بقوله تعالى: ﴿**وَأَنْفُسَنَا**﴾ جميع رجال المسلمين، لا خصوص النبي «صلى الله عليه وآله»، ومن يقوم مقامه.

خامساً: لو كان المقصود رجال المسلمين لكان ينبغي أن لا يقول: ﴿**وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ**﴾، بل كان عليه أن يقول: «رجالنا ورجالكم».

سادساً: إذا كان المقصود بالأبناء أبناء المسلمين، لا خصوص الحسنين «عليهما السلام»، فلا يصح أن يكون المقصود بالأنفس النبي «صلى الله عليه وآله».. لأن مرجع الضمير في قوله: «أنفسنا، وأبناءنا، ونساءنا» واحد.. وفي غير هذه الصورة يكون الكلام ركيكاً، لأنه يصير كقول القائل: إن لم يأت فلان مثلاً، فليمتني الله، وليمت معي أبناء الجيران، ونساء البلد الفلاني.

سابعاً: إن صيغ الكلمات الثلاث: «أبناءنا، ونساءنا، وأنفسنا» قد جاءت على نسق واحد، فهي جمع مضاف إلى ضمير المتكلمين.. فلماذا أخرج اثنين من الأبناء، وامرأة واحدة من النساء، ورجلاً من الأنفس؟!

ألا يدل هذا على أن لهؤلاء خصوصية اقتضت إخراجهم، وهي مفقودة في غيرهم، فلم يخرج من ذلك الغير أحداً لأجل ذلك؟!

وهذه الخصوصية هي التي دعت الزمخشري إلى القول: بأن في آية المباهلة دليلاً، لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء[1].

---

(1) راجع: الميزان (تفسير) ج3 ص274 و 275.

الحسنان ' أبناء الرسول ':

ظهر مما تقدم: أن آية المباهلة قد دلت على أن الحسن والحسين «عليهما السلام» هما ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الحقيقة، لأن الله تعالى أمره «صلى الله عليه وآله» بدعوة أبنائه، فدعاهما «عليهما السلام»، مع أنهما سبطاه، وابنا ابنته.

وبذلك يسقط المفهوم الذي كان معتمداً في الجاهلية، وهو أن الابن الحقيقي هو الحفيد، وهو ابن الابن، وليس ابن البنت.

وهو مفهوم مقيت وبغيض، وهو المنطلق للذين زعموا: أن قوله تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ**﴾[1] مختص بأبناء الأولاد الذكور، ولا يشمل أبناء البنات، فإذا أوقف الرجل داراً، أو أعطى، أو وهب لبنيه شيئاً، اختص ذلك ببنيه لصلبه، وأبنائهم حسب زعمهم..

واحتجوا بقول الشاعر:

بنونـــا بنـــو أبنائنـــا، وبناتنـــا بنـوهن أبنـاء الرجـال الأباعـد[2]

ونقل القرطبي: أن مالك بن أنس ـ إمام المذهب المالكي ـ لا يدخل

---

(1) الآية 11 من سورة النساء.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج2 ص155 و (ط دار المعرفة) ج2 ص160 والغدير ج7 ص121 عنه، والكافي لابن عبد البر ص540 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج11 ص28 وفيض القدير ج1 ص116 والجامع لأحكام القرآن ج16 ص79 وإمتاع الأسماع ج3 ص243.

أولاد البنات في الوقف الذي يكون على الولد، وولد الولد(1).

وقد اعتمد بنو أمية هذه السياسة، وأصروا على إنكار بنوَّةِ الحسنين «عليهما السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، انسجاماً منهم مع أهوائهم ومساعيهم لإثارة الشكوك، وإنكار إمامة أئمة أهل البيت «عليهم السلام».. بالإضافة إلى زعم بني أمية أيضاً أنهم أمسّ برسول الله «صلى الله عليه وآله» رحماً..

وقد تبعهم العباسيون على هذا الإنكار.. واعتبار أنفسهم الأحق بالخلافة، استناداً إلى القرابة..

ولم يكن هذا الأمر من اختراعات الأمويين والعباسيين، بل سبقهم إليه الذين اغتصبوا الخلافة من علي «عليه السلام» فور وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونكثوا البيعة التي أعطوه إياها يوم غدير خم، وكان منطلقهم في ذلك القول الذي أطلقه بعضهم، حيث قال: «وسعوها في قريش تتسع»(2).

وقد احتجوا يوم السقيفة على أنهم أحق من الأنصار بالخلافة: بأنهم أولياء النبي «صلى الله عليه وآله» وعشيرته، وبأنهم أمسّ برسول الله «صلى

(1) الجامع لأحكام القرآن ج7 ص32 والغدير ج7 ص123 عنه، وعمدة القاري ج14 ص48.

(2) السقيفة وفدك للجوهري ص70 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص43 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص195 ـ 196 وغاية المرام ج5 ص307 وج6 ص122 ودلائل الصدق ج4 ص282.

الله عليه وآله» رحماً، وهم عترة الرسول!![1].

وسار الأمويون على نفس هذا النهج، حتى لقد ذكروا أنه بعد سقوط حكم بني أمية، وتولي السفاح العباسي جاء عشرة من قواد أهل الشام، وأصحاب الرياسة فيها، وحلفوا له بالطلاق والعتاق، وصدقة ما يملكون: أنهم ما كانوا يعرفون إلى أن قتل مروان أقرباء للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية[2].

وقالت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب لمعاوية في جملة كلام لها معه: «ونبينا «صلى الله عليه وآله» هو المنصور، فوليتم علينا من بعده، تحتجون بقرابتكم من رسول الله الخ..»[3].

---

(1) راجع: نهاية الأرب ج8 ص168 وعيون الأخبارلابن قتيبة ج2 ص233 والعقد الفريد ج4 ص258 وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج3 ص220 و (ط الأعلمي) ج2 ص457 والإمامة والسياسة (ط الحلبي بمصر) ج1 ص14 و 15 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص7 و 8 و 9 و 11 والأدب في ظل التشيع ص24 نقلاً عن البيان والتبيين للجاحظ، والإمام الحسين للعلايلي ص186 و 190 وبحار الأنوار ج28 ص335 والإمامة والسياسة لابن قتيبة (تحقيق الشيري) ج1 ص24 والشافي للشريف المرتضى ج3 ص187 وغيرهم.

(2) النزاع والتخاصم ص28 ومروج الذهب ج3 ص33 والفتوح لابن أعثم (ط الهند) ج8 ص195 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج7 ص159 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج3 ص159.

(3) العقد الفريد ج2 ص120 والغدير ج10 ص167 عنه، والطرائف لابن طاووس ص28 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص183 وجواهر المطالب لابن الدمشقي

ثم جاء بنو العباس، فساروا على نفس هذا النهج، وأنكروا حق ذرية علي وفاطمة عليهم بالخلافة، حتى قال قائلهم:

أنى يكون وليس ذاك بكائن   لبني البنات وراثة الأعمام

وقال السيد الحميري مخاطباً بني العباس:

وورثتموه وكنتم أولى به   إن الولاء تحوزه الأرحام

وقال ابن المهاجر البجلي، الموالي للعباسيين:

أيها الناس اسمعوا أخبركم   عجباً زاد على كل عجب

عجباً من عبد شمس إنهم   فتحوا للناس أبواب الكذب

ورثوا أحمد فيما زعموا   دون عباس بن عبد المطلب

كذبوا والله ما نعلمه   يحرز الميراث إلا من قرب(1)

وقال الكميت عن الأمويين:

وقالوا: ورثناها، أبانا وأمنا   ولا ورثتهم ذاك أم ولا أب(2)

وكانت تجري محاورات بين الأئمة وحكام بني العباس حول هذا الأمر، فكان الله يظهر الحق على لسان الأئمة «عليهم السلام»، ويبطل كيد الخائنين.

ج2 ص249 وجمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ج2 ص381.

(1) مروج الذهب ج3 ص33 والنزاع والتخاصم ص28.

(2) الدرجات الرفيعة ص566 والروضة المختارة (شرح القصائد الهاشميات) كميت بن زيد الأسدي ص32 والعقد الفريد ج2 ص120.

ويمكن مراجعة ما دار بين المأمون والإمام الرضا «عليه السلام»، حيث اضطَّر المأمون إلى الاعتراف بأقربية آل علي من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: «أنتم والله أمسّ برسول الله رحماً»(1).

كما أن الرشيد العباسي حينما حجّ وزار المدينة، جاء إلى قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: السلام عليك يا ابن عم.

فجاء الإمام الكاظم «عليه السلام» وقال: السلام عليك يا أبه..

فتغير وجه الرشيد، وتبين الغيظ فيه.. فكان ذلك سبب أخذ الإمام إلى السجن، وجرى عليه ما جرى(2).

آية المباهلة أخرستهم:

تحدثنا النصوص: أنه قد كان لآية المباهلة دور في فضح هؤلاء المتآمرين على دين الله، وعلى الإمامة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودحض شبهاتهم، فلاحظ النصوص التالية:

---

(1) كنز الفوائد ص166 والفصول المختارة ص15 و 16 وبحار الأنوار ج49 ص188 ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج1 ص100.

(2) كشف الغمة ج3 ص20 والإرشاد للمفيد ج2 ص234 والفصول المختارة ص36 وكنز الفوائد ص166 والإحتجاج للطبرسي ج2 ص167 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص434 وبحار الأنوار ج25 ص243 وج48 ص136 وج93 ص239 وتاريخ بغداد ج13 ص32 وتهذيب الكمال ج29 ص50 وسير أعلام النبلاء ج6 ص273 وتاريخ الإسلام للذهبي ج12 ص418 وإعلام الورى ج2 ص28 والدر النظيم ص654 وكشف الغمة ج3 ص22.

1 ـ كان مما احتج به الإمام الحسن «عليه السلام» على معاوية قوله:

«فأخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي، ومن النساء فاطمة أمي، من الناس جميعاً.

فنحن أهله، ولحمه، ودمه، ونفسه، ونحن منه، وهو منا»[1].

2 ـ إن أمير المؤمنين «عليه السلام» احتج يوم الشورى على المجتمعين: بأن الله تعالى جعله نفس النبي «صلى الله عليه وآله»، وجعل ابنيه ابنيه، ونساءه نساءه[2].

3 ـ عن الشعبي، قال: كنت عند الحجاج، فأُتِيَ بيحيى بن يعمر، فقيه خراسان، من بلخ، مكبلاً بالحديد، فقال له الحجاج: أنت زعمت: أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال: بلى.

---

(1) ينابيع المودة ص479 عن الزرندي المدني، وص482 و 52 والبرهان (تفسير) ج2 ص286 وأمالي الطوسي ج2 ص172 وفي (ط دار الثقافة قم) ص564 وبحار الأنوار ج10 ص141 وج69 ص154 وكتاب الولاية لابن عقدة ص186.

(2) ينابيع المودة ص266 عن الدارقطني، والصواعق المحرقة ص154 و (ط2 سنة 1385هـ) ص156 وفضائل الخمسة ج1 ص250 وحياة أمير المؤمنين «عليه السلام» للسيد محمد صادق الصدر ص205 عن الصواعق، وبحار الأنوار ج35 ص267 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص432 وكشف الغمة للإربلي ج1 ص385 وكتاب الولاية لابن عقدة ص177 ودلائل الصدق ج2 ص85 و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج4 ص405 والفصول المهمة لابن الصباغ ج2 ص1161 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج3 ص65 و 66.

فقال الحجاج: لتأتيني بها واضحة بيّنة من كتاب الله (!!)، أو لأقطعنَّك عضواً عضواً..

فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله يا حجاج.

قال: فتعجبت من جرأته بقوله: يا حجاج.

فقال له: ولا تأتني بهذه الآية: ﴿**نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ**﴾.

فقال: آتيك بها بيّنة واضحة من كتاب الله، وهو قوله: ﴿**وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ..**﴾ إلى قوله: ﴿**وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى**﴾[1]. فمن كان أبو عيسى، وقد ألحق بذرية نوح؟!.

قال: فأطرق الحجاج ملياً، ثم رفع رأسه فقال: كأني لم أقرأ هذه الآية من كتاب الله.. حلُّوا وثاقه الخ ..».

وعند المرزباني في نور القبس: أنَّ الحجاج طلب منه أن لا يعود لذكر ذلك، ونشره[2].

4 ـ وهناك قصة أخرى للحجاج مع سعيد بن جبير، استدل فيها سعيد بما يلي:

---

(1) الآيتان 84 و 85 من سورة الأنعام.

(2) تفسير الرازي ج2 ص194 والمستدرك للحاكم ج3 ص164 وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج2 ص247 و 248 والدر المنثور ج3 ص28 عن ابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم، والبيهقي، والغدير ج7 ص123 عن تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج2 ص155 ومقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص89 وراجع: العقد الفريد ج5 ص20 ونور القبس ص21 و 22 والكنى والألقاب ج1 ص12.

أولاً: استدل بآيتي سورة الأنعام: ﴿**وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى**﴾[1].

ثانياً: استدل بآية المباهلة، فراجع[2].

5 ـ وبمثل ذلك، احتجَّ الإمام الكاظم «عليه السلام» على هارون الرشيد أيضاً[3].

6 ـ إن الرازي في تفسير الآيتين من قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ..**﴾.. إلى قوله: ﴿**وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى**﴾[4] ـ بعد أن ذكر دلالة الآية على بنوة الحسنين «عليهما السلام» للنبي «صلى الله عليه وآله» ـ قال ـ: «ويقال: إن أبا جعفر الباقر استدل بهذه الآية عند الحجاج بن يوسف»[1].

وبعدما تقدم نقول:

---

(1) الآيتان 84 و 85 من سورة الأنعام.

(2) مقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص89 و 90 وبحار الأنوار ج43 ص229 والخصائص الفاطمية للكجوري ج2 ص558.

(3) نور الأبصار ص148 و 149 وعيون أخبار الرضا ج1 ص84 و 85 ونور الثقلين (تفسير) ج1 ص289 و 290 والميزان (تفسير) ج3 ص230 والبرهان (تفسير) ج1 ص289 وذخيرة المعاد (ط. ق) للسبزواري ج1 ق3 ص487 وجواهر الكلام ج16 ص95 وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج2 ص80 والإحتجاج ج2 ص164 وبحار الأنوار ج48 ص128 و 123 وج93 ص240 وراجع: الإختصاص ص54 وتحف العقول ص426.

(4) الآيتان 84 و 85 من سورة الأنعام.

(1) التفسير الكبير للرازي ج13 ص66 والتفسير الكاشف ج3 ص219 وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج1 ص241 عنه.

نلاحظ هنا ما يلي:

ألف: إن موقف الحجاج وغيره ممن هم على شاكلته، وخصوصاً الأمويين الذين مكَّنوا له ـ إن موقفهم ـ من آية المباهلة غريب وعجيب، حتى لقد شرط الحجاج على يحيى بن يعمر: أن لا يستدل بآية المباهلة على أن الحسنين «عليهما السلام» ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على مدى إحراج هذه الآية لهم، حيث رأوا فيها سداً منيعاً أمام سياساتهم الرعناء والخبيثة تجاه علي وأهل البيت «عليهم السلام».

ب: إن محاولة الحجاج فرض شروطه على يحيى بن يعمر، وتدخله في تحديد طبيعة الاستدلال، وأن يكون قرآنياً، ثم استبعاد دليل بعينه ـ يعلم أنه لا مخرج له منه، وهو آية المباهلة ـ لهو بغي عظيم، وظلم فاحش وجسيم.

ج: وأفحش من هذا: أن يجعل عقوبة ولا أقسى منها على ابن يعمر، إن لم يستطيع أن يأتيه بالدليل على أمر يحتاج استخراجه من القرآن إلى مهارة عالية جداً، لا نحسب أن الناس كانوا قد بلغوها في ذلك الزمان..

ثم بالغ في عتوه، وفي تكريس هذا النهج الجائر حين اشترط عليه أن تكون الحجة واضحة، بيِّنة.

د: إنه حين عجز الحجاج من مواجهة الحجج القاطعة لابن يعمر شرط عليه: أن لا يعود لذكر ذلك ونشره.. وهذا بغي آخر على الناس، وعلى الحق والدين.

هـ: إن ما روي من حوارات بين الأئمة «عليهم السلام» وبين خصومهم من الخلفاء وغيرهم، كالذي روي عن الإمام الرضا «عليه السلام» والمأمون،

والكاظم «عليه السلام» والرشيد.. يدل على إصرار خصومهم على هذه السياسات الخبيثة والظالمة.

و: إن ثبوت أن ابن البنت ابن من جهة الأب، أو من جهة الأم ليس نزاعاً لغوياً، بل هو تأكيد وترسيخ يرتبط بالحقوق والأحكام، والواجبات، والعلاقات الاجتماعية وسواها.

الإستدلالات مأخوذة من الأئمة ^:

ونكاد نطمئن إلى أن هذه الأدلة القرآنية الدقيقة، والأجوبة العميقة، تنتهي إلى أئمة أهل البيت الذين كانوا يلقونها إلى الناس بطريقة أو بأخرى. وقد رأينا أن الإمام علياً، وكذلك الإمام الحسن «عليهما السلام» قد استدلا بآية المباهلة، لإثبات حقهما في الإمامة في موقفين هما من أخطر المواقف وأشدها حساسية، وهما:

1 ـ إن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» احتج بها في جمع أهل الشورى التي فرضها عمر، ورسم مسارها، وحدد نتائجها بالشروط التي وضعها، أو التي لا يمكن إلا أن تؤدي إلى تولية عثمان.

2 ـ احتج بها الإمام الحسن «عليه السلام» حين كان لا بد له من حفظ الإسلام والمسلمين ـ ولو بأدنى درجات الحفظ ـ من بطش معاوية، من خلال ما عرف بالصلح الحسني.. فخطب «عليه السلام» الناس ومعاوية حاضر، واستدل بصورة دقيقة على أن الحق في الإمامة والخلافة منحصر فيهم.. وكانت آية المباهلة هي أحد هذه الأدلة على أنهم من رسول الله.. ورسول الله «صلى الله عليه وآله» منهم، وذلك لإبطال شائعات أعدائهم، الهادفة إلى إنكار هذه

الحقيقة.

ومما يدل على أن الأئمة «عليهم السلام» كانوا يلقون للناس بالأدلة والشواهد على الحق الرواية التالية:

قال محمد بن يعقوب: عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن ظريف، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: قال [لي] أبو جعفر «عليه السلام»:

يا أبا الجارود، ما يقولون لكم في الحسن والحسين «عليهما السلام»؟!

قلت: ينكرون علينا أنهما ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال: فأي شيء احتججتم عليهم؟!

قلت: احتججنا عليهم بقول الله عز وجل في عيسى بن مريم «عليهما السلام»: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى**﴾(1). فجعل عيسى بن مريم من ذرية نوح «عليه السلام».

قال: فأي شيء قالوا لكم؟!

قلت: قالوا: قد يكون ولد الإبنة من الولد، ولا يكون من الصلب.

قال: فأي شيء احتججتم عليهم؟!

قلت: احتججنا عليهم بقول الله تعالى لرسوله «صلى الله عليه وآله»:

---

(1) الآيتان 84 و 85 من سورة الأنعام.

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾(1).

قال: فأي شيء قالوا؟!

قلت: قالوا: قد يكون في كلام العرب أبناء رجل، وآخر يقول: أبناؤنا.

قال: فقال أبو جعفر «عليه السلام»: يا أبا الجارود، لأعطينّكها من كتاب الله جل وتعالى أنهما من صلب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لا يردها إلا كافر.

قلت: وأين ذلك جعلت فداك؟!

قال: من حيث قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ﴾ الآية.. إلى أن انتهى إلى قوله تبارك تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾(2).

فسلهم يا أبا الجارود، هل كان يحل لرسول الله «صلى الله عليه وآله» نكاح حليلتيهما؟!

فإن قالوا: نعم. كذبوا وفجروا..

وإن قالوا: لا. فهما ابناه لصلبه(1).

---

(1) الآية 61 من سورة آل عمران.

(2) الآية 23 من سورة النساء.

(1) البرهان (تفسير) ج3 ص60 و 61 والكافي ج8 ص317 وراجع تفسير القمي ج1 ص215 وبحار الأنوار ج43 ص240 و 232 وج93 ص239. وراجع: تفسير القمي ج1 ص209 والحدائق الناضرة ج12 ص398 وج22 ص244 وجواهر الكلام ج16 ص93 وتفسير نور الثقلين ج1 ص348 وتفسير الميزان

ونقول:

1 ـ إن هذه الرواية المباركة دلت على أن الإمام «عليه السلام» يتابع تفاصيل التفاصيل في النشاطات الثقافية، ويسأل عن كل كلمة قيلت، وما لاقته من قبول أو رد.

ثم هو يسهم في إثراء الواقع الثقافي، من خلال سدِّ ما يجده من ثغرات فيه. فإن القوة في الفكر وفي الحجة تعطي الرضا، والثقة بالنفس، والقوة والثبات والصلابة في الموقف.. وتذكي الطموح إلى المزيد، والسعي للحصول على كل جديد.

2 ـ كما أن هذه الرواية تؤكد على ما ألمحنا إليه، من أن الأمر في بنوة الحسنين «عليهما السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليس نزاعاً في أمر لغوي وحسب.. وإلا، فلماذا يريد الحجاج أن يقطع يحيى بن يعمر عضواً عضواً؟!

ولماذا انحصر النزاع في خصوص الحسن والحسين؟! أليس لأجل إثارة الشبهة حول معنى الإمامة فيهما «عليهما السلام»؟!

3 ـ ومما يؤكد على أن هذا الأمر يرتبط بالأحكام، والحقوق، والعلاقات الاجتماعية، زيادة على ما ورد في رواية أبي الجارود: فتوى مالك بن أنس بعدم دخول ولد البنات في الوقف على الولد وولد الولد، ثم في آثار هذه السياسة في استبعاد أولاد البنات عن دائرة القرابة من قطع للأرحام، ومن جفاء وإقصاء..

ج7 ص263 والعدد القوية للحلي ص40.

يضاف إلى ذلك: ما ينشأ من عقد نفسية، وما يلحق البنية الاجتماعية من تصدعات واختلالات..

ويكفي أن نشهد هذا البغي الظاهر، الهادف لإقصاء أئمة الهدى «عليهم السلام» عن مراكزهم التي وضعهم الله تعالى فيها، وحرمان الأمة من التفيؤ بظلالهم، والكون تحت جناحهم، والفوز برضاهم ومحبتهم، والاستفادة من علومهم، ومن حكمتهم، وما إلى ذلك..

قصة ذكوان بين الوجدان والسياسة:

واللافت هنا: أننا حين نراجع الأحداث التاريخية نجد: أن الوجدان كان دائماً يصادم السياسة الظالمة، والغاشمة، ويظهر قوته، وتتجلى غلبته عليها، ونذكر من ذلك الشواهد التالية:

1 ـ عن ذكوان، مولى معاوية، قال: «قال معاوية: لا أعلمنَّ أحداً سمى هذين الغلامين (يعني الحسن، والحسين «عليهما السلام») ابني رسول الله «صلى الله عليه وآله». ولكن قولوا: ابني علي «عليه السلام».

قال ذكوان: فلما كان بعد ذلك، أمرني أن أكتب بنيه في الشرف.

قال: فكتبت بنيه وبني بنيه، وتركت بني بناته.. ثم أتيته بالكتاب، فنظر فيه، فقال: ويحك، لقد أغفلت كُبر بنيّ!

فقلت: من؟!

فقال: أما بنو فلانة ـ لابنته ـ بَنِيَّ؟!

قال: قلت: الله!! أيكون بنو بناتك بنيك، ولا يكون بنو فاطمة بني

رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

قال: ما لك؟! قاتلك الله! لا يسمعنَّ هذا أحد منك؟! »[1].

2 ـ إن الإمام الحسين «عليه السلام» ناشد جيش يزيد، فقال: أنشدكم الله، هل تعرفوني؟!

قالوا: نعم، أنت ابن رسول الله وسبطه»[2].

وهناك الكثير من النصوص الدالة على أن الحسنين ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد ذكرنا اليسير منها في كتابنا سيرة الحسين، في الفصل الأخير من الجزء الرابع، ولو أراد أحد جمع هذه النصوص فلربما احتاج إلى مجلدات.

---

(1) كشف الغمة للأربلي ج2 ص355 و (ط دار الأضواء) ج2 ص172 وبحار الأنوار ج33 ص258 ومواقف الشيعة ج2 ص65.

(2) الأمالي للصدوق ص140 و (ط مؤسسة البعثة) ص222 واللهوف لابن طاووس ص52 وبحار الأنوار ج44 ص318 والعوالم، الإمام الحسين ص167 والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص240 ولواعج الأشجان ص112.

الفصل الخامس

إمامــة.. وكرامــة..

أتحبهم يا سلمان؟!:

عن سلمان الفارسي «رحمة الله عليه» قال: دخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعنده الحسن والحسين يتغديان، والنبي «صلى الله عليه وآله» يضع اللقمة تارة في فم الحسن، وتارة في فم الحسين، فلما فرغ من الطعام أخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحسن على عاتقه، والحسين على فخذه، ثم قال لي: يا سلمان أتحبهم؟!

قلت: يا رسول الله! كيف لا أحبهم ومكانهم منك مكانهم؟!

قال: يا سلمان! من أحبهم فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله.

ثم وضع يده على كتف الحسين «عليه السلام»، فقال: إنه الإمام ابن الإمام، تسعة من صلبه، أئمة أبرار، أمناء، معصومون، والتاسع قائمهم[1].

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

---

(1) كفاية الأثر للخزاز ص44 ـ 45 و (ط الخيام ـ قم سنة 1401هـ ق) ص193 ـ 194 والصراط المستقيم ج2 ص119 وإثبات الهداة ج1 ص577 وبحار الأنوار ج36 ص304 وفضائل أمير المؤمنين لابن عقدة ص154 ونفس الرحمن في فضائل سلمان ص393 والعوالم (ط3) ج3 ص120.

حب الحسنين ‘ :

ما أكثر الأحاديث التي تؤكد على حب النبي «صلى الله عليه وآله» للحسنين، وحث الناس على حبهما «عليهما السلام».

فنحب لفت النظر إلى الأمور التالية:

الأول: إن الله سبحانه حين جعل الأنبياء والأئمة قادة وهداة، ومربين، وحكَّاماً على الناس، فإنه أراد أن يكون النبي والإمام بمثابة الوالد الرحيم للأمة، وأن تكون علاقتهم به علاقة حب واحترام، وتوقير، ومعرفة، ونصرة، وطاعة، ومعونة.

والآيات والروايات الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى..

ومن يراجع كتابنا: «دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام»، في مقال بعنوان: «الحب في التشريع الإسلامي» يجد بعضاً من ذلك.

أما الحكام من طلاب الدنيا، فإنهم يقيمون علاقتهم بالناس على أساس القوة، ومقدار ما يمتلك الحاكم منها في مختلف المجالات.. ويا ليته يكتفي بذلك، بل هو يسعى باستمرار إلى رفد هذه القوة بممارسة فنون القهر، والظلم، واستلاب قدرات الناس، ليضيفها إلى ما لديه.. حيث إنه لا يطمئن إلى بقاء الملك في يديه إلا بذلك، بل هو قد يشعر بأن هذا الاستلاب والعدوان على الآخرين يضاعف حاجته إلى البطش والعدوان والقهر لهم.

ومن الواضح: أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم إذا كانت تقوم على أساس الحب المتبادل، والاحترام والشعور بالمسؤولية، والتقدير، والتوقير، والطاعة الطوعية، فإنها تنتج التكامل، والتعاون، والسعي لتحقيق الأهداف

المشتركة في التكامل والتنامي، والسمو الروحي، والرقي في مختلف المجالات، وبلوغ الآمال بالوصول إلى الكمال، والحصول على الخير، والوصول إلى الصلاح، والفلاح، والسعادة والنجاح.

وإذا كانت تقوم على القهر والابتزاز، والاستغلال، والظلم، فلا تعاون، ولا ثقة متبادلة، ولا احترام، ولا محبة، ولا مشاركة، ولا سعادة، ولا أمل بمستقبل زاهر رغيد.

الثاني: إن محبة الإمام تقود إلى محبة من انبثق هو عنه، وينتمي إليه وإلى نهجه، ويستفيد من أدبه وعلمه، ومن صنع وجدانه، وصاغ أخلاقه، ومنحه القيم المجيدة، والمثل الفريدة، وما إلى ذلك.. وما هو إلا رسول الله «صلى الله عليه وآله».

والحب هو انسجام، وانقياد، وألفة قلبية، وتفاعل مشاعري، وإنما يتحقق ذلك.. من خلال تلمس الصفات والسمات الروحية والإنسانية، والطهر والخلوص، والإخلاص في المحبوب.

وهذا هو المعيار لكل حب، ومودة، ينتج الحنين، ويهب الشعور بالسلام والسعادة.. ولعل قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «من أحبهم، فقد أحبني» يشير إلى هذه الحقيقة.

الثالث: إن ذلك يوضح لنا المراد أيضاً من قوله «صلى الله عليه وآله»: «ومن أحبني فقد أحب الله»، فإن الله سبحانه هو الذي صنع ورعى وهدى، وربّى الأنبياء والأوصياء، والهداة والقادة الإلهيين للأمم.. على قاعدة: ﴿**وَلِتُصْنَعَ**

عَلَى عَيْنِي﴾[1]. وقوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[2].

وقوله «صلى الله عليه وآله»: أدبني ربي، فأحسن تأديبي[3].

فإن الله سبحانه يتولى تربيتهم، وتعليمهم، وزيادة إمكاناتهم بتوفيقاته لهم.. وبما يمنحهم إياه من العلم، والدين، والسلوك وكل شيء، لأنه يريد لهم أن يكونوا النموذج الكامل للإنسان الإلهي الذي يحقق أهداف الله تعالى في هذا الكون الرحيب.

أنا سلم لمن سالمهم:

عن زيد بن يثيع قال: سمعت أبا بكر الصديق يقول:

رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال ـ وقد خيَّم خيمة، وهو متكئ على قوس عربية، وفي الخيمة علي، وفاطمة، والحسن، والحسين «عليهم السلام» ـ:

أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، وولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد، طيب المولد، ولا يبغضهم إلا شقي الجد، رديء

---

(1) الآية 39 من سورة طه.

(2) الآية 41 من سورة طه.

(3) بحار الأنوار ج16 ص210 وج68 ص382 وسنن النبي (مع ملحقات) ص11 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج11 ص233 والجامع الصغير ج1 ص51 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج7 ص214 وج11 ص406 وفيض القدير ج1 ص291 وكشف الخفاء ج1 ص70 ومجمع البيان (تفسير) ج10 ص86 وسبل الهدى والرشاد ج2 ص93 والنهاية لابن الأثير ج1 ص4.

الولادة.

فقال رجل: يا زيد، أنت سمعت من أبي بكر هذا؟!

قال: إي ورب الكعبة[1].

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما نشير إليه فيما يلي من عناوين:

من هو الصديق؟!:

لقد وصف زيد بن يثيع أبا بكر بالصديق، وهو الوصف الذي يصر محبو أبي بكر على إطلاقه عليه.. غير أننا ذكرنا في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»[2]: أن هذا الوصف خاص بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام».. وأوردنا روايات كثيرة بعضها صحيح على شرط الشيخين حول هذا الأمر..

بل في بعضها: أن علياً «عليه السلام» خطب على منبر البصرة فقال: أنا

---

(1) راجع: الفصول المئة ج3 ص288 عن فرائد السمطين ج2 ص373 والأربعون حديثاً لمنتجب الدين بن بابويه ص19 والمناقب للخوارزمي ص296 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج1 ص174 وشرح إحقاق الحق ج9 ص165 وج18 ص415 وج25 ص238 وج26 ص259 وج27 ص95 وج33 ص89 وشرح الأخبار ج3 ص515 والغدير ج1 ص336 وج4 ص323 والنص والإجتهاد ص90 عن سمط النجوم ج2 ص488 والرياض النضرة (ط مكتبة الخانجي بمصر) ج2 ص189.

(2) الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج8 ص311.

الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذَّاب مفتري. وسند هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين(1).

والمراد بكلمة «بعدي»: «غيري»، إلا كذَّاب.. وليس المراد بالبعدية: البعدية الزمانية، ليقال: إن أبا بكر كان صدِّيقاً في حياته، ثم صار عليٌّ صدِّيقاً.

فهل أقحمت كلمة الصديق في كلام زيد بن يثيع؟! أم ماذا؟!

---

(1) مستدرك الحاكم ج3 ص112 وتلخيصه للذهبي (هامش نفسه الصفحة)، والأوائل ج1 ص195 وفرائد السمطين ج1 ص248 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج13 ص228 وراجع ج1 ص30 والبداية والنهاية ج3 ص26 والخصائص للنسائي ص46 بسند رجاله ثقات، وسنن ابن ماجة ج1 ص44 بسند صحيح، وتاريخ الأمم والملوك (ط مؤسسة الأعلمي) ج2 ص56 والكامل في التاريخ ج2 ص57 وذخائر العقبى ص60 عن الخلفي، والآحاد والمثاني (مخطوط في كوپرلي) رقم 235 ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (مخطوط في مكتبة طوپ قپوسراي رقم 497) ج1 وتذكرة الخواص ص108 عن أحمد في المسند وفي الفضائل، وفي هوامش ترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ ابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج1 ص44 و 45 عن: مصنف ابن أبي شيبة ج6 الورق 155/أ وكنز العمال (ط 2) ج15 ص107 عن ابن أبي شيبة، والنسائي، وابن أبي عاصم في السنة، والعقيلي والحاكم وأبي نعيم وعن العقيلي في ضعفائه ج6 الورق 139 ومعرفة الصحابة لأبي نعيم ج1 الورق 22/أ، وتهذيب الكمال للمزي ج14 الورق 193/ب وعن تفسير الطبري، وعن أحمد في الفضائل الحديث 117 ورواه في ذيل إحقاق الحق ج4 ص369 عن ميزان الإعتدال ج1 ص417 وج2 ص11 و 212 والغدير ج2 ص314 عن كثير ممن تقدم وعن الرياض النضرة ص155 و 158 و 127 وراجع: اللآلي المصنوعة ج1 ص321..

هذا الحديث فاجأ البعض:

رأينا أن الرجل الذي سمع هذا الحديث من ابن يثيع سأله قائلاً: «يا زيد، أنت سمعت من أبي بكر هذا؟!

فقال: أي ورب الكعبة».

فنلاحظ:

ألف: يبدو: أن هذا الرجل قد فوجئ بما سمعه، وكأنه لم يصدق بأن أبا بكر يمكن أن يروي هذه الرواية.. ربما لأنه يعرف: أن أول المتضررين من هذه الرواية، هو أبو بكر نفسه، ومعه كل فريقه الذي هاجم نفس هؤلاء الأربعة الذين قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنه سلم لمن سالمهم، وحرب لمن حاربهم.. إلى آخر كلامه «صلى الله عليه وآله».

فإن أبا بكر قد انتزع الخلافة من علي بالقوة والقهر، وهاجم بيته، وعمل على إحراقه بمن فيه، وليس فيه سوى هؤلاء الصفوة الأطهار، واعتدى على فاطمة وضربها، وأسقط جنينها، من خلال فريقه الذي أعانه على غصب الخلافة منهم.

ب: الشاهد على هذه المفاجأة: أن ابن يثيع، قد احتاج إلى التوسل بالقسم ليقنع ذلك الرجل: بأنه قد سمع ذلك من أبي بكر مباشرة، ولا ينقل عنه بواسطة أحد، ليظن ذلك الرجل: أن من الجائز أن يكون ذلك مكذوباً على أبي بكر.

ج: يلاحظ: أن الإفراج عن أمثال هذه الحقائق من قبل المعتدين على أهل البيت «عليهم السلام» قد تكرر كثيراً في حياة الذين يتضررون منها،

وعلى السنتهم، ومن خلالهم، فكيف نفسر ذلك؟!

ويجاب:

بأن هذا البوح ربما كان يأتي في الأوقات التي يطمئن فيها هؤلاء إلى أن شبح الخطر قد ابتعد، وتلاشى، أو يكاد.. وظنهم: أن اليأس قد تسرب إلى قلوب أصحاب الحق، أو اعتقادهم: أن علياً «عليه السلام» لن يجازف بتعريض الإسلام للخطر، مهما كانت الظروف..

وقد ساعد على تكوين هذه الفكرة، وبلورة هذا الشعور لديهم: تصريحات أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه، أكثر من مرة بهذا الأمر، حتى لقد قال: «لأسلمن (لأسالمن) ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة»[1].

القوس العربية لماذا؟!:

ويتبادر إلى الذهن سؤال عن سبب اتكاء النبي «صلى الله عليه وآله» على السلاح، ولماذا على القوس لا على السيف مثلاً، ولماذا اختار «صلى الله عليه وآله» أن تكون القوس عربية؟!..

ونجيب:

أولاً: إنه «عليه السلام» اتكأ على السلاح، ليجسد لهم معنى الحرب

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص124 وبحار الأنوار ج29 ص612 والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للهمداني ص703 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص166.

التي هدَّدهم بها، وليدل على أنه قاصد على الحقيقة.

ثانياً: اتكأ «صلى الله عليه وآله» على السلاح فعلاً ولم يقتصر على إظهاره أو اشهاره.. ليظهر معنى الاعتماد الفعلي عليه، وأن الأمر لا يقتصر على مجرد البغض القلبي، أو العداء القولي الذي يقتصر على المقاطعة والمنافرة. فالسلاح هو الذي يفصل النزاع، ويحسم الأمور..

ثالثاً: إنه «صلى الله عليه وآله» اختار القوس، دون السيف، أو الرمح، ربما ليدل على أن حربهم لأهل بيته لن تكون معلنة في حياته، وإنما هم سوف يشهرونها بصورة عملية بعد وفاته «صلى الله عليه وآله».

وهذا لا يعني: أن حرب النبي «صلى الله عليه وآله» لهم تصبح غير ممكنة، بل هو يحاربهم بوسائل وأشكال مختلفة ومتعددة.. ولا يلتفتون إلى أكثرها، فهو يحاربهم من خلال تصريحاته، وتوجيهاته في حال حياته، التي تبقى آثارها وتفاعلاتها تتجدد وتتوالى بعد وفاته، في محيط أهل الإيمان، والمخلصين الأتقياء، والأبرار الأوفياء.

ومن مظاهر حربه لهم بعد وفاته: أنه هو الذي سيكون خصمهم يوم القيامة. وويل لمن يكون خصمه النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته الطاهرون المعصومون.

وبذلك يتضح: أن القوس هو الأنسب للتعبير عن هذا المعنى، لأنه يعتمد الرمي من بعيد.. وفيه تسديد، وقصد، وبذل جهد، وتحديد هدف، وما إلى ذلك..

والأهم من ذلك: توفر القدرة على الإطلاق والإصابة دون أن يعرف

مصدره، ولا من رماه..

أما السيف وسواه، كالرمح، فإنما يستفاد منه في الاشتباك المباشر والمعلن، وهذا لا يعطي إمكانية حربهم بعد الوفاة، وفي يوم القيامة أيضاً.

رابعاً: إن اختيار أن تكون القوس عربية، ربما يرمز إلى التناقض القبيح بين شعارات هؤلاء المعتدين، وبين ممارساتهم وسياستهم، وإلى أن عملهم سيكون مرتكزاً إلى الخداع والتزوير، لأن هؤلاء المعتدين، بزعامة قريش، ومن ورائهم أكثر العرب، هم الذين سوف يحاربون أهل هذا البيت الطاهر، ويقصونهم عن مراكزهم، ويقتلونهم ويشردونهم، ويمنعون عنهم وسائل العيش الكريم، وينكلون بهم، ويلاحقونهم تحت كل حجر ومدر، وفي كل سهل وجبل، وبر وبحر، وذلك تحت شعار العروبة، وإظهار العصبية لها، ولأجلها، وعلى أساسها تمنح الامتيازات الظالمة، ويعذبون ويظلمون ويسفكون الدماء بالاستناد إليها.

وفي نفس الوقت يعلمون: أن أشرف الخلق، وأكرمهم على الله والصفوة والقدوة والأسوة، هم أصل العرب، ولكنهم يحاربونهم، ويسعون في استئصالهم وإبادتهم على بكرة أبيهم، في حين أن عروبة زعماء هذه الحرب العربية المزعومة مشوبة بكثير من الأكدار والأقذار.

رديء الولادة وطيب الولادة:

وهذا الشوب بالأكدار والأقذار في نسب هؤلاء هو الذي أشار إليه «صلى الله عليه وآله» في كلامه الذي نقله عنه أبو بكر نفسه بقوله: «لا يحبهم إلا سعيد الجد، طيب المولد.. ولا يبغضهم إلا شقي الجد، رديء الولادة»..

فاختيار أن تكون القوس عربية، ربما كان إشارة إلى هذه الحقيقة التي تظهر هذه المفارقة.

لماذا الخيمة والقوس؟!:

إن مما يلفت النظر هنا: هو أن ينصب النبي «صلى الله عليه وآله» خيمة، ثم يتكئ على قوس عربية، فلماذا نصب النبي «صلى الله عليه وآله» الخيمة؟! ألم يكن بإمكانه أن يكلم الناس من منزله، أو من مسجده؟!!

ولماذا أحضر «صلى الله عليه وآله» علياً وفاطمة، والحسن والحسين «عليهم السلام» إلى الخيمة؟! ألم يكن يكفي أن يقول ما أراد وهو في خيمته، بين أصحابه المتحلقين حوله؟!

ومن المعلوم: أن الناس كانوا يعرفون من أحضرهم، معرفة تامة.. ألا يغني ذكر أسمائهم لهم عن إحضاره لهم إلى الخيمة؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن إلقاء الكلام إلى الناس بصورة مباشرة وعابرة، والاعتماد على ذلك في الاحتفاظ به في ذاكرتهم، هو الطريقة المثلى، في مجالات وضع القانون لضبط الحركة، وتوفير النظام، ثم تنتفي ضرورة استحضاره لضآلة فرص استثمارها.

ولكن الأمر بالنسبة للأمور التي تلامس الاعتقاد، وتدخل في دائرة البنى التأسيسية للكفر والإيمان.. وغيرها من أمور يطلب حضورها الدائم في وعي الناس، في كل زمان، فليس الأمر كذلك، لأن إلقاء الكلام مجرداً قد لا يكفي في تحقيق ذلك، لأن مصير ما يلقيه سيكون هو: أن تحيله القوة المدركة في أول فرصة إلى مخازنها، ثم تأتي التراكمات بعده، فتغيبه عن دائرة الضوء،

وسيصعب العثور عليه بعدها في أعماق الذاكرة عندما ما تمس الحاجة إليه.

من أجل ذلك، تمس الحاجة إلى ربط المضمون بحدث معين، أو بأمور عملية عينية، ذات طابع إيحائي، لكي يبقى شاخصاً في وعي الإنسان.. ويصبح تغييبها أبطأ، وأصعب، لأن مقارنتها بالحدث تضخم حجمها، وتخرجها عن كونها مجرد صوت، أو نقش في كتاب تتلقفه القوة المدركة، ثم يبدأ بالابتعاد، والغموض والتلاشي في غمرة الصخب والجلب.

آثار ونتائج:

وقد دلت رواية أبي بكر المتقدمة: على أن حرب أهل الخيمة، ستكون لها آثار ونتائج ودلالات، لا يرضاها مؤمن ولا مسلم، ولا إنسان كريم لنفسه..

وهذه الآثار هي التالية:

أولاً: إن على من يحارب أصحاب الخيمة: أن يضع في حسابه: أنه لا يحاربهم وحدهم، بل سيجد نفسه محارباً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي هو دائماً معهم وإلى جانبهم.. الأمر الذي يجب أن يحمل ذلك الطامح والطامع على مراجعة حساباته.. كرات ومرات قبل أن يقدم على أمر من هذا القبيل.

ثانياً: إن ذلك يعني: أن الحرب سوف تمتد وتستمر من الحياة الدنيا إلى الآخرة.

ثالثاً: إنها ستكون حرباً مصيرية شاملة، لا يمكن تدارك نتائجها، إلا بالتراجع عنها قبل حصولها.

رابعاً: إن من يحارب أصحاب الخيمة، سيجد نفسه في موقع المتلبس بعناوين كريهة ومؤذية، مثل عنوان: المبطل والضال، والظالم، والمعتدي، وغير ذلك من صفات وسمات رديئة.. لأن أهل الخيمة باستمرار في موقع المحق، والمهتدي والمظلوم..

خامساً: إن حربه لهم سوف تخرجه من الإيمان، ومن الدين بصورة حقيقية ونهائية، لأن من يحارب رسول الله «صلى الله عليه وآله» محارب لله، وكافر بلا ريب.

سادساً: إذا كان من يحبهم سعيد الجد، والحظ سريًّا، فإن من يبغضهم يكون رديء الحظ شقياً..

ومن كان كذلك، فإنه سيجد نفسه محاصراً بشقائه، عاجزاً عن التخلص والتملص من براثنه، لأنه هو الذي صنعه لنفسه، بسبب سوء اختياره، وإقدامه على حرب أصحاب الخيمة، وبذلك يكون قد جعل مستقبله ومصيره خارج دائرة اختياره، بعد أن فرض هو على نفسه سوء الطالع والشقاء، وجلب لنفسه هذا البلاء والعناء..

سابعاً: إن حرب أهل الخيمة سيكون بمثابة إعلان كريه عن رداءة ولادة ذلك المحارب لهم «عليهم السلام».

والظاهر: أن تعبيره «صلى الله عليه وآله» برداءة الولادة، إنما عنى به: ما روي في كثير من النصوص، من أن علامة خبث الولادة، وأنها عن زنى: بغض علي «عليه السلام»[1].

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج39 ص300 و 301 و 264 وج38 ص100 و 189

فقد قال أنس بن مالك: ما كنَّا نعرف الرجل لغير أبيه، إلا ببغض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[1].

وقال أنس أيضاً في خبر طويل: وكان الرجل من بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه، ثم يقف على طريق علي، فإذا نظر إليه يوجِّهه بوجهه تلقاءه، وأومأ بإصبعه: أي بني تحب هذا الرجل المقبل؟!

وج36 ص246 وج27 ص145 و 151 وج60 ص237 وج87 ص104 وراجع: الأمالي للصدوق ص136 و 383 وروضة المتقين ج8 ص644 و 645 و 647 والوافي ج23 ص1381 وعلل الشرائع ج1 ص142 و 143 و 145 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص10 ومن لا يحضره الفقيه ج3 ص493 والثاقب في المناقب ص123 و 124 وشجرة طوبى ج1 ص32 وإعلام الورى ج1 ص202 و 319 وج3 ص73 وج7 ص128 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج2 ص319 و (الإسلامية) ج2 ص568 ومشارق أنوار اليقين ص85 وغاية المرام ج1 ص177 وج3 ص78 وج5 ص16 وج6 ص162 وج7 ص41 وكمال الدين ص261 والإحتجاج ج1 ص88 والفصول المهمة للحر العاملي ج3 ص290 ومستدرك الوسائل ج2 ص39 و 165 وشواهد التنزيل ج1 ص448 وأسنى المطالب ص57 والغدير ج3 ص26 وج4 ص322 ونهج الإيمان ص456 وشرح الأخبار ج1 ص152 و 168 و 447 والمحتضر ص142 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص159 وبشارة المصطفى ص96 وينابيع المودة ج1 ص397.

(1) راجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص10 وبحار الأنوار ج39 ص269 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص329 والكنى والألقاب ج1 ص163 ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص76.

فإن قال الغلام: نعم، قبله.

وإن قال: لا، خرق به الأرض، وقال له: الحق بأمك، ولا تلحق بأبيك بأهلها [كذا]، فلا حاجة لي فيمن لا يحب علي بن أبي طالب «عليه السلام»[1].

وعن أبي الزبير قال: رأيت جابراً يتوكأ على عصاه وهو يدور في سكك المدينة (الصحيح: في سكك الأنصار) ومجالسهم وهو يقول: علي خير البشر، فمن أبى فقد كفر.. معاشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي، ومن أبى فلينظر في شأن أمه[2].

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة..

وبعدما تقدم نقول:

ألف: إن أحداً يحترم نفسه، لا يرضى بأن يوصم بهذا العار، ولا يضع نفسه في موضع الخزاية.

ب: علينا أن نبيِّن أن ثمة فرقاً بين الحالات التي تشي بعدم الانسجام بين بعض الناس، وبين أهل الخيمة، فقد يكون ذلك ناشئاً من التجاذب المسبب عن شبهة تعرض في أمر بعينه، وقد يكون الطمع هو الدافع لهذا التجاذب.

وفي هذه الحالات، إذا لم يصاحب ذلك التجاذب بغض، وعدوان، فلا

---

(1) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (ط بيروت) ج2 ص224 وتاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر) ج42 ص288 و (ط مكتبة المرعشي) ج15 ص611 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج15 ص611 وج21 ص364 وبحار الأنوار ج39 ص263 و 287.

(2) راجع: رجال الكشي ص43 و 44.

يوجب ذلك طعناً في طهارة المولد، لأنه تجاذب يزول بزوال أسبابه، ولا يتعدى مورده ليتحول إلى بغض وعداوة.. بل يكون هذا وأشباهه من إفرازات الجهل، والأنانية، والاختلالات الأخلاقية والنفسية وما إلى ذلك..

ج: إن المحارب والمبغض لأهل تلك الخيمة المباركة إذا رضي لنفسه أن يعرف بهذه الخزاية، فإنه يكون قد أخرج نفسه عن دائرة الكرامة، وتخلى عن إنسانيته، بإخراجها من الإيمان والإسلام..

وهذا هو الشقاء والخسران الذي فرضه هو على نفسه، وإنما على نفسها جنت براقش.

حزقة.. عين بقة: معناه ومغزاه:

وروى في المناقب، عن مرزد قال: سمعت [أبا هريرة] يقول سمع أذناي هاتان، وبصر عيناي هاتان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو آخذ بيديه جميعاً بكتفي الحسن والحسين، وقدماهما على قدم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويقول: ترق. عين بقة.

قال: فرقا الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم قال له: افتح فاك، ثم قبّله..

ثم قال: اللهم أحبه، فإني أحبه.

وهذا الحديث رواه آخرون عن أبي هريرة، وقالوا: إن ذلك كان مع الإمام الحسين «عليه السلام»[1].

---

(1) ذخائر العقبى ج2 ص43 و (ط مكتبة القدسي) ص122 عن مصادر كثيرة ومناقب

وفي كتاب ابن البيع، وابن مهدي، والزمخشري قال: حُزُقَّة، حُزُقَّة، ترق عين بقة.. اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه.

الحزقة: القصير، الصغير الخطو، وعين بقة: أصغر الأعين.

وقال: أراد بالبقة فاطمة[1]، فقال للحسين: يا قرة عين بقة ترق[2].

آل أبي طالب ج3 ص388 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص159 وبحار الأنوار ج43 ص286 و 287 وج36 ص313 وج16 ص295 و 297 وج61 ص317 وكفاية الأثر ص11 و 12 والاستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص397 و 398 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص40 وبغية الطلب لابن العديم ج6 ص2572 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص50 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج11 ص294 و 300 وج27 ص57 وج33 ص581 وتنبيه الخواطر ج2 ص604 و 605 ومجمع الزوائد ج9 ص176 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص194 والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص40 وينابيع المودة ج2 ص40 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص649 وفضائل الصحابة لابن حنبل ج2 ص787 والإصابة ج2 ص77 و (ط دار الكتب العلمية) ج2 ص62 وتهذيب مستمر الأوهام ج14 ص67 ومعرفة علوم الحديث ج1 ص89 وحياة الحيوان ج1 ص154 و (ط دار الكتب العلمية) ج1 ص222 والجمهرة في لغة العرب لابن دريد ج1 ص238 ومختصر تذكرة القرطبي ص222 والمختار في مناقب الأخيار، وغير ذلك.

(1) في النسخ المطبوعة: «أراد بالبقة عين فاطمة»، وما في الصلب هو الصحيح المطابق للمصدر ج3 ص388.

(2) مناقب آل أبي طالب ج3 ص388 و 389 و (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص159 وبحار الأنوار ج43 ص286 و 287 والأدب المفرد للبخاري ص62 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج19 ص225 وج26 ص42 و 44 و 397 و 407

وقال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

«قال الجزري: فيه: أنه «عليه الصلاة والسلام» كان يرقص الحسن أو الحسين ويقول: حزقة، حزقة، ترق عين بقة.

فترقى الغلام حتى وضع قدميه على صدره.

الحزقة: الضعيف المقارب الخطو من ضعفه، وقيل: القصير العظيم البطن، فذكرها له على سبيل المداعبة والتأنيس له.

وترق بمعنى اصعد.

وعين بقة كناية عن صغر العين.

وحزقة مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: أنت حزقة، وحزقة الثاني كذلك، أو أنه خبر مكرر.

ومن لم ينون حزقة، فحذف حرف النداء. وهي في الشذوذ كقولهم: أطرق كرا، لأن حرف النداء إنما يحذف من العلم المضموم أو المضاف. انتهى.

والحزقة بضم الحاء المهملة، والزاء المعجمة، وفتح القاف المشددة.. والظاهر: أن عين بقة كناية عن صغر الجثة، لا صغر العين.

ويمكن أن يكون مراده ذلك، بأن يكون مراده بالعين النفس، أو أن

وج33 ص412 و 466 وشجرة طوبى ج1 ص30 ومجمع الزوائد ج9 ص176 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص514 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج13 ص649 ـ 650 و 666 ـ 667 و 669 وتاريخ مدينة دمشق ج13 ص194 و 195 وحياة الحيوان الكبرى ج1 ص223 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص50 و 51 وسبل الهدى والرشاد ج9 ص368 و 369.

وجه التشبيه بعين البقة صغر عينها.

ولكن الزمخشري صرح في الفائق بذلك حيث قال: وعين بقة منادى. ذهب إلى صغر عينيه، تشبيهاً لهما بعين البعوضة». انتهى[1].

وذكر ابن منظور: أن بقة موضع بالعراق، قريب من الحيرة، كان به جذيمة بن الأبرش. وقيل: إنه على شاطئ الفرات[2].

ونقول:

في هذه الرواية مواقع للنظر، نجملها على النحو التالي:

أبو هريرة: عدو لعلي × وأهل بيته:

إننا لا نريد أن نناقش في أسانيد هذه الرواية ومتونها المختلفة.. فحسبها أن راويها هو أبو هريرة الدوسي المعروف بجرأته على المحظورات الكبرى، ولاسيما إذا كان يريد التزلف لمعاوية، أو لغيره..

ويكفي أن نذكر: أنه حين دخل الكوفة، مع معاوية بعد إبرام ما سمي بـ «الصلح» مع الإمام الحسن «عليه السلام»، فلما بلغ باب مسجد الكوفة جثا على ركبتيه، وضرب على صلعته مراراً، وقال:

«يا أهل العراق، تزعمون أني أكذب على رسول الله، وأحرق نفسي بالنار؟! والله لقد سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «إن لكل نبي حرماً، وإن حرمي في المدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً

---

(1) بحار الأنوار ج43 ص286 و 287.

(2) راجع: لسان العرب ج10 ص24 و 25.

فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين». وأشهد: أن علياً أحدث فيها.

فلما بلغ معاوية قوله أجازه، وأكرمه، وولاه إمارة المدينة»[1].

كما أن الإسكافي عدَّه في جملة قوم وضعهم معاوية على رواية أخبار قبيحة في علي «عليه السلام» تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه. فروى أبو هريرة قصة خطبة بنت أبي جهل إلخ..[2].

وزعم أبو هريرة أيضاً: أنه رأى الحسين حين ولد على يد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد خضبها دماً[1].. مع أنه إنما قدم إلى المدينة بعد ولادة الحسين «عليه السلام» بعدة سنوات.. وغير ذلك كثير..

لا يلعب ولا يرقص:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» في أعلى درجات العصمة، وهو الذي

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص67 عن الإسكافي، وشجرة طوبى ج1 ص96 وتحف العقول ص194 والغارات للثقفي ج2 ص659 والإيضاح لابن شاذان ص495 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج1 ص45 وكتاب الأربعين للشيرازي ص295 وخلاصة عبقات الأنوار ج3 ص255 والنص والإجتهاد ص514 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص529 وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص43 وأضواء على السنة المحمدية ص216 و 218 ونهج السعادة ج8 ص486 ووضوء النبي للشهرستاني ص232 وشيخ المضيرة ص236 والكنى والألقاب ج1 ص179 وحياة الإمام الحسين ج2 ص157 ونهاية الدراية للسيد حسن الصدر ص22.

(2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص63 و 64.

(1) المستدرك للحاكم ج3 ص159 وفتح الباري ج9 ص286 وشرح نهج البلاغة ج4 ص63 و 64.

أعلن إمامة الحسن والحسين «عليهما السلام». والإمام لا يكون إلا معصوماً في جميع أموره، وسائر أدوار حياته.

والترقيص: نوع من اللهو واللعب، ولا يمكن أن يلعب المعصوم، نبياً كان أو إماماً، كما تقدم في فصل: «لا يلعب المعصوم».

فمن لا يلهو ولا يلعب ـ كما تقول الرواية ـ هل يرقص؟! وهل يدعوه النبي المعصوم إلى الرقص؟!

فلا معنى للتعبير بالترقيص، كما يقول الجزري، نعم يمكن للنبي «صلى الله عليه وآله» أن يلاطف أطفاله، بصورة هادفة، وسليمة وقويمة، ورصينة، ليس فيها عبث ولا لهو..

ونحن نعلم: أن الإمام علياً «عليه السلام» قد كذَّب معاوية في نسبته الدعابة إليه، فقال «عليه السلام»: عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ، أُعَافِسُ وأُمَارِسُ الخ..(1).

هذه معانٍ رديئة:

ثم إن المعاني التي ذكرت لكلمة: حزقه، وعين بقة ليست في أكثرها ذات

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص147 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص269 وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم ص162 وبحار الأنوار ج30 ص285 وج33 ص223 ومناقب أهل البيت للشيرواني ص455 والأمالي للطوسي ص131 وحلية الأبرار ج2 ص415 والغارات للثقفي ج2 ص514 والفايق للزمخشري ج3 ص203 وأنساب الأشراف ج2 ص127 و 145 و 151 والنهاية في غريب الحديث ج1 ص194 و 196 و 252.

مدلول رضي، ولا مؤنس، بل هي مداليل تحمل معها معنى الانتقاص والإهانة.

فقد قيل في معنى الحزقة: إنه الشحيح، والدميم، والضيق القدرة، والرأي، والسيء الخلق، والقصير الضخم البطن، والضعيف المتقارب الخطى لضعفه، أو القصير المتقارب الخطى.. كما أنه يشير إلى الخبر الناقص، الذي لا محصِّل له، أو يشير إلى الشد، والتضييق، أو إلى الضراط ـ ضراط الحمار ـ وما إلى ذلك.

وقيل: المراد بالبقة: فاطمة، كما تقدم.

والبقة: هي البعوض، أو الدارج في حيطان البيوت، أو هي دويدة مثل القملة، حمراء، نتنة الريح، تكون في السرر والجدر، وهي التي يقال لها: بنات الحصير، إذا قتلتها شممت لها رائحة اللوز المر.

والبقة: كثير الكلام، أخطأ أو أصاب، وقيل: هو كثير الكلام، مخلط.

وقالوا: عين بقة كناية عن صغر العين، أو كناية عن صغر الجثة.

وهذا كله يشير إلى أن المراد أمران:

أحدهما: الانتقاص من شخصية الإمام الحسن والإمام الحسين أو أحدهما «عليهما السلام»، والتسبب بالتنفير والاشمئزاز، والقرف.

الثاني: الطعن في توازن وفي شخصية وفي عواطف الرسول الأعظم، فإنه «صلى الله عليه وآله» أشار بكلامه هذا إلى وجود معانيَ منفرة في الإمام، فلماذا أحبه، وكيف يدعو الناس إلى محبة من هذا حاله؟!

كما أن انطباق هذه الصفات أو بعضها على الحسن «عليه السلام»، يسلب عنه معنى الإمامة الذي لا يكون في من يكون منظره منفراً، وموحشاً.

بل يكون مؤنساً، بريئاً من أي عيب ونقص، كما تقدم في بعض فصول هذا الكتاب..

فلماذا يخلط أبو هريرة لنا الصحيح بالسقيم، ويدس السم في الدسم، والباطل بالحق؟!

رابعاً: هل صحيح أن المراد بالبقة هي فاطمة الزهراء «عليها السلام»؟! وهل كانت «عليها السلام» ضئيلة الجسد، صغيرة الحجم، إلى حدٍّ يصحح إطلاق وصف البقة عليها؟!

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» يحب الإمام الحسن «عليه السلام» إلى هذا الحد، فلماذا لم يقل عنه: إنه قرة عينيه هو، أو قرة عين علي «عليه السلام»؟!

وما شأن فاطمة هنا حتى يوجه إليها أبوها هذه الإهانة؟!

أليس ذلك لأجل استكمال الجهد الذي يبذل لتصغير شأنها، بسبب موقفها من الذين هاجموها، وضربوها، وأسقطوا جنينها، كرمى لعين الطامعين بالخلافة والسلطة؟!

خامساً: هل تلك المعاني التي تضمنتها الكلمات المنسوبة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» هي التي يريد الله ورسوله منا: أن نثقف أولادنا بها؟! وأن نطبع إيحاءاتها في نفوسهم؟! ونكرس الفشل والخيبة والإحباط، وسائر آثارها الهدامة لشخصيتهم.. نكرسها في عقولهم؟!

وهل هذه هي اللغة التي يحب الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» أن نخاطب بها هؤلاء الصفوة، وأن تهيمن على أرواحهم ومشاعرهم «عليهم

السلام»، وتكون هي التي تؤنسهم، وتبعث البهجة في نفوسهم، بدلاً من الكلمة الطيبة والصافية، والرضية؟!

وختاماً نقول:

إننا لا نحتاج من أجل إثبات حب النبي «صلى الله عليه وآله» للحسن والحسين «عليهما السلام» إلى هذه الرواية ونظائرها مما يحمله لنا أبو هريرة وأضرابه، فلدينا الكثير الكثير مما يدل على ذلك..

هدية الأعرابي للحسن والحسين ’:

قال العلامة المجلسي «رحمه الله»: «روي في بعض الأخبار: أن أعرابياً أتى الرسول «صلى الله عليه وآله»، فقال له: يا رسول الله، لقد صدت خشفة غزالة، وأتيت بها إليك هدية لولديك الحسن والحسين، فقبلها النبي «صلى الله عليه وآله» ودعا له بالخير، فإذا الحسن «عليه السلام» واقف عند جده، فرغب إليها، فأعطاه إياها.

فما مضى ساعة إلا والحسين «عليه السلام» قد أقبل، فرأى الخشفة عند أخيه يلعب بها، فقال: يا أخي، من أين لك هذه الخشفة؟!

فقال الحسن «عليه السلام»: أعطانيها جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فسار الحسين «عليه السلام» **مسرعاً إلى جده، فقال:** يا جداه، أعطيت أخي خشفة يلعب بها، ولم تعطني مثلها.. وجعل يكرر القول على جده، وهو ساكت، لكنه يسلي خاطره، ويلاطفه بشيء من الكلام، حتى أفضى أمر

الحسين «عليه السلام» إلى أن همَّ يبكي.

فبينما هو كذلك، إذ نحن بصياح قد ارتفع عند باب المسجد، فنظرنا فإذا ظبية ومعها خشفها، ومن خلفها ذئبة تسوقها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتضربها بأحد أطرافها، حتى أتت بها إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

ثم نطقت الغزالة بلسان فصيح، وقالت: يا رسول الله، قد كانت لي خشفتان: إحداهما صادها الصياد، وأتى بها إليك. وبقيت لي هذه الأخرى. وأنا بها مسرورة، وإني كنت الآن أرضعها، فسمعت قائلاً يقول: أسرعي أسرعي يا غزالة، بخشفك إلى النبي محمد، وأوصليه سريعاً، لأن الحسين واقف بين يدي جده، وقد هم أن يبكي، والملائكة بأجمعهم قد رفعوا رؤوسهم من صوامع العبادة، ولو بكى الحسين «عليه السلام» لبكت الملائكة المقربون لبكائه.

وسمعت أيضاً قائلاً يقول: أسرعي يا غزالة قبل جريان الدموع على خدِّ الحسين «عليه السلام»، فإن لم تفعلي سلطت عليك هذه الذئبة تأكلك مع خشفك.

فأتيت بخشفي إليك يا رسول الله، وقطعت مسافة بعيدة، ولكن طويت لي الأرض حتى أتيتك سريعة، وأنا أحمد الله ربي على أن جئتك قبل جريان دموع الحسين «عليه السلام» على خده.

فارتفع التهليل والتكبير من الأصحاب، ودعا النبي «صلى الله عليه وآله» للغزالة بالخير والبركة.

وأخذ الحسين «عليه السلام» الخشفة، وأتى بها إلى أمه الزهراء «عليها

السلام»، فَسُرَّت بذلك سروراً عظيماً»(1).

ونقول:

إدراك الحيوانات:

لا حاجة إلى التذكير بأن الإدراك لا ينحصر في الإنسان، والجن، والملك، بل للحيوانات، والحشرات، والطير أيضاً درجات من الإدراك، بل لسائر المخلوقات أيضاً من الشجر، والحجر، والجمادات، والأرض والسماوات مثل ذلك، ولها لغاتها، وحيثياتها، وكراماتها، وحقوقها، وطاعاتها، وما إلى ذلك، وقد خاطبها الله تعالى، وكلَّفها، وأمرها، ونهاها، ولها يوم القيامة شأن وحساب، وعقاب يناسب حالها، فيقتص للجمَّاء من القرناء، ويعاقب من اعتدى عليها..

وحديث النملة وكذلك حديث الهدهد، فيما يرتبط ببلقيس، وقومها، مع سليمان.. وسائر ما ذكرناه، قد سجَّله القرآن، أو نطقت به الأحاديث الشريفة في عشرات، بل في مئات النصوص..

بل تضمنت هذه الرواية طي الأرض للغزالة أيضاً، وقد أدركت هي ذلك، وأخبرت به النبي «صلى الله عليه وآله».

ونلاحظ أيضاً: أن الغزالة قد نطقت باللغة العربية، حسب الظاهر، ففهم الناس ذلك، وهللوا، وكبَّروا لما سمعوه منها..

---

(1) بحار الأنوار ج43 ص312 و 313 ومدينة المعاجز ج3 ص528 ـ 530 والعوالم، الإمام الحسين ج17 ص41 و 42 والمنتخب للطريحي ص123.

وقد أشرنا إلى بعض من ذلك في كتابنا: حقوق الحيوان في الإسلام، وفي غيره من مؤلفاتنا..

المعصوم لا يلعب ولا يلهو:

وقد تحدثنا في كتابنا هذا في فصل مستقل عن أن المعصوم لا يلهو ولا يلعب، نبياً كان أو إماماً.. ولكن هذه الرواية تقول عن الإمام الحسين «عليه السلام»: «فرأى الخشفة عند أخيه يلعب بها».

ويقول الإمام الحسين «عليه السلام» أيضاً: «يا جداه، أعطيت أخي خشفة يلعب بها، ولم تعطني مثلها»؟! فكيف نفسر ذلك؟!

ونجيب:

بأن الأنبياء والأئمة «عليهم السلام» يتحدثون مع الناس باللغة التي يعرفها الناس، ويتعاملون بها، ويتحاشون الكلام بطريقة تؤدي إلى غلو الناس فيهم، فإذا كان الناس يصفون تصرفات صغار السن باللعب، لأنهم يظنون أن كل طفل صغير، يمارس حركاته من دون هدف، ولا يفرقون بين حركات المعصوم وغيره.. فإن الأئمة والأنبياء أيضاً يستعملون نفس هذه الكلمة، ولكنهم يؤسسون لتصحيح هذه النظرة لدى الناس بالتصريحات، أو بالممارسات التي تعرفهم: أن للقاعدة التي يعتمدونها استثناءات، فيقولون لهم: إن المعصوم لا يلهو ولا يلعب، أو إن المعصوم نفسه حين يكون في مرحلة الطفولة، يثبت لهم بأقواله وأفعاله: أن له مقاصد نبيلة وجليلة من كل تصرف يصدر منه، وكل حركة يمارسها.

وقد تقدم في فصل: «لا يلعب المعصوم» بعض المفردات والشواهد التي

تدخل في هذا السياق، فلا نعيد..

أمور تحتاج إلى تأمل:

لكن الرواية المتقدمة تحتاج إلى المزيد من التدقيق والتحقيق، للإجابة على العديد من الأسئلة، فلاحظ ما يلي:

ألف: يلاحظ: أن الأعرابي قد ذكر للنبي «صلى الله عليه وآله»: أن الخشفة التي جاء بها أراد أن تكون للحسن والحسين «عليهما السلام»، فكيف سلمها النبي «صلى الله عليه وآله» للحسن «عليه السلام».

ب: يلاحظ: أنه حين جاء الحسين «عليه السلام»، وطالب بمساواته بأخيه، لماذا لم يخبره النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه شريك لأخيه بتلك الخشفة، واكتفى بملاطفته بالكلام، بالرغم من أن البعض ظن أن الإمام الحسين «عليه السلام» همَّ أن يبكي.

ج: هل المطلوب: هو إظهار قسوة النبي حتى على أطفاله الصغار؟! فكيف يمكن أن تكون معاملته للغرباء الكبار، أو أن المطلوب هو إظهار مدى ولع الإمام الحسين «عليه السلام» باللعب؟! لكي توضع علامة استفهام على إمامته؟!

وقد يجاب عن ذلك كله: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي يطلعه الله تعالى على غيبه كان يشارك في التمهيد لصنع الكرامة للإمام الحسين «عليه السلام»، وكذلك الإمام الحسين «عليه السلام» نفسه كان بكلامه هذا يشارك في ذلك.. فإن المطلوب للنبي «صلى الله عليه وآله» هو استدراج إلحاح الإمام الحسين «عليه السلام» بطلب الخشفة، لكي تأتي المفاجأة بالكرامة

الكبرى بمجيء الغزالة مع خشفها الآخر، يسوقها ذئب، ثم تتكلم الغزالة بلسان فصيح، وتخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بما فيه كرامة عظيمة للإمام الحسين «عليه السلام»، من سماع تلك الغزالة للنداء، ومضمونه، بالإضافة إلى ما ذكرته من طي الأرض لها.

ولا بد أن نضيف هنا: أن مشاركة الغزالة والذئب في صنع هذه المعجزة، والكرامة، يشير إلى أن لهذه المخلوقات شأناً حتى في هداية البشر، وفي تأكيد الحقائق الإيمانية، وترسيخها في وجدان الناس..

الكرامات:

ولا بأس بالإشارة هنا إلى أن الكرامات التي يظهرها الله تعالى للأنبياء، والأئمة، والأولياء لها فوائد كثيرة، نذكر منها هنا ما يلي:

1 ـ إنها تكريم وتعظيم لمن تكون الكرامة من أجله، أو بسببه..

2 ـ إنها ثقافة ووعي لواقع بالغ الأهمية، وشديد الصلة بالأهداف الربانية، من حيث إنه تعالى يريد أن يترقى بمخلوقاته من حضيض التعامل مع المحسوسات، وما هو قريب من الحس ليصل بهم إلى درجات أعلى، وأغلى، وأسمى، وأنمى، وأبقى.. حيث يعطيهم القدرة على التصرف بالمخلوقات، من خلال وسائل علمية، صحيحة، وبالغة التأثير.. كما أشير إليه في قوله تعالى عن آصف بن برخيا، بخصوص عرش بلقيس: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾[1].

---

(1) الآية 40 من سورة النمل.

3 ـ كما أنه يريد من المؤمن: أن تطوى له الأرض، وأن يشفي المرضى بلمسة، أو بدعاء، وأن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين، وأن يأتيه رزقه، ولو لم يطلبه، كما جرى لمريم بنت عمران، وما إلى ذلك.

4 ـ إن هذه الكرامات تعمِّق العلاقة بين الناس، وبين ذوي الكرامة، وترسِّخ إيمانهم، وتضاعف يقينهم.

5 ـ هي وسيلة هداية للناس، تمنحهم السكينة، والطمأنينة، والشعور بالثقة بالنفس، ومن موجبات الثبات على الحق.

6 ـ هي ألطاف إلهية بالبشر، وهي جزء من حياة الأنبياء، والأئمة والصالحين «صلوات الله عليهم أجمعين».. ويريد الله تعالى أن تصبح من ركائز ومظاهر الحياة للمؤمنين، وللبشر أجمعين.. فلا يبقى مجال للإنكار، بل لا بد من التفكر والاتعاظ والاعتبار.

الفصل السادس:

الحسنان ‘ في آية التطهير..

الحسن في آية التطهير وحديث الكساء:

قالوا: إن النبي «صلى الله عليه وآله»: جمع علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين «عليهم السلام» معه تحت كساء خيبري فدكي، في حجرة أم سلمة وفي يومها، فقال:

اللهم هؤلاء أهل بيتي، وهؤلاء أهلي وعترتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً.

فقالت أم سلمة: أدخل معهم يا رسول الله؟!

قال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يرحمك الله، أنت على خير، وإلى خير، وما أرضاني عنك، ولكنها خاصة لي ولهم.

وفي نص آخر: قالت: يا رسول الله، هل أنا من أهل بيتك؟!

فقال: لا، ولكنك إلى خير، أو نحو ذلك.

ثم مكث رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك بقية عمره، حتى قبضه الله إليه، يأتينا في كل يوم عند طلوع الفجر، فيقول: الصلاة يرحمكم الله، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1].

---

(1) الآية 33 من سورة الأحزاب.

الحديث[1]. والمصادر التي في الهامش تضمنت تفاصيل وخصوصيات كثيرة

---

(1) بحار الأنوار ج10 ص138 وراجع هذه الأحاديث الكثيرة جداً على اختلاف ألفاظها في المصادر التالية: جامع البيان ج22 ص5 و 7 والدر المنثور ج5 ص198 و 199 عنه، وعن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والخطيب، والترمذي، والحاكم، وصححاه، والبيهقي في سننه، وابن أبي شيبة، وأحمد، ومسلم، وفتح القدير ج4 ص279 و 280 وجوامع الجامع ص372 والتسهيل لعلوم التنزيل ج3 ص137 وتأويل الآيات الظاهرة ج2 ص457 ـ 459 والطرائف ص122 ـ 130 والمناقب لابن المغازلي ص301 ـ 307 وشواهد التنزيل ج2 ص11 ـ 92 ومسند الطيالسي ص274 والعمدة لابن بطريق ص31 ـ 46 ومجمع الزوائد ج7 ص91 وج9 ص121 و 119 و 146 و 167 ـ 169 و 172 وأسد الغابة ج4 ص49 وج2 ص9 و 12 و 20 وج3 ص413 وج5 ص66 و 174 و 521 و 589 وآية التطهير في أحاديث الفريقين، المجلد الأول كله .. وأسباب النزول ص203 ومجمع البيان ج9 ص138 وج8 ص356 و 357 وبحار الأنوار ج35 ص206 ـ 223 وج45 ص199 وج37 ص35 و 36 ونهج الحق ص173 ـ 175 والجامع لأحكام القرآن ج14 ص182 وصحيح مسلم ج7 ص130 وسعد السعود ص204 و 106 و 107 وذخائر العقبى ص21 ـ 25 و 87 وكشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين ص405 والإيضاح لابن شاذان ص170 ومسند أحمد ج4 ص107 وج3 ص259 و 285 وج6 ص292 و 298 و 304 وج1 ص331 وتفسير القرآن العظيم ج3 ص483 ـ 486 وكفاية الطالب ص54 و 242 و 371 و 377 وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج1 ص184 و 183 والمعجم الصغير ج1 ص65 و 135 والجامع الصحيح ج5 ص663 و 699 و 351 و 352 وخصائص الإمام علي للنسائي ص49 و 63 والمستدرك على

الصحيحين ج2 ص416 وج3 ص172 و 146 و 147 و 158 و 133 وتلخصيه للذهبي (مطبوع بهامشه)، وتفسير القمي ج2 ص193 والتبيان ج8 ص307 ـ 309 والتفسير الحديث ج8 ص261 و 262 ومختصر تاريخ دمشق ج7 ص13 والبرهان (تفسير) ج3 ص309 ـ 325 وتفسير فرات ص332 ـ 340 ووفاء الوفاء ج1 ص450 وراجع: نزهة المجالس ج2 ص222 ومنتخب ذيل المذيل للطبري ص83 وحبيب السير ج1 ص407 وج2 ص11 والشفاء لعياض ج2 ص48 وسير أعلام النبلاء ج10 ص346 و 347 وج3 ص270 و 315 و 385 و 254 والغدير ج1 ص50 وج3 ص196 وإحقاق الحق (الملحقات) ج9 ص1 ـ 69 وج3 ص513 ـ 531 وج2 ص502 ـ 573 وج14 ص40 ـ 105 وج18 ص359 ـ 383 عن مصادر كثيرة جداً، وسليم بن قيس ص105 و 52 و 53 وراجع ص100 ونزل الأبرار ص102 ـ 104 و 108 وكنز العمال ج13 ص646 ونوادر الأصول ص69 و 265 والصراط المستقيم ج1 ص184 ـ 188 وقال في جملة ما قال: «أسند نزولها فيهم صاحب كتاب الآيات المنتزعة. وقد وقفه المستنصر بمدرسته، وشرط أن لا يخرج من خزانته. وهو بخط ابن البواب. وفيه سماع لعلي بن هلال الكاتب. وخطه لا يمكن أحد أن يزوره عليه» ومرقاة الوصول ص105 ـ 107 وذكر أخبار أصبهان ج2 ص253 وج1 ص108 وتهذيب التهذيب ج2 ص297 والرياض النضرة ج3 ص152 و 153 ونهج الحق (مطبوع ضمن إحقاق الحق) ج2 ص502 و 563 ومصابيح السنة ج4 ص183 والكشاف ج1 ص369 والإتقان ج2 ص199 و 200 وتذكرة الخواص ص233 وأحكام القرآن لابن عربي ج3 ص1538 والفصول المهمة لابن الصباغ ص7 و 8 والإصابة ج2 ص509 وج4 ص378 وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ص63 ـ 70 والصواعق المحرقة ص141 ـ 143 و 137 ومتشابه القرآن

ومختلفه ج2 ص52 وتفسير نور الثقلين ج4 ص270 ـ 277 وإسعاف الراغبين (مطبوع بهامش نور الأبصار) ص106 و 107 ونور الأبصار ص110 ـ 112 وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج1 ص224 ـ 243 والإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج4 ص46 وج3 ص37 وفرائد السمطين ج1 ص316 و 368 وج2 ص10 و 19 و 22 ـ 23 وينابيع المودة ص107 و 167 و 108 و 228 و 229 و 230 و 260 و 15 و 8 و 174 و 294 و 193 والعقد الفريد ج4 ص313 ومقتل الحسين للخوارزمي ج2 ص61 ـ 62 وراجع: التاريخ الكبير للبخاري ج1 قسم2 ص69 ـ 70 و 110 وراجع ص197 وكتاب الكنى للبخاري ص25 ـ 26 ونظم درر السمطين ص133 و 238 و 239 وتهذيب تاريخ دمشق ج4 ص207 ـ 209 والنهاية في اللغة ج1 ص446 ولباب التأويل ج3 ص466 والكلمة الغراء «مطبوع مع الفصول المهمة» ص203 و 217 وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج2 ص104 و 106 وترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ص60 ـ 76 والمعتصر من المختصر ج2 ص226 و 267 وراجع أيضاً: المواهب اللدنية ج2 ص122 والمحاسن والمساوئ ج1 ص481 ونفحات اللاهوت ص84 و 85 وتيسير الوصول ج2 ص161 والكافي ج1 ص287 ومنتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج5 ص96 عن ابن أبي شيبة، وكنز العمال (ط الهند) ج16 ص257 والإتحاف ص18 وتاريخ الإسلام للذهبي (عهد الخلفاء الراشدين) ص44 وأحكام القرآن للجصاص ج5 ص230 وتاريخ بغداد ج10 ص278 وج9 ص26 ـ 27 والمناقب للخوارزمي ص23 و 224 والسيرة النبوية لدحلان ج2 ص300 ومشكل الآثار ج1 ص332 ـ 339 والسنن الكبرى ج2 ص149 ـ 152 وج7 ص63 والبداية والنهاية ج5 ص321 وج8 ص35 و 205 ومنهاج السنة ج3 ص4 وج4

لا مجال للتعرض لها في كتابنا هذا.

ونقول:

متى حصل ذلك؟!:

1 ـ إختلفوا في تحديد وقت حصول هذا الأمر.. فقيل حصل قبل شهر من وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» أو قبل أربعين يوماً، أو قبل سبعة، أو ثمانية، أو تسعة، أو عشرة أشهر.. أو سبعة عشر، أو تسعة عشر شهراً.. أو غير ذلك.. ثم بقي رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى آخر عمره، يأتي كل يوم عند الفجر، ويدق عليهم الباب (دقاً شديداً) ويظهر من ملاحظة النصوص أن حديث الكساء قد حدث عدة مرات، فربما بهدف التأكيد على مضمونه، والسعي لإشاعته ونشره.

2 ـ كما أن تكرار مجيئه «صلى الله عليه وآله» إلى آخر حياته، وقت صلاة الفجر، ودقه الشديد على باب بيتهم، وتلاوة الآية ربما كان يهدف إلى أن يؤكد للأجيال نزول هذه الآية في هؤلاء الخمسة، فلا يتمكن أصحاب الأهواء من الدس، والتحريف، أو التشكيك في هذا الأمر.

كما أن هذه الممارسة تهدف إلى تحديد معنى الآية، وأن المراد بالبيت هو بيت النبوة، لا بيت السكنى.

3 ـ ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد جمع أصحاب الكساء، ونزلت آية التطهير، وصار يتردد على باب بيتهم حين طلوع الفجر، ويقرأ

ص20 وعن ذخائر المواريث ج4 ص293 وعن ميزان الإعتدال ج2 ص17.

الآية في وقت كانت الوفود تتوالى عليه لتعلن إسلامها في سنة تسع وعشر.. وكان الكثير منهم ينزل في المسجد، الذي كان بيت النبي «صلى الله عليه وآله» وبيت علي «عليه السلام» فيه، فكان ذلك من أسباب شيوع هذا الحديث في مختلف البلاد والعباد في العالم الإسلامي، لأن الوفود كانت حين تعود إلى بلادها تحدث الناس بما رأت وما سمعت من النبي «صلى الله عليه وآله»..

الاحتجاجات بآية التطهير:

والمراجع لكتب الحديث والتاريخ يجد أن أهل البيت «عليهم السلام»، وشيعتهم رضوان الله تعالى عليهم قد أكثروا من الاستدلال، والاستشهاد بآية التطهير على حقهم، ومقامهم في المناسبات المختلفة، وقد احتج بها علي «عليه السلام» في يوم الشورى.. ثم استدل بها في مسجد المدينة في خلافة عثمان.. وستأتي الرواية في ذلك.

ونذكر هنا مورداً واحداً، من هذه الموارد، فقد روى حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله «عليه السلام» في حديث قال: قال أمير المؤمنين «عليه السلام» لأبي بكر: يا أبا بكر تقرأ الكتاب؟!

قال: نعم.

قال: فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1]

---

(1) الآية 33 من سورة الأحزاب.

في من نزلت؟! فينا؟! أم في غيرنا؟!

قال أبو بكر: بل فيكم[1].

وكأنه «عليه السلام» يريد إثبات:

أولاً: أن ما يخالفون فيه ما يقوله، أو يرضاه أهل الكساء ليس فيه طهارة، ولا يمكن أن يوصف بالصحة، ولا يتخذ صفة المشروعية، لأن أهل الكساء مطهَّرون لا يفعلون غير ما يرضي الله، فكل ما لا يرضونه يكون رجساً لا يرضاه الله لعباده المطهرين.

ثانياً: إن هذا يدل على أن المطهرين معصومون.

ثالثاً: إنه يوحي: بأن غيرهم قد ارتكب ما لا يرضاه بصورة حتمية ويقينية.

وأن يكون أبو بكر قد اعترف على نفسه وغيره ـ ما عدا أهل البيت ـ: أنهم يعصون الله تبارك وتعالى.

ما المراد بالبيت؟!:

ويواجهنا هنا سؤال عن المراد بالبيت الذي طهر الله تعالى أهله، هو: بيت السكنى، أو العائلة والقبيلة، كالبيت الهاشمي، والبيت الأموي، ونحو ذلك.

---

(1) البرهان (تفسير) ج3 ص312 وتفسير القمي ج2 ص156 و 274 وتفسير نور الثقلين ج4 ص187 وغاية المرام ج3 ص199 وبحار الأنوار ج29 ص129 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص122 وجامع أحاديث الشيعة ج25 ص117.

أو بيت النبوة، كما قال الإمام الحسين «عليه السلام»، عن بيعة يزيد: «إنَّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا يختم»(1).

ويجاب:

أولاً: لو صح قولهم: المراد بالبيت القرابة والعشيرة فلا معنى لتخصيص الآية بالخمسة أصحاب الكساء.. بل كانت قد شملت العباس، وابناءه، وغيرهم من بني هاشم.

ثانياً: إن الواقع العملي يؤكد: أن المقصود بالبيت ليس هو العشيرة، لأن سائر بني هاشم، ما عدا أصحاب الكساء كانوا يخطئون، ويذنبون..

ثالثاً: لا معنى لإدخال الزوجات في آية التطهير، لأنهن لسن من الأهل والأقارب.

رابعاً: لو كان المراد بالبيت في الآية: بيت السكنى، وكان ذلك في بيت أم سلمة، لكانت الآية المباركة مختصة بالنبي وحده، ولم تشمل علياً وزوجته وابنيه «عليهم السلام».. لأن بيت أم سلمة هو بيت النبي «صلى الله عليه وآله»، ولعلي بيت آخر يسكن فيه مع زوجته وولديه، فبيت هؤلاء لا يكون

---

(1) بحار الأنوار ج44 ص325 والعوالم، الإمام الحسين ص174 ومثير الأحزان لابن نما الحلي ص14 ولواعج الأشجان ص25 واللهوف في قتلى الطفوف ص17 وحياة الإمام الحسين للقرشي ج1 ص120 وج2 ص209 و 255 والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص182 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج33 ص615 و 674.

مشمولاً للآية النازلة، لأن أربعة من أصل خمسة من أهل الكساء لم يكونوا من أهل البيت الذي نزلت الآية فيه..

ويشير إلى هذا المعنى: حديث أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسد الأبواب الشارعة في المسجد، إلا باب علي «عليه السلام»، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

خامساً: يظهر: أن المراد بالبيت: هو بيت النبوة الذي قال عنه الإمام الحسين «عليه السلام»: «إنَّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا يختم».

وأهل بيت النبوة هم الصفوة الخالصة، التي تحمل هموم النُبُوَّة، وتسعى إلى تحقيق أهدافها، وتمارس أعظم الجهاد، وتقدم أغلى التضحيات في سبيل ذلك.

وهم أفضل الخلق علماً وعملاً، وهم المطهرون المكرمون المعصومون بمقتضى آية التطهير وهم المؤمنون المفلحون والصالحون.. كما وأشار إليه قوله تعالى لنوح «عليه السلام» عن ابنه: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**﴾[1].

فدلنا على أن الصلاح هو الذي يجعل الإنسان من أهل النبي، أو من أهل بيت النبوة، ومن هذا المنطلق نفهم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: سلمان منا أهل البيت.

وعن الإمام الرضا «عليه السلام»: «من كان منا لم يطع الله عز وجل،

---

(1) الآية 46 من سورة هود.

فليس منا»[1].

نساء النبي لَسْنَ من أهل بيته:

وقد يقول قائل: إن آية التطهير تشمل زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً، فما يثبت لأهل البيت يثبت لهن أيضاً:

أولاً: لأنهن من أهل النبي «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: لأن الآية نزلت في بيوتهن التي كنَّ ساكنات فيها..

ثالثاً: لأن آية التطهير جزء من آية من جملة آيات، كلها توجه الخطاب إليهن.

ونجيب:

أولاً: لقد بيَّن النبي «صلى الله عليه وآله» حين نزول آية التطهير: بأن الزوجات لسن داخلات في معناها، وقد قال «صلى الله عليه وآله» ذلك لأم سلمة، ولعائشة، وزينب بنت جحش ـ كما ورد في الروايات في المصادر المختلفة.

فهناك نصوص تقول: حين دعا النبي «صلى الله عليه وآله» الله أن يطهر أهل بيته الذين وضعهم تحت كساء خيبري فدكي، أرادت أم سلمة أن تدخل معهم تحت ذلك الكساء، فمنعها النبي «صلى الله عليه وآله» وجذب طرف الكساء من يدها، وقال: مكانك[1]. أي الزمي مكانك.

---

(1) عيون أخبار الرضا ج2 ص232 وبحار الأنوار ج49 ص218.

(1) جامع البيان ج22 ص7 والدر المنثور ج5 ص198 عن ابن مردويه، والخطيب، وأسد الغابة ج2 ص12 والجامع الصحيح للترمذي ج5 ص351 و 663 والتفسير

أو قال لها: إنك من صالحات أزواجي، ولا يدخل هذا المكان، إلا من هو مني[1].

ونلاحظ: أن قوله «صلى الله عليه وآله»: إنك من صالحات أزواجي، يشير إلى أن من بين أزواجه من ليست كذلك.. كما دلت عليه أفعال بعضهن في حياته وبعد موته.

وفي نص آخر: إنك من خير أزواجي[1].

وفي نص آخر: أنه منع عائشة من الدخول، وقال: تنحي[2].

الحديث ج8 ص261 عن التاج الجامع للأصول ج3 ص308 و 309 ونزل الأبرار ص103 و 104 وينابيع المودة ص230 و 107 وشواهد التنزيل للحسكاني ج2 ص70 و 69 وفيها: اجلسي مكانك، فإنك على خير، والجامع لأحكام القرآن ج14 ص184 وبحار الأنوار ج35 ص223 و 227 ومختصر التحفة الاثني عشرية ص151 ودلائل الصدق ج4 ص368 ذخائر العقبى ص21 وترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ص64 وينابيع المودة ص228 و 107 عن الدولابي، والترمذي، وفيه: قفي مكانك الخ.. والذرية الطاهرة النبوية ص150 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج14 ص44 وج24 ص41.

(1) تفسير فرات الكوفي ص335 وراجع ص337 فثمة حديث آخر، فيه تفصيلات أخرى، ونقله في بحار الأنوار ج35 ص215 مكتفياً بالفقرة الأولى.. وراجع: شرح الأخبار ج2 ص338.

(1) إحقاق الحق (الملحقات) ج2 ص568.

(2) تفسير القرآن العظيم ج3 ص485 وشواهد التنزيل ج2 ص37 و 38 و 39. وفيه: ولم يدخلني معهم. وفرائد السمطين ج1 ص368 والصراط المستقيم ج1 ص186 و 187 و 185 وكفاية الطالب ص323 والتفسير الحديث ج8 ص262

ونص آخر يقول: إنه منع زينب بنت جحش، قائلاً لها: مكانك[1].

ولعل السبب في هذا التعدد هو تعدد حصول الواقعة، وقد يشهد لذلك: الاختلاف في تواريخ حصولها ـ كما تقدم ـ والأشخاص الذين تعامل معهم.

وحديث الكساء متواتر بلا ريب، بل لقد قال بعضهم: «إنه روي بأسانيده عن الثلاث مئة صحابي»[2].

ثانياً: نضيف إلى ما تقدم:

1 ـ إنه «صلى الله عليه وآله» ـ كما في بعض نصوص هذا الحديث الشريف ـ لما قالت له أم سلمة: يا رسول الله، هل أنا من أهل بيتك؟!

قال: لا، ولكنك إلى خير[1].

2 ـ يفهم هذا النفي من الرواية التي تقول: إن أم سلمة قالت له: ألست من أهلك؟!

عن الطبري، وابن كثير، والعمدة لابن البطريق ص40 ومجمع البيان (تفسير) ج8 ص357 وبحار الأنوار ج35 ص222 عنه.

(1) بحار الأنوار ج35 ص222 ـ 223 والطرائف ص128 وفرائد السمطين ج2 ص19 ونور الثقلين (تفسير) ج4 ص276 و 277 وكنز الدقائق (تفسير) ج10 ص382 وتفسير القرآن العظيم ج3 ص485 وشواهد التنزيل ج2 ص32 والصراط المستقيم ج1 ص187 والعمدة لابن البطريق ص40 وأشار إليه في نفحات اللاهوت ص84 وإحقاق الحق (الملحقات) ج9 ص52.

(2) ينابيع المودة ص260.

(1) التبيان ج8 ص308 و (نشر مكتب الإعلام الإسلامي) ج8 ص339 ومتشابه القرآن ومختلفه ج2 ص52 وبحار الأنوار ج35 ص231.

فقال: إنك إلى خير، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي(1).

3 ـ أو قالت: أنا من أهل البيت؟!

قال: إنك من أهلي خير. وهؤلاء أهل بيتي. وأهل بيتي أحق(2).

4 ـ أو قالت: أدخلني معهم.

قال: إنك من أهلي(3).

وكأنه يريد أن يقول لها: إنك لست من أهل البيت، وإنما أنت من أهلي، كما دل عليه النص السابق.

5 ـ أو قالت: أدخلني معك في الكساء.

فقال لها: يا أم سلمة أنت بخير وإلى خير، وإنما نزلت هذه الآية فيّ وفي هؤلاء(1).

6 ـ وفي نص آخر، قالت: وأنا من أهل بيتك؟! وجئت لأدخل معهم.

فقال: كوني مكانك يا أم سلمة، إنك إلى خير، أنت من أزواج نبي الله(2).

---

(1) الكافي ج2 ص287 وتاريخ بغداد ج10 ص278 والسيرة النبوية لدحلان ج2 ص330 وبحار الأنوار ج35 ص211 وتفسير العياشي ج1 ص250 ـ 252.

(2) المستدرك على الصحيحين ج2 ص416 وتلخيصه للذهبي بهامشه.

(3) جامع البيان ج22 ص7.

(1) كتاب سليم بن قيس ص53.

(2) أمالي الطوسي ج1 ص378 وبحار الأنوار ج35 ص208 وإحقاق الحق (الملحقات) ج2 ص568 وراجع: الدر المنثور ج5 ص198 عن ابن مردويه،

7 ـ وفي بعض النصوص: قالت يا رسول، أدخلني معهم.

قال: يا أم سلمة، إنك من صالحات أزواجي، ولا يدخل هذا المكان إلا مني[1].

ثالثاً: إن زيد بن أرقم قد نفى مقولة كون الزوجات من أهل البيت، فقد قيل له: أليس نساؤه من أهل بيته؟!

فقال: نساؤه من أهل بيته!! لكن أهل بيته من حُرِمَ الصدقة بعده..[1].

ومشكل الآثار ج1 ص334 وحياة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ص70 وجامع البيان ج22 ص7 وشواهد التنزيل ج2 ص55 ـ 60 و 71 والعمدة لابن بطريق ص44 ولباب التأويل ج3 ص466 وتفسير القرآن العظيم ج3 ص485 ونزل الأبرار ص3 وتيسير الوصول ج2 ص161 ونفحات اللاهوت ص84 ومرقاة الوصول ص106 وبحار الأنوار ج35 ص217 و 228 وشرح الأخبار ج1 ص203 وج2 ص338 وتأويل الآيات ج2 ص459.

(1) تفسير فرات الكوفي ص335 وراجع ص337 فثمة حديث آخر، فيه تفصيلات أخرى، ونقله في بحار الأنوار ج35 ص215 مكتفياً بالفقرة الأولى. وراجع: شرح الأخبار ج2 ص338.

(1) راجع: الدر المنثور ج5 ص199 وصحيح مسلم ج7 ص130 وتفسير القرآن العظيم ج3 ص486 وفتح القدير ج4 ص280 وكنز العمال ج13 ص641 والمواهب اللدنية ج2 ص122 والتفسير الحديث ج8 ص261 والبرهان في تفسير القرآن ج3 ص324 والصواعق المحرقة ص226 وراجع ص227 و 228 والسنن الكبرى للبيهقي ج2 ص148 وتهذيب الأسماء واللغات ج1 ص347 وكتاب سليم بن قيس ص104 ونور الأبصار ص110 وإسعاف

وفي نص آخر: أن زيداً قال: لا، وأيم الله، إن المرأة لتكون مع الرجل العصر من الدهر، ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها.

أهل بيته: أصله، وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده(1).

فزيد ينكر أن يكون نساء النبي «صلى الله عليه وآله» من أهل بيته، ويعيد كلمة: «نساؤه من أهل بيته» على سبيل الإنكار والتعجب.

وهذا يعني: أنه ينفي كون نسائه «صلى الله عليه وآله» من أهل بيته، بالاستدراك الذي أورده بكلمة «لكن»، ثم يدَّعي: أن أهل بيته هم أقرباؤه وعشيرته الذين حُرِموا من الصدقة بعده..

الراغبين ص108 والإتحاف بحب الأشراف ص22 والسيرة النبوية لدحلان ج2 ص300 وراجع: بحار الأنوار ج35 ص229 وكفاية الطالب ص53 (وليس فيه عبارة: نساؤه من أهل بيته؟!) عن مسلم، وأبي داود، وابن ماجة. وفي هامشه عن: مسند أحمد ج4 ص336 وعن كنز العمال ج1 ص45 وعن مشكل الآثار ج4 ص368 وعن أسد الغابة ج2 ص12 وعن المستدرك على الصحيحين ج3 ص109.

(1) صحيح مسلم ج7 ص123 والصراط المستقيم ج1 ص185 وتيسير الوصول ج2 ص161 والبرهان (تفسير) ج3 ص324 وتفسير القرآن العظيم ج4 ص486 والطرائف ص122 وبحار الأنوار ج35 ص230 وج23 ص117 والعمدة لابن البطريق ص35 والتفسير الحديث ج8 ص261 عن التاج الجامع للأصول ج3 ص308 و 309 وخلاصة عبقات الأنوار ج2 ص64 عن دراسات اللبيب في الأسوة الحسنة بالحبيب ص227 ـ 231 وإحقاق الحق (الملحقات) ج9 ص323 عن الجمع بين الصحيحين، والصواعق المحرقة ص148 ونقل أيضاً عن جامع الأصول ج10 ص103.

والمراد بالصدقة: الزكاة، فإنها تحرم على بني هاشم.

ومن الواضح: أنه لا وجه لتقييد زيد تحريم الصدقة على بني هاشم بما بعد موت الرسول «صلى الله عليه وآله»، فإنها حرام عليهم في حياته، وبعد مماته.

كما أن ما زعمه زيد، من أن آية التطهير تشمل جميع بني هاشم غير صحيح.. بل هي خاصة بأهل بيت النبوة، وهم أصحاب الكساء، لا أهل بيت النبي، ليشمل جميع بني هاشم.

على أن من المعلوم: أنه لا يقال لجميع عشيرة الرجل: إنهم أهل بيته..

ويشهد لذلك: أن الجميع يسلِّم: بأن أصحاب الكساء هم أهل البيت، لكن هناك من أضاف إليهم أزواجه «صلى الله عليه وآله».. ولعل زيداً أراد أن يستدل على بطلان هذه الإضافة، لأن الصدقة تحرم على أهل البيت، ولا تحرم الصدقة على الزوجات.

ويؤكد هذا المعنى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لأم سلمة «رحمها الله»: «إنما نزلت هذه الآية فيّ وفي هؤلاء»[1].

وتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لأم سلمة: «لا يدخل هذا المكان إلا مني».. والذين هم من رسول الله هم فاطمة وذريتها «عليهم السلام». وليس العباس وأبناؤه، وسائر بني هاشم منه «صلى الله عليه وآله»، مع أنهم قد حرموا الصدقة من بعده أيضاً.

ويلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» أدخل علياً «عليه السلام» تحت

---

(1) كتاب سليم بن قيس ص53.

الكساء، مع أنه ابن عمه.. ومن المعلوم: أن العباس عم النبي «صلى الله عليه وآله»، فكيف ترك العم وأبناءه، وجاء بابن عمه الآخر، كما أن عقيلاً أيضاً كان ابن عمه «صلى الله عليه وآله»، ولم تشمله الآية المباركة.

وفي كتب اللغة دلالات على أن كلمة «أهل البيت» لا تطلق على الزوجة. كما أن كلمة «أهل الرجل» إنما تطلق على الزوجة مجازاً[1]، أو أنها تكون مجملة لا تدل على الزوجة إلا مع القرينة[2].

حديث الكساء لا يخالف القرآن:

ادَّعى البعض: أن قصر الآية المباركة على علي وفاطمة، والحسن والحسين «عليهم السلام» يخالف نص القرآن[1].

وأوضح ذلك، إسماعيل حقي بقوله عن حديث الكساء: لو فرضت دلالته على عدم كون النساء من «أهل البيت»، «لما اعتُدَّ بها؛ لكونها في مقابلة النص»[2].

ونقول:

أولاً: تقدم قول الزبيدي ـ في تاج العروس ـ: إن استعمال كلمة الأهل في الزوجة مجاز..

---

(1) تاج العروس ج1 ص217 ومفردات الراغب ص29.
(2) لسان العرب ج11 ص38.
(1) تهذيب تاريخ دمشق ج4 ص208.
(2) روح البيان ج1 ص171.

وقول ابن منظور في تفسير المراد من آل البيت: إن إرادة الزوجة تحتاج إلى قرينة، ونحو ذلك عند الراغب الأصفهاني، والقرينة مفقودة كما سنرى.

ثانياً: يجب عرض الحديث على القرآن.. وليس لأحد حق أن يقدِّم السنَّة على القرآن، بزعم: أنها قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاض على السنة[1].

ولا يصح قول الخطابي، ويحيى بن معين عن الحديث الذي يوجب عرض الحديث على القرآن: «هذا حديث وضعته الزنادقة»[1].

وأضاف عبد الرحمان بن مهدي: «الخوارج» إلى الزنادقة أيضاً[2].

وقال ابن عبد البر: «كما قال أهل الزيغ»[3].

---

(1) راجع: تأويل مختلف الحديث ص199 و (ط دار الكتب العلمية) ص186 والكفاية في علم الرواية ص14 و (ط دار الكتاب العربي) ص30 وجامع بيان العلم وفضله ج2 ص234 و 233 و (ط دار الكتب العلمية) ج2 ص191 والجامع لأحكام القرآن ج1 ص38 و 39 والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج1 ص35 وسنن الدارمي ج1 ص145 ومقالات الاسلاميين ج2 ص324 وج1 ص251 وعون المعبود ج12 ص356 وميزان الاعتدال ج1 ص107 ولسان الميزان ج1 ص194 ودلائل النبوة للبيهقي ج1 ص26 وراجع: المعتصر من المختصر من مشكل الآثار ج2 ص251 ونهاية السؤل للأسنوي ج2 ص579 و 580 وبحوث مع أهل السنة والسلفية ص67 و 68 عن بعض ما تقدم.

(1) الخلاصة في أصول الحديث للطيبي ص85 وراجع: إرشاد الفحول ص33 وسلم الوصول (مطبوع مع نهاية السؤل) ج3 ص274.

(2) جامع بيان العلم ج2 ص233.

(3) جامع بيان العلم ج2 ص233 وإرشاد الفحول ص33 وراجع هذا النص وغيره،

وقد ناقشنا كلماتهم واستدلالاتهم حول هذا الموضوع في الجزء الأول من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ص291 ـ 303 فراجع.

ثالثاً: إن آية التطهير لا تخاطب نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، لأن آيات سورة الأحزاب هي التالية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

ثم قال له ـ بتقدير: قل لأزواجك ـ **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾** إلى آخر الآية والتي بعدها، إلى قوله: **﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾**.

ثم قال له ـ بتقدير: قل لهن ـ: **﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾**، ثم فرَّع على ذلك قوله: **﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**

وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى

وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ

في كتاب: بحوث مع أهل السنة والسلفية ص67 ـ 68 وسلم الوصول (مطبوع مع نهاية السؤل) ج3 ص174.

وَآتِينَ الزَّكَاةَ

وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾.

ثم غيَّر مجرى الخطاب، والتفت إلى أهل البيت «عليهم السلام»، ليقول لهم: إنما أصدرت هذه الأوامر، والزواجر للزوجات صيانة لكم أنتم، وحفظاً لقداستكم، لأنكم أهل بيت النبوة، ولإذهاب الرجس عنكم..

والسبب في ذلك: أن عصمة أهل البيت لا تكفي لحفظ هذه القداسة، ولذلك قال: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**.

فبيَّن بهذه الآية: أن منافيات القداسة قد تأتي من خارج أهل البيت، كالزوجات، كما أوضحناه.

ثم عاد لمخاطبة الزوجات من جديد، فقال لهن: **﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ﴾**.

رابعاً: لنفترض ـ جدلاً ـ: أن هذا الذي ذكرناه لا يصل إلى درجة الظهور التام، فإن احتمال أن يكون هو المراد يسقط الدلالة السياقية المدّعاة للآيات عن صلاحية الاعتماد، لاسيما وأن القرينة السياقية أضعف الظهورات، فإن المتكلم قد ينتقل في بياناته من أمر إلى آخر، وربما عاد إلى الأمر الأول.. ووجود الالتفات والجمل الاعتراضية في كلام العرب يشهد على ما نقول.

فالالتفات وارد في كلامه تعالى في أول سورة الحمد، حيث قال سبحانه: **﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**، فإنه بعد تصريحه بكلمة ـ الله ـ يفترض أن يستمر إرجاع الضمائر إليه عز وجل، بصيغة الغائب، كما في قوله تعالى: **﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾**.. لكنه غيَّر مسار الكلام إلى الخطاب

المباشر للحاضر، فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

أما الجمل الاعتراضية، فهي كثيرة في القرآن الكريم، وفي كلام النبي الكريم «صلى الله عليه وآله»، وكلمات الأئمة الطاهرين «عليهم السلام»..

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فإنه من موارد الجمل الاعتراضية..

ويشهد لذلك: تغيير مجرى الكلام في الآية نفسها، فبعد أن كان يأمر النساء وينهاهن بقوله لهن: ﴿لَسْتُنَّ﴾، ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ﴾، ﴿وَقُلْنَ﴾، ﴿وَقَرْنَ﴾، ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾، ﴿وَأَقِمْنَ﴾، ﴿وَآتِينَ﴾، ﴿وَأَطِعْنَ﴾، وغير ذلك.. عاد ليخاطب جمع المذكرين، فيقول: ﴿عَنْكُمُ﴾، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾.

ثم عاد بعد ذلك لخطاب جمع النساء من جديد، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ﴾، ﴿بُيُوتِكُنَّ﴾.

ومن الموارد القرآنية، التي اعتمدت طريقة الاعتراض في الكلام، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ ـ لَوْ تَعْلَمُونَ ـ عَظِيمٌ﴾(1).

ومنها قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ـ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ـ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ﴾(2).

ومنها قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا

---

(1) الآية 76 من سورة الواقعة.

(2) الآيتان 28 و 29 من سورة يوسف.

ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ـ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ـ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

وفي سورة لقمان قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَابُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * ـ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ـ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ـ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ـ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[1].

فما وضعناه بين خطين أفقيين على هذا النحو (ـ) هو جملة معترضة.

وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الكريم، وغيره.

وفائدة الاعتراض: الإعلام بأهمية المعنى الذي يقطع المتكلم كلامه من أجله، ثم يعود إلى متابعة كلامه بعد انتهائه منه..

ليُذهب عنكم، وتطهيراً: ثلاث قرائن:

1 ـ إن من الشواهد الكامنة في آية التطهير، الدالة على عدم شمولها للزوجات،

(1) الآية 3 من سورة المائدة.

(1) الآية 13 ـ 16 من سورة لقمان.

أنها قالت: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ ولم تقل: «يريد أن يذهب».

وسبب ذلك: أن اللام هي لام كي، التي يكون ما بعدها سبباً لما قبلها، أو ناشئاً عنه، ومنه لام العاقبة أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾(1).

فكأنه تعالى قال: إن سبب إصدار الأوامر والزواجر للزوجات هو إذهاب الرجس عن أهل بيت النبوة، وحفظ قداستهم في النفوس.

لأن الزوجات وإن كنَّ لسن من أهل البيت، إلا أن صدور المخالفة منهن يؤثر على موقعية أهل بيت النبوة في القلوب، فهو يأمر هؤلاء لكي لا يلحق ضرر أفعالهم بأولئك الذين هم بمثابة جيرانهم مثلاً، بما يشبه قولهم: «إياك أعني واسمعي يا جارة»..

وهذا نظير ما إذا كان هناك من جمع العلم والفضل، والتقوى، وسائر صفات الخير، وله ولد غير منضبط، فتأمره وتنهاه حفظاً لمقام أبيه.

ولو أنه تعالى قال: «يريد أن يذهب عنكم الرجس»، لفُهم منه: أن الإرادة الإلهية منصبَّة على إذهاب الرجس مباشرة، لأن كلمة «أن» مصدرية، فيصير معنى الكلام: إن إرادة الله تعلقت بإذهاب الرجس.

وهذا ليس مراداً، لأنهم «عليهم السلام» مطهرون، ولا رجس فيهم يحتاج إلى أن تتوجه الإرادة الإلهية إليه لإزالته، بل الرجس في أمر آخر مجاور لهم، ويريد الله إزالته حفظاً لأهل البيت، وإكراماً لهم.

---

(1) الآية 8 من سورة القصص.

وفي آية التيمم: ﴿..مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾(1)، فالتطهير وإتمام النعمة علة لتشريع التيمم.

وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾(2). ويزيلوا عقيدة التوحيد من النفوس، ولم يقل: ﴿لِيُطْفِئُوا﴾ هنا، لأن إرادتهم تعلقت مباشرة بإطفاء نور الله، ولذا قال: ﴿أَنْ يُطْفِئُوا﴾.

ولكنه قال في سورة الصف: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾(1). لأنهم إنما يفترون على الله الكذب، لأجل إطفاء نور الله تعالى، فإرادتهم لم تتعلق بالإطفاء مباشرة، بل تعلقت بما يوصل إليه، وهو: افتراء الكذب على الله تعالى، ولذا قال: ﴿لِيُطْفِئُوا﴾.

2 ـ ومن الشواهد على عدم دخول الزوجات في آية التطهير: أن بعض زوجاته «صلى الله عليه وآله» قد ارتكبت ما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» حذَّرها من ارتكابه، فقادت الجيوش في حرب الجمل ضد إمام المسلمين، ووصي النبي، وأخيه بنص القرآن، وهي الحرب التي قتل فيها الألوف من المسلمين.

3 ـ ويشهد لذلك أيضاً: أنه إذا كان الله سبحانه أراد أن لا يلحق أهل البيت رجس، ولو بالعرض والمجاز.. وهو يضاعف العقوبة على نساء النبي في مخالفاتهن، حفظاً منه لمقام أهل البيت «عليهم السلام».. فإن إرادته

(1) الآية 6 من سورة المائدة.

(2) الآية 32 من سورة التوبة.

(1) الآية 8 من سورة الصف.

طهارة أهل البيت في ذواتهم، وأنفسهم تكون أقوى وأشد.. وهذا هو مفهوم الأولوية القطعية التي تدل على تحقق طهارتهم وعصمتهم «عليهم السلام»، كأعلى وأجلى ما تكون الطهارة والعصمة.

4 ـ إنه تعالى لم يقل: «يذهب رجسكم»، أو «يذهب الرجس منكم»، لأنه ليس في ذواتهم رجس.. لا في النسب، ولا في الخلق والأدب، ولا في السلوك، ولا في العقل والفكر، وما إلى ذلك.

بل قال: ﴿**لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ**﴾. أي يصده، ويدفعه، ويمنعه من الوصول إليكم.. وهذا يناسب أن يكون أمره ونهيه للزوجات حتى لا يصل إلى أهل بيت النبوة شيء يمكن أن ينسب إليهم، ولو بنحو العرض والمجاز، على النحو الذي أوضحناه في المثال، من أن الإنسان قد ينهى الولد عن سلوكه الشائن رغبة في حفظ مقام أبيه، فلا يتوهم في حق الأب ما هو منه بريء بسبب مخالفات ابنه، حيث قد يكون حاله معه حال نوح «عليه السلام» مع ابنه..

فمن ينهى ابن نوح مثلاً عن مخالفاته، إنما يريد بذلك حفظ قداسة أبيه النبي في نظر الناس الذين قد ينسبون إلى نوح «عليه السلام» ما هو بريء منه، فيما يرتبط بتربية ولده.

5 ـ ويتأكد هذا المعنى: إذا لاحظنا قوله: ﴿**وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، أي تطهيراً بعد تطهير.. والتطهير اللاحق، إنما يكون زائداً على ما سبقه، وينضم إليه، لأن ما سبقه ناظر لتطهيره في النسب، والخلق الرضي، والأدب والأخلاق، والفكر والعقل، وطهر النوايا، وسلامة النفس، وصحة السلوك، وما إلى ذلك.. وكل واحد له مراتب.

ثم يضاف إلى هذا التطهير تطهير آخر، ينسب إليه ثانياً وبالعرض، وهو الهادف إلى طهارة المحيط، والجار، والعشير، والمخالط.. وكل رجس يلحق به بأدنى شبهة، ليمنع انتسابها إليه، ولو على سبيل العرض والمجاز.. أي أنه يريد أن يدفع عنهم رجساً يأتيهم من خارج ذاتهم، ولا يخضع لإرادتهم..

فتكون كلمة «تطهيراً» متضمنة لتأسيس معنى جديد، لا لمجرد التشديد والتأكيد..

لماذا الحسنان ' في آية التطهير؟!:

ويبقى هنا سؤال عن سبب إشراك الحسنين «عليهما السلام»، وهما طفلان صغيران ـ بنظر الناس ـ ولم يسبق لهما عمل جهادي، ولا أظهرا للناس من العلوم والمعارف ما يكفي لتبرير هذا الإشراك، كما أنهما لم يضطلعا بعد بأي عمل، ولا قدَّما أي إنجاز في مجال العمل الاجتماعي، أو في سياسة البلاد والعباد، أو في أي مجال آخر، كالطب، والهندسة، والزراعة، أو الصناعة، أو التجارة، وما إلى ذلك.. وإذا كانا طفلين، فهما يخطئان ويصيبان، وقد يطيعان ويعصيان..

كما أن من الطبيعي أن يكونا غير عالمين بدقائق الأمور، فضلاً عن الأسرار المودعة في هذا الكون الرحيب.

بل ما هي الحاجة لإشراك أمهما أيضاً، وهي امرأة مخدرة لم تمارس أي نشاط اجتماعي، أو تعليمي إرشادي، أو أي شيء آخر خارج دائرة خدرها وصونها لافت للنظر.

ونجيب:

بأن علينا ملاحظة الأمور التالية:

1 ـ ليس بالضرورة أن يكون هذا التكريم لأصحاب الكساء معتمداً على ماضي، أو على حاضر حياتهم، أو على حجم إنجازاتهم السياسية، أو الاجتماعية، أو غير ذلك، مما أشير إليه بنحو أو بآخر.. وإنما قد يكون ناظراً للمستقبل ويريد أن يضع الركائز التي من شأنها صيانة الحق، والدين، والإيمان، ومستقبل الأمة بشكل عام.

2 ـ كما أن ذلك لا يمنع من أن يكون من جملة مقاصده لفت النظر إلى حقيقة واقعهم «عليهم السلام»، في مرحلتهم تلك، وأنهم ليسوا مجرد أطفال، بظن الناس بهم: أنهم يعلمون، ويجهلون، ويطيعون، ويعصون، وما إلى ذلك.

وليس للناس أن يقيسوهم بأنفسهم، أو بأي كان من الناس.. فهم رجال في صورة أطفال، ولكنهم رجال في مستوى أئمة، وهم قادة معصومون، مطهرون من كل نقص، وضعف، وجهل، يظنه الناس بهم.. وهم جوهرة هذا الوجود، ورأس الهرم، وشاهق القمم في بني الإنسان.. في الفضل، والعلم، والدين، والوعي، والتقوى، والكمال، وغير ذلك..

وهم قلب الحق الخافق، ولسان الصدق الناطق، ونمير العلم الرائق، وهم مرآة قدرة وعظمة، وجمال الخالق..

فالتعريف بهم ضروري، وتوطيد العلائق بهم حتمي، والانصهار بحبهم، وترسيخ موقعهم في ضمير ووجدان وقلوب ومشاعر الناس لازم، ليكونوا «عليهم السلام» هم الأسوة والقدوة، والقادة والذادة..

3 ـ ويتأكد هذا المعنى: بملاحظة أنهما «عليهما السلام» الامتداد الطبيعي

للإمامة بعد أبيهما بنص صريح من رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وهذا المقام بما له من خصوصيات، من حيث إن للإمام مقام الشاهدية على الخلائق في أعمالهم، ولهما أيضاً موقع المرجعية والمحورية للحق، والإيمان، فإنهما أيضاً هما المعيار الذي يميَّز به بين المحق والمبطل، والضال والمهتدي. لأن الموقف السلبي منهما هو الذي يعرِّف الناس على المبطل والمعتدي، والظالم، إذا كان الموقف سلبياً، والموقف الإيجابي منهما يعرِّف الناس على المحق والمظلوم.

فإذا رأينا: أن ثمة من يسعى لإحراقهما، وإحراق أبيهما وأمهما «عليهم جميعاً الصلاة والسلام»، فإن آية التطهير تدل الناس على أنه معتدٍ ومدان.. إذ لا يستطيع أحد أن يدَّعي: أنهما هما السبب في ذلك بأي نحو كان، لأن هذه الدعوى كاذبة بنص آية التطهير.. لأنها تدل على أنهما مطهران معصومان، حتى عن مثل العبوس في وجه إنسان بغير حق، فضلاً عن أن يكونا قد تفوها بكلام لا يليق بهما..

وليس لأي كان أن يتذرع بطفولتهما غير الواعية، أو غير المنضبطة ـ بنظره ـ فالمطهر المعصوم لا يتصرف من دون وعي، ولا يتسرع في القول، بل يضبط كل قول منه، وفعل في كل مقام. لأن المطهر يميِّز الخطأ من الصواب، واللائق عن غير اللائق، والحق من الباطل.. ولولا ذلك لوقع في المحذور، ولم يكن طاهراً وبريئاً من أي رجس.

4 ـ أما علي «عليه السلام»، فهو الوصي، والولي، وحافظ الدين، وقامع المشركين، وباذل نفسه في سبيل الله، وهو نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة.. وقد نكثوا ببيعتهم له من لحظة وفاة النبي «صلى الله

عليه وآله»، وقبل أن يدفن.

5 ـ أما الزهراء «عليها السلام»، فيكفيها عظمة: أن الله يغضب لغضبها، ويرضى لرضاها[1].

وأن من أغضبها أغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1].

---

(1) راجع: فرائد السمطين ج2 ص46 ومجمع الزوائد ج9 ص203 ومقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص52 وكفاية الطالب ص364 وذخائر العقبى ص39 وأسد الغابة ج5 ص522 وتهذيب التهذيب ج12 ص442 وينابيع المودة ص173 و 174 و 179 و 198 و (ط دار الأسوة) ج2 ص56 و 72 ونظم درر السمطين ص177 ومستدرك الحاكم ج3 ص154 و 158 وتلخيصه للذهبي مطبوع بهامشه، وكنز العمال ج13 ص96 وج6 ص219 وج7 ص111 و (ط مؤسسة الرسالة) ج12 ص111 والغدير ج7 ص231 ـ 236 وإحقاق الحق ج10 ص116 ومسند زيد بن علي ص459 والأمالي للصدوق ص467 وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج1 ص29 و 51 ومعاني الأخبار ص303 وروضة الواعظين ص149 والأمالي للمفيد ص95 والأمالي للطوسي ص427 واللمعة البيضاء ص132 ـ 134 و 892 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص106 وبحار الأنوار ج21 ص279 وج27 ص62 وج29 ص336 وج43 ص19 و 22 و 26 و 44 و 54 و 220 وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج7 ص64 والصواعق المحرقة ص186 وسير أعلام النبلاء ج2 ص132.

(1) البخاري (ط مشكول) ج5 ص36 و (ط دار الفكر) ج4 ص210 و 219 وبحار الأنوار ج28 ص76 وراجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج10 ص190 وحلية الأولياء ج2 ص40 وينابيع المودة ص360 و 171 و 173 والسنن الكبرى للبيهقي ج10 ص201 و 64 والمستدرك للحاكم ج3 ص159 وتلخيصه (بهامشه)،

ومن كان كذلك، فلا بد أن يكون مطهراً معصوماً.

وهي التي هوجمت وضربت من قبل الآخرين، وأسقط جنينها، وأرادوا إحراق بيتها بما فيه، وكانت هي وعلي، والحسنان «عليهم السلام» في داخله. ثم استلبوا نحلتها (فدكاً)، وسلبوها إرثها، كل ذلك حصل فور وفاة أبيها.. وكل ذلك من أجل تكريس اغتصابهم مقام الخلافة من زوجها علي «عليه السلام».

فهل هناك عاقل يستسيغ أن تعامل البنت الوحيدة، الطاهرة، المعصومة بنص القرآن، وهي بنت أكرم وأفضل وأشرف المخلوقات ـ بما فيهم الأنبياء والمرسلون ـ بهذه الطريقة في نفس ساعة دفن أبيها، وهو الذي أخرج الناس

وأعلام النساء ج4 ص125 وكنز العمال ج13 ص93 و (ط مؤسسة الرسالة) ج12 ص108 و 112 والإصابة ج4 ص378 وتهذيب التهذيب ج12 ص441 وثمة مصادر أخرى ذكرت ذلك تعقيباً على قصة مكذوبة هي قصة خطبة علي «صلى الله عليه وآله» لبنت أبي جهل، فراجع: ذخائر العقبى ص37 و 38 وكفاية الطالب ص365 ومقتل الحسين للخوارزمي ج1 ص53 ونظم درر السمطين ص176 والسيرة النبوية لدحلان (بهامش السيرة الحلبية) ج2 ص10 والخصائص للنسائي ص120 وصفة الصفوة ج2 ص13 والجامع الصحيح ج5 ص698 ومسند أحمد ج4 ص328 والبداية والنهاية ج6 ص333 والصواعق المحرقة ص188.

وراجع: فضائل الصحابة للنسائي ص78 وفتح الباري ج7 ص63 و 82 وعمدة القاري ج16 ص223 و 249 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص526 والآحاد والمثاني ج5 ص361 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص97 و 148 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص121 والمعجم الكبير ج22 ص404 والجامع الصغير ج2 ص208 وفيض القدير ج4 ص554 وكشف الخفاء ج2 ص86.

من الظلمات إلى النور، وهداهم بعد الضلالة، وأنقذهم من الجهالة..

ثم يكون من يرتكب هذا الأمر الجلل أناساً، كانوا يظهرون للناس أنهم المقرَّبون للنبي «صلى الله عليه وآله»، ويزعمون أن لهم حظوة عنده، ثم يكون ذلك منهم في لحظة دفنه، وعلى شفير قبره؟!

وأين تبخَّر ما كانوا يظهرونه من طاعة لأبيها؟! ولم يغب عن أحد منهم قول الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾؟![1]..

وأي قربى أقرب للنبي «صلى الله عليه وآله» من ابنته الوحيدة، التي هي ـ كما يقول هو ـ روحه التي بين جنبيه، وهي سيدة نساء العالمين، من الأولين والآخرين؟!

وقد ماتت «عليها السلام» صدِّيقة شهيدة، كما في الروايات[2].. وقضت وهي واجدة على من فعل هذه الأفاعيل، ودفنت ليلاً، وعفي موضع قبرها، بوصية منها، لأنها رفضت أن يشهد أحد منهم جنازتها، أو أن يَعرف موضع قبرها.

---

(1) الآية 23 من سورة الشورى.

(2) الكافي ج1 ص458 وروضة المتقين ج5 ص342 ومرآة العقول ج5 ص315 ومنتقى الجمان ج1 ص224 وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج10 ص244 عن أخبار الدول (ط بغداد) ص87 وراجع: عوالم العلوم ج11 ص260 وعلل الشرائع ج1 ص290 وبحار الأنوار ج12 ص107 وج43 ص25 وج78 ص81 ومستدرك الوسائل ج2 ص38 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص478.

ولم يكن ذلك كله منهم، إلا لأجل تكريس اغتصابهم لمقام الخلافة من أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلولا أنها «عليها السلام» لم ترض بحضورهم جنازتها.. وأصرت على أن لا يعرف موضع قبرها لما عرفت الأمة الحق، ولتمكن وعاظ السلاطين من تشويه الحقائق، وتضليل الخلائق..

ففاطمة «عليها السلام» حفظت معنى الإمامة، ورسخت في ضمير الأمة الصلة بين الإمامة والنبوة.. وهذا فشل ذريع للغاصبين والمعتدين، وإن تمكنوا من التأمُّر على الأمة بالقوة والقهر..

الفصل السابع:

حديث سد الأبواب..

نصوص وآثار:

نذكر في البداية بعض نصوص حديث سد الأبواب، ثم نعقب ذلك بذكر بعض الأمور التي ترتبط بها، والنصوص هي التالية:

حديث سد الأبواب:

1 ـ روي في احتجاجات علي «عليه السلام» على جماعة ـ وذلك في زمن عثمان ـ: أنه ذكر لهم قول النبي: «إن الله أمر موسى أن يبني مسجداً طاهراً، لا يسكنه غيره وغير هارون وابنيه، وإن الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً، لا يسكنه غيري وغير أخي وابنيه»[1].

---

(1) راجع: كتاب سليم بن قيس ص636 و 637 و 639 و (ط الأولى سنة 1422هـ) ص195 و 321 و 400 وموسوعة الإمام الحسين ج21 ص943 و 944 عنه، وراجع: مناقب الإمام علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص299 والنوادر للراوندي ص102 وبحار الأنوار ج39 ص33 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص332 والخصائص الكبرى للسيوطي ج2 ص243 وسبل الهدى والرشاد ج10 ص424 وغاية المرام ج2 ص100 و 102 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص560.

2 ـ في رواية أخرى: أن حمزة والعبّاس قالا ـ حين أمر «صلى الله عليه وآله» بسدِّ الأبواب الشارعة في المسجد ـ: يأمرنا بسدِّ أبوابنا ويدع باب عليّ!!

فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: قد بلغني ما قلتم في سدّ الأبواب، والله ما أنا فعلت ذلك، ولكنّ الله فعله.

وإنّ الله أوحى إلى موسى أن يتّخذ بيتاً طهراً، ولا يُجنب فيه إلّا هو وهارون وابناه، يعني لا يُجامع فيه غيرهم.

وإنّ الله أوحى إليّ أن أتّخذ هذا البيت طهراً، لا ينكح فيه إلّا أنا وعليّ، والحسن والحسين..

والله ما أنا أمرت بسدّ أبوابكم، ولا فتحت باب عليّ، بل الله أمرني به(1).

3 ـ عن الإمام الرضا، عن آبائه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد، إلّا أنا وعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، ومَنْ كان من أهلي، فإنّهم منّي(2).

4 ـ عن أم سلمة «رضي الله عنها»، قالت: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ألا إنّ مسجدي حرام على كلّ حائض من النّساء، وكلّ جنب

---

(1) دعائم الإسلام ج1 ص16 و 17 وموسوعة الإمام الحسين ج21 ص948 عنه.

(2) الأمالي للصدوق ص334 و (ط مؤسسة البعثة) ص413 وعيون أخبار الرضا ج2 ص65 ومن لا يحضره الفقيه ج3 ص364 و (ط جماعة المدرسين) ج3 ص557 و 558 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج2 ص208 وج20 ص256 و 257 و (الإسلامية) ج1 ص486 و 487 وج14 ص192 وبحار الأنوار ج23 ص145 وج25 ص169 وج39 ص20 وج78 ص48 وغاية المرام ج6 ص259.

من الرّجال، إلّا على محمّد وأهل بيته: عليٍّ، وفاطمة، والحسن والحسين «رضي الله عنهم»(1).

وفي نص آخر عن أم سلمة أنه قال: ألا، لا يحلّ هذا المسجد لجنب، ولا لحائض، إلّا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وعليٌّ، وفاطمة، والحسن والحسين. ألا قد بيّنت لكم الأسماء أن لا تضلّوا(2).

5 ـ عن الإمام الرضا «عليه السلام» في حديث، قال: «وأما الرابعة، فإخراجه «صلى الله عليه وآله» الناس من مسجده، ما خلا العترة، حتى تكلم الناس في ذلك، وتكلم العباس، فقال: يا رسول الله، تركت علياً وأخرجتنا؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن

---

(1) السنن الكبرى للبيهقي ج7 ص65 وفرائد السمطين ج2 ص29 وكنز العمال ج12 ص101 وتفسير الثعلبي ج3 ص313 وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج21 ص950 وسبل الهدى والرشاد ج10 ص423 وغاية المرام ج6 ص242 ودلائل الصدق ج6 ص116 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص578 و 579 وج9 ص225 وج23 ص93 وج24 ص612 وج31 ص128.

(2) السّنن الكبرى للبيهقي ج7 ص65 وتاريخ مدينة دمشق ج14 ص171 و (ط دار الفكر) ج14 ص166 وتهذيب تاريخ مدينة دمشق لابن بدران ج4 ص317 ـ 318 ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج7 ص123 وكنز العمّال ج12 ص101 وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج21 ص950 وذكر أخبار إصبهان ج1 ص291 وإمتاع الأسماع ج10 ص183 وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص172 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص577 وج9 ص224 وج18 ص420 وج23 ص94 ـ 95 و 97 وج24 ص613 وج25 ص244 وج26 ص123 وج27 ص53 وج31 ص127 و 128.

الله عز وجل تركه وأخرجكم.

وفي هذا تبيان قوله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى».

قالت العلماء: وأين هذا من القرآن؟!

قال أبو الحسن: أوجدكم في ذلك قرآناً، واقرؤه عليكم؟!

قالوا: هات.

قال: قول الله عز وجل: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً**﴾[1].

ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى، وفيها أيضاً منزلة علي «عليه السلام» من رسول الله «صلى الله عليه وآله». ومع هذا دليل واضح في قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين قال: ألا إن هذا المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمد وآله «صلوات الله عليهم»[2].

6 ـ عن أبي رافع: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خطب الناس، فقال: أيها الناس، إنّ الله عزّ وجلّ أمر موسى وهارون أن يبنيا لقومهما بمصر

---

(1) الآية 87 من سورة يونس.

(2) بحار الأنوار ج39 ص20 و 21 والأمالي للصدوق ص314 و (ط مؤسسة البعثة) ص619 وعيون أخبار الرضا ص128 و (ط الأعلمي) ص210 والبرهان (تفسير) ج3 ص45 ونور الثقلين (تفسير) ج2 ص314 و 315 وكنز الدقائق (تفسير) ج6 ص88 وبشارة المصطفى ص352 و 353 وتأويل الآيات الظاهرة ج1 ص220 وغاية المرام ج2 ص328.

بيوتاً، وأمرهما ألَّا يبيت في مسجدهما جنب، ولا يقرب فيه النّساء، إلَّا هارون وذرّيّته..

وإنّ عليّاً منّي بمنزلة هارون من موسى، فلا يحلّ لأحد أن يقرب النّساء في مسجدي، ولا يبيت فيه جنب، إلَّا عليّ وذرّيّته، فمن ساءه ذلك فها هنا.. وضرب بيده نحو الشّام(1).

وذكر نص آخر عن حذيفة بن أسيد الغفاري: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما خطب وقال ما تقدم، لأن المسلمين حين قدموا المدينة لم تكن لهم بيوت، فكانوا يبيتون في المسجد، فقال لهم النبي «صلى الله عليه وآله»: لا تبيتوا في المسجد، فتحتلموا.

ثم إن القوم بنوا بيوتاً حول المسجد، وجعلوا أبوابها إلى المسجد، فبعث إليهم النبي «صلى الله عليه وآله» معاذ بن جبل، فنادى أبا بكر، فقال له: إن رسول الله يأمرك أن تخرج من المسجد، وتسد بابك الخ..

ثم ذكر اعتراض حمزة على هذا الإجراء، وغير ذلك من أمور، ثم ذكر

---

(1) بحار الأنوار ج39 ص22 و 30 و 32 وج78 ص60 و 61 وج81 ص5 وعلل الشرائع ص78 و (ط أخرى) ص192 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص202 وتفسير العياشي ج2 ص127 وراجع: البرهان (تفسير) ج2 ص193 و (ط مؤسسة البعثة) ج3 ص46 ونور الثقلين (تفسير) ج2 ص315 وكنز الدقائق (تفسير) ج6 ص88 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص371 ـ 372 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج2 ص208 و (الإسلامية) ج1 ص487 والتفسير الصافي ج2 ص414 و 415 وغاية المرام ج2 ص114.

خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» المشار إليها آنفاً(1).

7 ـ وفي رواية أخرى مطولة عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، جاء فيها قوله: لا ينبغي لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت في هذا المسجد جنباً، إلا محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والمنتجبون من آلهم، الطيبون من أولادهم(2).

ونقول:

وقفة مع النصوص المتقدمة:

هنا أمور نحب الإشارة إليها، وهي التالية:

1 ـ هناك أمور في حياة الأئمة والأنبياء لا ينبغي أن يمرَّ عليها المرء مرور

(1) مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي (انتشارات سبط النبي) ص206 و 207 و (ط طهران) ص253 وبحار الأنوار ج39 ص31 و 32 والعمدة لابن البطريق ص177 و 178 والطرائف لابن طاووس ص61 و 62 وكتاب الأربعين للماحوزي ص446 و 447 والبرهان (تفسير) ج3 ص46 ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص144 وكشف الغمة ج1 ص339 ونهج الإيمان ص437 و 438 وكشف اليقين ص209 و 210 وغاية المرام ج6 ص236 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص568 وج16 ص355 و 356.

(2) بحار الأنوار ج39 ص23 وج78 ص62 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج2 ص210 و (الإسلامية) ج1 ص489 والتفسير المنسوب للإمام العسكري ص5 و 6 و (ط مهر ـ قم سنة 1402هـ) ص18.

الكرام، بل ينبغي التوقف عندها، والتأمل في دلالتها، واستكناه أهدافها وغاياتها، ومنها حديث سد الأبواب التي كانت شارعة في المسجد، باستثناء باب علي «عليه السلام»..

ولأن الذين كانوا يسكنون في محيط المسجد النبوي في المدينة هم من الصحابة المعروفين.. وقسم منهم كانوا من الطامحين، أو الطامعين: بأن يكون لهم مقام وشأن، ولاسيما بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».. كما أظهرت الأحداث التالية، ولأن تنويه النبي «صلى الله عليه وآله» باسم أمير المؤمنين «عليه السلام» كرات ومرات، وتصريحاته الكثيرة: بأنه هو الوصي والولي من بعده.. وإعلانه المتواصل بعظيم شأنه، وسمو مقامه عند الله، ولاسيما في المواقع الحساسة التي كان يتجلى فيها عظمة وجهاد، وعلم، وفضل، وتدبير، وسياسة علي «عليه السلام»، وفشل أولئك الطامعين والطامحين.

نعم، من أجل ذلك كله يرى الناظر: أن ذلك كان يضايق كثيراً أهل الطمع، والطموح، ويزيد من كربهم، ومن تحاملهم على علي «عليه السلام» وربما ظهرت في تصرفاتهم إشارات، بل تصريحات بما يضمرونه، أو يدبرونه، من فنون الأذى، وصنوف التزوير والتحوير، والتحايل الهادف لإفراغ هذه البيانات النبوية من مضمونها، ولو بإثارة الشبهات حولها، أو حول دوافعها..

وربما أتت هذه المحاولات على شكل اعتراض مباشر على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بما يقول ويقرر.

وقد ظهرت هذه الاعتراضات، أو التبرم، والإنكار حين أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بسدِّ الأبواب الشارعة في المسجد، إلا باب علي، وإلا

عترته، يقول النص المتقدم: «حتى تكلم الناس في ذلك، وتكلم العباس، فقال: يا رسول الله، تركت علياً وأخرجتنا؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن الله عز وجل تركه وأخرجكم».

وفي حديث آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «فمن ساءه ذلك فهاهنا .. وضرب بيده نحو الشّام».

2 ـ ولكن ما زاد في همِّ وغم مناوئي أهل البيت وحاسديهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صرَّح: بأنه لا يجوز أن يجنب في المسجد سوى النبي وعلي والحسنين «عليهم السلام»، وسائر العترة، أو سائر من كان من أهله «صلى الله عليه وآله»، وفي نصوص أخرى أضاف فاطمة «عليها السلام».. وفي بعض النصوص ذكر أن ذلك حق لعلي وذريته.

وفي رواية أخرى قال: إلا محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، والمنتجبون من آلهم الطيبون من أولادهم.

3 ـ إن ذكر الحسنين «عليهما السلام» في جملة من يجوز له أن يجنب في المسجد.. يمكن اعتباره من الإخبار عن الغيب: بأن الحسنين «عليهما السلام» معصومان مطهران، وسيبقيان كذلك طيلة حياتهما المباركة، التي تمتد إلى أن يكبرا ويتزوجا..

وفي هذا أيضاً تكريس لخصوصية أهل بيت النبوة، وأنهم ليسوا كسائر الناس، حتى في طفولتهم، فإنها طفولة متميزة في جميع شؤونها وحالاتها في الفكر والعلم والوعي، والطهارة، والاطِّلاع على الغيوب، واجتراح المعجزات،

وظهور الكرامات لهم.. ويعاملهم الله ورسوله بهذا المنطق، وعلى هذا الأساس.

يضاف إلى ذلك: أن تكريس هذا المفهوم يجعل كل ما يدَّعيه الطامحون والطامعون من كبار السن، الذين يسعون لأن يكون لهم شأن ومقام في مهب الريح.. لأن هذه الخصوصيات في العترة لا يمكن لأحد من البشر أن يدَّعيها لنفسه.. ولو فعل ذلك، فإن الوقائع تكذِّبه، والشواهد تنقض دعواه.. وهل يمكن أن يدَّعي أحدٌ منهم: أنه يعلم الغيب، أو أنه يجترح المعجزة، والمعرفة بأسرار الخلق، أو رؤية ملكوت السماوات والأرض، أو غير ذلك؟!

ولأنهم يدركون عجزهم عن ذلك كله، وسواه مما هو أدنى منه، فضلاً عما هو أسمى وأعلى.. فإنك تراهم يسكتون، ولا يجرؤون حتى على طلب الشاهد العملي على ذلك، ويتظاهرون بالتسليم والتصديق، لأنهم يعلمون أن لدى أولئك الصغار في الظاهر: قدرات، وميزات، وحالات لا تنالها الأوهام، وقد عاينوا الكثير منها في الحالات المختلفة.

بين الشريعة والقانون:

1 ـ لا حاجة إلى التذكير: بأن رواد المنظِّرين، والمتصدين لبلورة ووضع القوانين الوضعية يزعمون: أن هدفهم هو انتظام الأمور، وضبط طريقة التعامل بين البشر لحفظ مصالحهم، وتأمين حاجاتهم، وضمان عدم حصول تعديات، واتِّباع أساليب تفوِّت عليهم فرص حصولهم على ملذاتهم الشخصية، أو تخلّ بأمنهم، أو بمعيشتهم، أو تختزل حقوقهم الإنسانية والاجتماعية، وما إلى ذلك.

ولكننا إذا راجعنا قوانينهم نجد أنها لا تفي حتى بهذا المقدار، بل ربما

كانت سبباً في تفويته، وسلب القدرة على الوصول إليه.. ولسنا بصدد البحث حول هذا الموضوع.

2 ـ ولكن التشريع الإلهي يهدف إلى تكامل الإنسان في إنسانيته، وفي علاقته بربه، وبأبناء جنسه، وبكل ما في هذا الكون والحياة.. حتى إنهم مسؤولون عن البقاع والبهائم، فضلاً عن أنهم مسؤولون عن الماء والهواء، والغذاء، والبحار، والأنهار وما فيها، وكل شيء.. حيث لا بد أن يتعاهدوا ذلك كله بالحفظ والصون، والنقاء، والبقاء، والسلامة.

بل هو يريد لكل ما في هذا الوجود: أن يتخذ موقعه، ويأخذ دوره الطبيعي الذي رصده الله تعالى له في النهوض بهذا الكون، أو إعماره وفق الأهداف الإلهية، وما أودعه الله فيه من أسرار، وخصائص، ومؤهلات.

وكذلك الحال بالنسبة للإنسان، فإن المطلوب هو تنمية قدراته، وملكاته، ومؤهلاته، وتصفية، وتزكية، وتطهير، وتوازن روحه وجسده، وعقله، وفكره، ومشاعره، وكل شيء يعنيه، أو يعود إليه، بنحو أو بآخر..

وأن يكون ذلك كله مرتبطاً بالإرادة والاختيار، من منطلق الوعي والوضوح، والإيمان، والإخلاص.

وهذا يعطي: أن الشريعة منسجمة مع حقائق التكوين، لأنها ترتكز إلى مصالح واقعية يراد الوصول إليها، والحصول عليها بوسائل مشروعة، وقادرة على إيصال الأشياء إلى كمالاتها، وأهدافها.

فلا يوجد في هذا الوجود ما هو عبثي، ولا شيء يمكن إسقاطه من الحساب.. بل لكل شيء هدف صحيح يفترض أن يصل إليه، أو دور ينبغي

له أن يؤديه.. ولا يمكن عزل الروحاني عن الجسماني، والسمائي عن الأرضي، والنفسي عن العقلي، وما إلى ذلك.. فلا بد من اكتشاف حالات الانسجام بين الأشياء، سواء أكانت متجانسة أو متخالفة.

فإن ما نراه متجانساً قد يحمل في داخل هذا الفرد أقصى أنواع التباين مع الفرد الآخر. ولأجل ذلك ورد في الرواية قوله «عليه السلام»: «الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[1].

---

(1) راجع: المؤمن لابن سعيد الكوفي ص39 والأمالي للصدوق ص209 والإعتقادات في دين الإمامية ص48 وعلل الشرائع ج1 ص84 ومن لا يحضره الفقيه ج4 ص380 وروضة الواعظين ص492 ومختصر بصائر الدرجات ص215 والاختصاص للشيخ المفيد ص311 وتصحيح إعتقادات الإمامية ص80 و 81 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج1 ص183 وغوالي اللآلي ج1 ص288 ومدينة المعاجز ج2 ص197 وينابيع المعاجز ص149 وبحار الأنوار ج2 ص265 وج5 ص241 و 261 و 266 وج6 ص249 و 252 وج25 ص14 وج40 ص222 وج42 ص196 وج45 ص404 وج47 ص357 وج58 ص31 و 41 و 63 و 64 و 79 و 80 و 106 و 132 و 134 و 135 و 138 و 139 و 140 و 144 وج64 ص166 وج65 ص205 و 206 وج71 ص267 و 274 وج74 ص165 وج96 ص220 والعوالم، الإمام الحسين ص728 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص107 وج4 ص214 و 215 و 216 وراجع: مسند أحمد ج2 ص295 و 527 و 539 وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج4 ص104 وصحيح مسلم ج8 ص41 و 42 وسنن أبي داود ج2 ص442 و 443 والمستدرك للحاكم ج4 ص420 وشرح صحيح مسلم للنووي ج16 ص185 ومجمع

وقال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾[2].

مع أن الجميع بشر، وسائر بقاع الأرض تراب وحجر وماء.

3 ـ ومن هذا يتبين لنا: أن الطهارة الحقيقية للروح والنفس، والمشاعر والقلب، والضمير، والعقل، والفكر، والأخلاق، والجسد، والوجدان، والمحيط، هو المنسجم مع المسجد الطاهر، ومع من طهَّرهم الله في كتابه تطهيراً بعد

الزوائد ج1 ص162 وج2 ص314 وج8 ص87 و 88 وج10 ص273 وعمدة القاري ج15 ص215 والديباج على مسلم ج5 ص552 و 553 والأدب المفرد ص192 والإخوان لابن أبي الدنيا ص145 و 146 ومسند أبي يعلى ج7 ص344 وصحيح ابن حبان ج14 ص43 والمعجم الأوسط ج2 ص161 وج5 ص248 والمعجم الكبير ج6 ص263 و 265 وج9 ص185 وج10 ص230 والأمثال في الحديث النبوي ج1 ص62 و 63 و 65 و 66 و 67 ومسند الشهاب ج1 ص185 و 186 وشعب الإيمان ج6 ص497 ورياض الصالحين للنووي ص220 وتغليق التعليق ج4 ص5 و 7 والجامع الصغير ج1 ص472 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج9 ص6 و 22 و 23 و 171 و 172 وج10 ص149 وج13 ص169 و 425 وفيض القدير ج1 ص706 وكشف الخفاء ج1 ص111 و 112 و 113 وج2 ص4.

(1) الآية 26 من سورة النور.

(2) الآية 58 من سورة الأعراف.

تطهير، وأصدر أوامره، وشرع شرائعه لزوجات رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليذهب الرجس عن أهل البيت ومنهم الحسنان «عليهم السلام».

وهذا هو السر في أن يكون أولياء المسجد هم المتقون، الطاهرون، البريئون من المعاصي، والرذائل بمختلف أنواعها.

الطهارة والإمامة:

وقد يتوهم بعض الناس: أن إثبات الطهارة للحسنين «عليهما السلام» في وقت بعينه لا يعني بقاءها وثبوتها لهما في كل حال وزمان.. فللبشر تبدلات وتحولات..

ويجاب:

أولاً: إن الله تعالى حين أخبر عن طهارة النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل بيته، إنما أخبر عن إرادته تطهيرهم «صلوات الله وسلامه عليهم»، وقد أطلق كلامه ولم يقيِّده بحال، ولا بزمان..

وقد أنزل في ذلك آية قرآنية ستبقى نهجاً ومرجعاً لجميع الناس إلى يوم القيامة..

فلو صدر منهما «عليهما السلام»، ولو بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» أي شيء ينتقص هذه الطهارة لتسرب الشك في صدق القرآن إلى النفوس في كل جيل..

ثانياً: لو صح هذا التوهم، لسرى هذا الاحتمال إلى النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، فيقال: الآية دلت على طهارته في زمان نزولها، فلعل حاله قد

تغيَّر وارتكب بعض المخالفات بعد ذلك!! فهل يستسيغ مسلم هذا القول؟!

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أثبت لنفسه ولعترته وأهل بيته، ومنهم الحسنين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين» آثار الطهارة، وهي: جواز الجنابة في المسجد في جميع زمان حياتهما.. وحسب العادة، فإن احتلام الحسنين «عليهما السلام»، وجنابتهما إنما تكون بعد البلوغ الذي سيكون بعد استشهاد النبي «صلى الله عليه وآله» بعدة سنوات.

فالإخبار عن جواز الجنابة لهما في المسجد إخبار عن استمرار صفة الطهارة إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، وإلى آخر حياتهما «عليهما السلام».. لاسيما وأن هذا الحكم قد جعل لهما، من حيث هما من أهل بيت النبوة، لا لمجرد قرابتهما من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن العصاة لا يكونون من أهل بيت النبوة، ويفترض أن لا يجوز لهم الجنابة في المسجد. وإلا لجاء السؤال عن الفرق بين هذا القريب العاصي، وبين غيره من العصاة.. سواء أكانوا من قرابته، أو من غيرهم..

بل تقدم: أنه يستفاد من الروايات: أن جواز الجنابة في المسجد ثابت لجميع الأئمة الطاهرين من أولاد الحسن والحسين «عليهما السلام».

اعتراض الحمزة والعباس:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة: حصول اعتراض من قبل عدد من الصحابة على هذا الإجراء، وذكروا: الحمزة والعباس بن عبد المطلب في جملة المعترضين، وبعض الروايات ذكر الحمزة فقط، وفي بعضها العباس، وبعضها جمع بينهما.

ونقول:

1 ـ أما بالنسبة للحمزة فإننا نقول: إن هذا مكذوب عليه بلا ريب، لسبب بسيط هو أن الحمزة قد استشهد في واقعة أحد قبل ولادة الحسنين «عليهما السلام»، أو قبل ولادة أحدهما على أقل تقدير..

2 ـ أما العباس، فإنما قدم المدينة بعد فتح مكة، الذي حصل في سنة ثمان، فالرواية التي ذكرته مع حمزة تكون مشكوكة، بل باطلة لعدم وجود حمزة على قيد الحياة، لأنه استشهد في سنة ثلاث. وحديث سد الأبواب قد حصل بعد السنة الرابعة.. أي بعد ولادة الحسنين «عليهما السلام».

3 ـ تبقى الرواية التي ذكرت اعتراض العباس وحده، وهي رواية الإمام الرضا «عليه السلام» المتقدمة وقالت: «حتى تكلَّم الناس في ذلك، وتكلم العباس».. ونحن لا نستبعد صحة هذه الرواية.

وإذا أردنا أن نحسن الظن بالعباس، فإننا نقول: لعله أراد بكلامه: أن يستوضح الأمر من النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يرد أن يعترض عليه..

كما ربما يشير إليه قول الإمام الرضا «عليه السلام»: إن الناس تكلموا في ذلك، ثم أفرد العباس بقوله: «وتكلم العباس»، فلعل سبب إفراده له هو اختلاف الداعي، فهم تكلموا على سبيل الاعتراض، والعباس على سبيل الاستيضاح.

ورواية حذيفة بن أسيد، وكذا رواية أبي رافع المتقدمتان تدلان على أن الذين تكلموا في هذا الأمر، إنما تكلموا فيه عن مساءة، واعتراض، لا للاستيضاح، ففي هذه الرواية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «فمن ساءه ذلك فهاهنا.. وضرب بيده نحو الشّام»..

وهذه العبارة تدل أيضاً على أن اعتراضهم قد أغاظ النبي «صلى الله عليه وآله» كثيراً، حتى لقد هددهم بالإخراج إلى الشام، التي كانت لا تزال على الكفر، والمناوأة والعداء للإسلام والمسلمين.

حدثان لا حدث واحد:

هناك رواية مناشدة الإمام الحسين «عليه السلام» الناس قبل موت معاوية في موسم الحج، وفيها: أنه «عليه السلام» «جمع بني هاشم: رجالهم، ونساءهم، ومواليهم، وشيعتهم، ومن حج منهم، ومن الأنصار» ثم قال:

«أُنْشِدُكُمُ الله! هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله «صلى الله عليه وآله» اشْتَرى مَوضِعَ مَسْجِدِهِ، وَمَنازِلِهِ، فَابْتَناهُ. ثُمَّ ابْتَنى فيهِ عَشَرَةَ مَنازِلَ، تِسْعَةٌ لَهُ، وَجَعَلَ عاشِرَها في وَسَطِها لأِبي؟!

ثُمَّ سَدَّ كُلَ بابِ شارعِ إِلىَ الْمَسْجِدِ غَيْرَ بابِهِ، فتَكَلَّمَ في ذلِكَ مَنْ تَكَلَّمَ، فَقالَ «صلى الله عليه وآله»: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت بابه، ولكنّ الله أمرني بسدّ أبوابكم وفتح بابه.

ثُمَّ نَهَى النّاسَ أَنْ يَنامُوا في الْمَسْجِدِ غَيْرَهُ.

وَكانَ يُجْنِبُ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَنْزِلُهُ في مَنْزِلِ رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله» فَوُلِدَ لِرَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله» وَلَهُ فيهِ أَوْلادٌ.

قالوا: أللّهمّ نعم»!(1).

---

(1) كتاب سليم بن قيس ص777 و 788 و 790 و (ط الأولى سنة 1422هـ)

فقد دلت هذه الرواية التي تحكي ما جرى في أيام الحج، في سنة تسع وخمسين للهجرة. على حصول أمرين:

الأول: أمر النبي «صلى الله عليه وآله» بسد الأبواب الشارعة في المسجد باستثناء باب علي وأهل بيته.

الثاني: منع الناس من أن يبقوا في المسجد على جنابه إلا علياً وأهل بيته «عليهم السلام».

كما أن ظاهر هذه الرواية عن الإمام الحسين «عليه السلام»: أن الأمر بسد الأبواب قد سبق نهيه إياهم عن النوم في المسجد..

ويفهم من حديث حذيفة بن أسيد: أن المنع من المبيت في المسجد خوفاً من حدوث جنابة قد سبق الأمر بسد الأبواب، لأنه كان في أول قدوم المهاجرين إلى المدينة، حيث كانوا يبيتون في المسجد، ثم بنوا لأنفسهم بيوتاً حول المسجد، وجعلوا أبوابها إليه، فأمرهم النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً بسدها.

وظاهر رواية أبي رافع: أنه نهى عن الأمرين في كلام وموقف واحد.. ولعل هذا حصل مرة ثالثة بعد حصول الأمرين معاً..

أضاف بعض الإخوة الأكارم قوله:

ص194 ـ 195 و 321 ومستدرك الوسائل ج14 ص301 و 302 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص330 و 331 وبحار الأنوار ج31 ص428 وج33 ص182 و 183.

ويحتمل: أن يتقدم النهي، فلا يستجيب كل أحد، فينهاهم، وينهى مرة أخرى بسد الأبواب، فيستجيب الكل ويمتنعوا.

السنن الإلـهية:

ويبقى هنا سؤال عن ربط الأمر بسد الأبواب الشارعة بالمسجد بموسى وهارون، وابني هارون: شبر وشبير «عليهما السلام»، حيث ذكرت الروايات: أن الله تعالى أمر موسى أن يبني مسجداً طاهراً، لا يبيت فيه جنب، ولا يقرب فيه النساء إلا موسى وهارون وذريته «عليهم السلام».

وأن الله تعالى قد أجرى هذه السنة في هذه الأمة، فأمر الله النبي أن يبني مسجداً طاهراً لا يبيت فيه جنب، ولا يقرب فيه النساء إلا محمد، وأخوه علي، وابناه الحسن والحسين «عليهم الصلاة والسلام».

فإن من فوائد جريان هذه السنة:

أولاً: التأكيد على تميز هذه الثلة على سائر الخلق..

ثانياً: التأكيد على الانسجام بين منظومة السنن، والخصائص التكوينية والروحية، والتناغم والانسجام بين ما هو روحي، أو معنوي، وبين ما هو مادي، أو جسدي.. فبعد أن طهَّر الله الخمسة أصحاب الكساء، بقوله: ﴿**لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ أصبح من الممكن تعقُّل أن يكون لطهارة المسجد صلة بطهارة أرواح ونفوس رواده وأهله، والمنتمين إليه خصوصاً هذه الصفوة من أهل الكساء.

ثالثاً: التأكيد على أن منزلة علي «عليه السلام» من النبي «صلى الله عليه

وآله» هي نفس منزلة هارون من موسى، فإنه أخوه ووصيه، وشريكه، وناصره وما إلى هنالك..

ولأجل ذلك جاء في خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» المتقدمة عن أبي رافع، وحذيفة بن أسيد الغفاري: «..وإنّ عليّاً منّي بمنزلة هارون من موسى، فلا يحلّ لأحد أن يقرب النّساء في مسجدي، ولا يبيت فيه جنباً، إلَّا عليّ وذرّيّته»(1).

ويزيد هذا الأمر وضوحاً، إذا استذكرنا الحديث الذي يقول: إن الله تعالى لم يعطِ نبياً فضيلة إلا وأعطاها لنبيه «صلى الله عليه وآله»، وقد أعطى الله موسى هذه الفضيلة، فهي ثابتة لنبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله»..

(1) بحار الأنوار ج39 ص22 و 30 و 32 وج78 ص60 و 61 وج81 ص5 وعلل الشرائع ص78 و (ط أخرى) ص192 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص202 وتفسير العياشي ج2 ص127 وراجع: البرهان (تفسير) ج2 ص193 و (ط مؤسسة البعثة) ج3 ص46 ونور الثقلين (تفسير) ج2 ص315 وكنز الدقائق (تفسير) ج6 ص88 ومناقب آل أبي طالب ج1 ص371 ـ 372 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج2 ص208 و (الإسلامية) ج1 ص487 والتفسير الصافي ج2 ص414 و 415 وغاية المرام ج2 ص114.

الفصل الثامن

الحسنان ، في حديث الغدير

الحسين × يوم الغدير:

من المعلوم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نص على أن علياً «عليه السلام» ولي للمؤمنين في أكثر من مقام. ثم أخذ له البيعة من عشرات الألوف من الناس في يوم غدير خم، في طريق عودته «صلى الله عليه وآله» من حجة الوداع، حيث أوقف الجموع في ذلك الموضع، وأمرهم بالبيعة له «عليه السلام».

وقد احتج أمير المؤمنين «عليه السلام» وناشدهم بحديث الغدير، وما جرى منه، فشهد له سبعون بدرياً، يقول «عليه السلام» في مناشدته: إن النبي قال: أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

وحين سأله سلمان: يا رسول الله، ولاؤه كماذا؟!

قال «صلى الله عليه وآله»: ولاؤه كولايتي، من كنت أولى به من نفسه، فعلي أولى به من نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾[1].

---

(1) الآية 3 من سورة المائدة.

تقول الرواية: فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله، أنزلت هذه الآيات في علي خاصة؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بل فيه، وفي أوصيائي إلى يوم القيامة.

ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا سلمان، اشهد أنت ومن حضرك بذلك، وليبلغ الشاهد الغائب.

فقال سلمان الفارسي: يا رسول الله، بيِّنهم لنا.

فقال: «علي أخي، ووزيري، ووصيي، ووارثي، وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي، وأحد عشر إماماً من ولده.

أولهم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين، واحداً بعد واحد. القرآن معهم، وهم مع القرآن، لا يفارقونه حتى يردوا علي الحوض».

يقول حديث المناشدة هذا:

فقام اثنا عشر رجلاً من البدريين، فقالوا: نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله كما قلت سواء، لم تزد فيه، ولم تنقص حرفاً، وأشهدنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ذلك.

وقال بقية السبعين: قد سمعنا ذلك، ولم نحفظه كله، وهؤلاء الاثنا عشر خيارنا وأفضلنا الخ..

ثم تذكر رواية المناشدة هذه: شهادة عمار، وأبي أيوب الأنصاري، وذي الشهادتين، وأبي الهيثم بن التيهان..

والحديث طويل.. وفيه تصريح: بأن المراد من آية التطهير: علي، وفاطمة،

والحسنان، وبقية الأئمة الطاهرين «عليهم السلام»..

وفيه تصريح بأسماء الأئمة «عليهم السلام»، حين أراد «صلى الله عليه وآله» أن يكتب للناس في مرض موته كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فمنعوه.

ثم سأله عمر بن الخطاب عن مقصوده من أهل بيته في حديث الثقلين، فذكر أنه يقصد علياً، والحسنين، والأئمة التسعة من ذرية الحسين «عليه السلام»[1].

فليراجع الحديث في مصادره..

ونقول:

لا ينحصر الأمر ببيعة الغدير:

ما ذكرناه آنفاً كان موجزاً أو ملخصاً للفقرات التي تعني موضوعنا، من نص مطوَّل، أحببنا أن نتوقف عنده، لأنه ذكر الأئمة الاثني عشر «عليهم السلام» بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والحسنان «عليهما السلام» هما من هؤلاء الأئمة الذين نصت على طهارتهم، وعصمتهم آية التطهير، وغيرها.

ومن المعلوم: أن النص على إمامة علي «عليه السلام» للأمة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا ينحصر بحديث الغدير، بل هناك عشرات النصوص

(1) كتاب سليم بن قيس ص748 ـ 776 و (تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني ـ ط1 سنة 1422هـ ق. 1380 هـ ش) ص297 ـ 300 وبحار الأنوار ج33 ص141 ـ 159 وينابيع المودة ج1 ص341 ـ 349 والولاية لابن عقدة ص198 ـ 202 وغاية المرام ج2 ص108 ـ 109 و 244 ـ 246 و 355 ـ 356 وج3 ص335 ـ 337.

الأخرى على ذلك، إن لم نقل المئات.

كما أن النصوص والدلائل على الأئمة الاثني عشر بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفيهم الحسن والحسين كثيرة.

وكل ذلك يدل على عدم صحة ما يزعمونه، من أن قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾**[1]. يعمّ جميع المؤمنين.. أو أن المقصود بالولاية: الصحبة، أو المحبة؟!

فساد هذه المزاعم قد دل عليه قول النبي «صلى الله عليه وآله» لسلمان: «ولاؤه كولايتي، من كنت أولى به من نفسه، فعلي أولى به من نفسه».

وهذا الأمر يشمل سائر الأئمة الأحد عشر بعد علي «عليه وعليهم السلام».

تحصين نصوص الإمامة:

بالنسبة لقوله «صلى الله عليه وآله» في الرواية المتقدمة في ذكره لولاية علي، وباقي الأئمة «عليهم السلام» من بعده: «علي أخي، ووزيري، ووصيي، ووارثي، وخليفتي في أمتي، وولي كل مؤمن بعدي، وأحد عشر إماماً من ولده.. أولهم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد الحسين الخ..».

نقول:

قد دلّ قوله هذا ـ بما لا يدع مجالاً للشك ـ على أنه «صلى الله عليه وآله»، لا يتحدث عن محبة، ولا عن صحبة، أو وصاية على مال، أو أداء دين، أو

(1) الآية 55 و 56 من سورة المائدة.

بحفظ عائلته، أو نحو ذلك، بل الأمر أشمل وأعم من ذلك..

على أن هناك فقرة أخرى في الرواية المتقدمة أيضاً تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» قال: «أن أَنْصِب لكم إماماً، يكون وصيي فيكم، وخليفتي في أمتي، وفي أهل بيتي من بعدي»[1].

ونستخلص من هاتين الفقرتين: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أراد أن يسدّ جميع المنافذ أمام المصطادين في الماء العكر، الذين يسعون لتحريف الكلم عن مواضعه. بادعاء أن مراده «صلى الله عليه وآله» لا يتناول الخلافة والإمامة والحاكمية في الأمة، حيث إنه «صلى الله عليه وآله» بعد أن ذكر علياً «عليه السلام» بالأخوة له قال عنه:

ألف: إنه وزيره. والوزير هو المشارك في تدبير الأمور، والمعين على إنجازها. وهي لا تختص بشأن دون شأن، بل تشمل جميع الأمور التي يتولاها الأمير، بلا فرق بين شؤون الحرب والسلم، وإنجاز المهمات الاجتماعية العامة، والتربية والتعليم، والقضاء، وما إلى ذلك..

ب: ولو نوقش في شمول ذلك لما بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأصروا على حصر المعونة والتدبير بحال حياته «صلى الله عليه وآله»، فإنه «صلى الله عليه وآله» أضاف فقرة ترتبط بمرحلة ما بعد الوفاة، فقال: «ووصيي».. فإن هذا التعبير يستعمل لمرحلة ما بعد الوفاة.

ج: وحيث إن البعض قد يدعي أن المقصود قد يكون هو الوصاية بالمال

(1) بحار الأنوار ج33 ص148 والمصادر المتقدمة للرواية.

والعيال، أو أداء الديون، أو نحو ذلك.. لا الوصية في مجال الحكم والسلطة على الأمة، فقد أضاف النص الآخر كلمة «فيكم»، فقال: «وصيي فيكم» ليدل على أنها وصاية لها ارتباط بالناس، وهي تعني المرجعية لهم، والمحورية بينهم، واعتبارهم إياه ممثلاً للنبي «صلى الله عليه وآله» فيهم، ولو كانت وصية بخصوص المال والعيال، فلا حاجة لكلمة: «فيكم».

د: ولو حاول البعض التشكيك بهذا المعنى أيضاً، فقد أضاف «صلى الله عليه وآله» قوله: «ووارثي» ليدل على أنه يريد خصوص العترة التي تكون بعد وفاته «صلى الله عليه وآله»، وأنه يريد أن يجعل له مقاماً هو له، تماماً كما يكون الإرث حقاً للوارث.. وأن المقام الذي يريد أن يمنحه إياه صادر عن شخص رسول الله، ويريد أن ينقله «صلى الله عليه وآله» إليه «عليه الصلاة والسلام».

ومن الواضح: أنه «صلى الله عليه وآله» لا يريد بهذه الكلمة أن يمنحه وراثة المال، وذلك:

أولاً: لأن الأنبياء والأوصياء لا يهتمون بالمال وجمعه، وتوريثه.

ثانياً: لأن الوارث للنبي «صلى الله عليه وآله» موجود، والحق بالأرث منحصر به، وهو فاطمة الزهراء «عليها السلام»، ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» ليسلب حقاً نص الله تعالى في كتابه على أنه لشخص، ويمنحه لشخص آخر..

ثالثاً: إن وصول أي شيء إلى الزهراء «عليها السلام» لن يكون علي «عليه السلام» بعيداً عنه، لأن الزهراء لن تمنعه عنه لو احتاج إليه..

على أن الزهراء وعلياً «عليهما السلام» لن يحتفظا بشيء من حطام الدنيا

لأنفسهما، كما دل عليه ما جرى في إطعام المسكين، واليتيم، والأسير، ونزول سورة «هل أتى» بهذه المناسبة.

وهذا يؤكد أن ما قصده «صلى الله عليه وآله» هو وراثة مقامه وموقعه في إدارة شؤون الأمة، وحفظ الدين.. وهذا هو ما ينتقل إلى خصوص الأئمة الاثني عشر من بعده، من إمام لإمام، ولا يتعداهم إلى أي من شركائهم في الأخوة النسبية.. مثل محمد ابن الحنفية وإخوته، فإنهم لا يشاركون الحسن والحسين في إرث هذا الموقع والمقام.. وكذلك الحال في باقي الأئمة مع إخوانهم.

هـ: ثم أضاف «صلى الله عليه وآله» صفة أخرى تقطع كل عذر، وتزيل كل شبهة، حيث قال: «وخليفتي في أمتي».

و: وقد يخطر ببال البعض أن يتذاكى حتى على هذا التعبير الواضح والصريح، فيدعي أن الخلافة في الأمة ربما كانت لإنجاز أمر بعينه، فلا تكون شاملة لمعنى الولاية عليها، والتصرف بشؤونها على حد ولاية النبي وتصرفاته فيها، فجاء قوله «صلى الله عليه وآله»: «وولي كل مؤمن بعدي».. ليدحض هذه المزاعم أيضاً.

ز: وعند هذه الفقرة بالذات أطلق «صلى الله عليه وآله» التعميم ليشمل بقية الأئمة الاثني عشر «صلوات الله وسلامه عليهم»، ويمنحهم نفس هذا الموقع بجميع شؤونه وخصوصياته، بصورة واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار.

ح: وأضاف في النص الآخر بعد قوله: «وخليفتي في أمتي» قوله: «وفي أهل بيتي بعدي» لكي لا يتوهَّمَ متوهِّمٌ أن خلافته «عليه السلام» في الأمة لا

تعني أنه خليفته على أهل بيت النبي «صلى الله عليه وآله»، فضلاً عن أن يتوسع في أهل البيت ليدَّعي شموله لسائر بني هاشم، ثم يدَّعي أهل الريب والطمع الإمامة للعباس مثلاً أو لغيره من بني الحسن، أو من بني الحسين، أو أبناء جعفر، وغير ذلك..

وهذا ما حاول بنو العباس أن يدَّعوه، وأن يسوِّقوا له، فكان الأئمة الطاهرون يتصدون لهم، ويبطلون أقوالهم، حفاظاً على الحق، فيعرِّضون أنفسهم للبطش والتنكيل، ويتعرض شيعتهم لأنواع الملاحقة والأذى، والحرمان والكيد والقتل، والتشريد، وما إلى ذلك..

الأسئلة الذكية:

يلاحظ هنا: أن أسئلة سلمان للنبي «صلى الله عليه وآله» الذكية قد هدفت إلى إفشال خطط الطامعين والطامحين للتشويه والتحريف، والتلاعب بالنصوص الصادرة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خصوص هذا الأمر المصيري والحساس..

وهي تدل على أن سلمان كان على درجة عالية من الوعي، وعلى معرفة تامة بأساليب ونوايا أولئك الناس الذين لا يتورعون عن أي عمل تزويري، أو أي شبهة يرون أنها تخدم مصالحهم، وتقربهم من تحقيق أحلامهم.

الحديث المؤلم:

إن الحديث عن الأئمة الاثني عشر، وأنهم سيكونون هم الامتداد للرسالة، وعلة مبقية لها، من شأنه أن يدخل اليأس إلى قلوب أصحاب الأطماع،

ويضعف من قدرات أصحاب النوايا المبيتة على تقويض دعائم الدين.. لأن التنصيص على الأئمة في مناسبة نزول آية : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1]. أفهمهم أن الأمر لا يقتصر على أمير المؤمنين «عليه السلام»، ليظنوا أن إقصاءه أو اغتياله يحسم الأمر، وينتهي عند هذا الحد، ويخلو الجو لهم من بعده، بل سيكون له حفظة آخرون على مدى الأزمان.

سمات ولمحات اخرى:

ـ إن الحديث تضمن أيضاً بيان نزول آية التطهير في الخمسة أصحاب الكساء.

وتضمن أيضاً: تصريح النبي «صلى الله عليه وآله» بأسماء الأئمة الاثني عشر، في مرض موته، حين طلب أن يأتوه بكتف ودواة، ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً، فقال أحدهم: إنه يهجر، أو نحو ذلك..

وفيه أيضاً: أن عمر سأل النبي «صلى الله عليه وآله» عن مقصوده من أهل بيته في حديث الثقلين، فذكر «صلى الله عليه وآله» له: أنه يقصد علياً، والحسن والحسين، والأئمة التسعة من ذرية الحسين «عليه السلام».

وكل ذلك يدل على أن حديث الثقلين، وآية إكمال الدين، وآية إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، وإرادة كتابة الكتاب في مرضه «صلى الله عليه وآله»، وآية التطهير، والتصريح بأسماء الأئمة الاثني عشر ـ إن ذلك كله وسواه ـ كان ثقيلاً جداً على قلوب فئات من الناس، وقد أوجب لهم همًّاً وغمّاً

---

(1) الآية 3 من سورة المائدة.

عميقين.

وقد ظهرت منهم بسبب ذلك بوادر تمرد وجرأة غير مسبوقة، خصوصاً في مرض موت النبي «صلى الله عليه وآله».. وقد استمر هذا الانفعال وتعاظم حتى تجلى على شكل عدوان صريح.. أظهر أن ثمة غضباً هائلاً، وغِلَّا قاتلاً دعاهم للإقدام على ضرب الزهراء، وإسقاط جنينها، ومحاولة إحراق بيتها بما فيه، وكانت هي وعلي والحسنان «عليهم السلام» فيه.. فإنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون.

الإشهاد على ما جرى والإلزام بنقله:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لسلمان: «يا سلمان، اشهد أنت ومن حضرك بذلك، وليبلغ الشاهد الغائب».

إلى أن تقول الرواية: «فقام اثنا عشر رجلاً من البدريين، فقالوا: نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله كما قلت سواء. لم تزد فيه، ولم تنقص حرفاً، وأشهدنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ذلك.

وقال بقية السبعين: قد سمعنا ذلك، ولم نحفظه كله، وهؤلاء الاثنا عشر خيارنا وأفضلنا الخ».

وأحب لفت النظر إلى:

1 ـ أن هذا الكلام إنما قاله أمير المؤمنين «عليه السلام» في خطبة له في عسكره ناقلاً له عن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أرسل إليه معاوية أبا هريرة، وأبا الدرداء. ثم ناشد «عليه السلام» الناس أن يشهدوا على صحة

كلامه، فشهدوا له على النحو الذي ذكرناه(1).

2 ـ إن طلب النبي «صلى الله عليه وآله» الشهادة بما جرى من سلمان، وممن حضر يشير إلى أنه كان يعلم أن ثمة من سينكر هذا الأمر، وستظهر الحاجة إلى الشهادة به.

3 ـ أما قوله «صلى الله عليه وآله»: «وليبلغ الشاهد الغائب» فيدل أيضاً على مدى اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بنشر هذا الأمر، وإشاعته في الناس. كما أنه يدل على أهمية هذا الأمر في نفسه، لأن الإمامة نظام الأمة، وسبب بقاء الدين، وبها يرتبط مصير الأمة، ويحفظ الدين، ويصان من التحريف وغيره. وهي جزء من عقائده، وحقائقه، لا يمكن التخلي عنه، أو العبث به، أو تخطيه..

العبدان الصالحان من هما؟!:

عن بشر، عن جرير بن عبد الله البجلي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخذ يوم الغدير بذراع علي «عليه السلام» وقال:

«من يكن الله ورسوله مولاه، فإن هذا مولاه.

اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

اللهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً.

اللهم إنّي لا أجد أحداً أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين(2)

---

(1) راجع: بحار الأنوار ج33 ص147 و 148.

(2) الغدير ج1 ص23 وخلاصة عبقات الأنوار ج9 ص113 و 114 وكنز العمال ج13

غيرك[1]، فاقض له بالحسنى».

قال بشر: قلت: من هذان العبدان الصالحان؟!

قال: لا أدري[2].

ص138 و 139.

(1) راجع: الغدير (تحقيق مركز الغدير للدراسات) ج1 ص621 ومجمع الزوائد ج9 ص106 والمعجم الكبير للطبراني ج2 ص357 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص236 والإكمال في أسماء الرجال ص36 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج16 ص564 وج30 ص422 عن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج17 ص358 وهداية العقول ص31.

وقال في كتاب على ضفاف الغدير: وأخرجه عنه أحمد بن عيسى المقدسي في الجزء الثاني من فضائل جرير بن عبد الله البجلي الموجود في المجموع 93 في المكتبة الظاهرية. أخرجه في الورقة 240.

وأخرجه ابن عساكر في تاريخه: رقم 587، وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ص17 ص358 والقرافي في نفحات العبير الساري: ق76/ب، والسيوطي في جمع الجوامع ص1 ص831 وفي قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص277 ح102 والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص206 والشوكاني في در السحابة ص210 والكتاني في نظم المتناثر في الحديث المتواتر ص194 وإسحاق بن يوسف الصنعاني في تفريج الكروب في حرف الميم.

(2) الغدير ج1 ص23 ومجمع الزوائد ج9 ص106 والمعجم الكبير ج2 ص357 و 358 والإكمال في أسماء الرجال ص36 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص236 وشرح إحقاق الحق ج16 ص564 وج30 ص423 وأسد الغابة ج1 ص308 وقال: أخرجه الثلاثة. يريد: ابن عبد البر، وابن مندة، وأبا نعيم.

وقال العلامة الأميني نقلاً عن تعليق هداية العقول[1]:

لعله أراد بالعبدين الصالحين أبا بكر وعمر.

وقيل: الخضر وإلياس.

وقيل: حمزة وجعفر «رضي الله عنهما»، لأن علياً «عليه السلام» كان يقول عند اشتداد الحرب: وا حمزتاه ولا حمزة لي! وا جعفراه ولا جعفر لي![2].

أقول: هذا رجم بالغيب، إذ لا مجال للنظر في تفسير العبدين الصالحين بمن ذكر إلا أن يعثر على نص..

والظاهر عدم ذلك، لما ذكره «سيدي العلامة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن المفضل رحمه الله» لما سأله بعضهم عن تفسير الحديث، فأجاب بما لفظه:

لم أعثر عليه في شيء من كتب الحديث، إلا أن في رواية مجمع الزوائد ما يدل على عدم معرفة الراوي أيضاً بالمراد بالرجلين، لأن فيه قال بشر، أي الراوي عن جرير: قلت: من هذان العبدان الصالحان؟!

قال: لا أدري.

قال «رحمه الله»: ومثل هذا إن لم يرد به نقل فلا طريق إلى تفسيره بالنظر[3].

---

(1) تعليق هداية العقول ص31.

(2) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج11 ص111 وبحار الأنوار ج29 ص624 والدرجات الرفيعة ص65 وأعيان الشيعة ج4 ص126 وج6 ص244 وغاية المرام ج5 ص346 وج6 ص19 وسفينة النجاة للتنكابني ص307.

(3) الغدير ج1 ص62 عن هداية العقول ص31.

ونقول:

ليس المراد هؤلاء:

لم يوضح حديث جرير بن عبد الله البجلي من هما العبدان الصالحان، وقد اختلفت الأقوال فيهما كما رأينا.

وما قالوه، من أن المراد بهما: أبو بكر وعمر، أو الخضر وإلياس، أو حمزة وجعفر لا مجال للاعتماد عليه، لأنه يواجه المآخذ التالية:

أولاً: إنها احتمالات اقتراحية، لا تستند إلى نقل، ولا تستأنس بشاهد.. ومثل هذه الأمور لا تدرك بالتظني، إلا من خلال تلمّس الدلائل والشواهد المعقولة والمقبولة.

ثانياً: إن إرادة أبي بكر وعمر من العبدين الصالحين لا تستقيم، إذ لا يمكن أن يحفظ هذان الرجلان وديعة لها ارتباط بعلي بن أبي طالب «عليه السلام»، فضلاً عن حفظهما نفس علي «عليه السلام»، كما أثبتته الأحداث التي حصلت يوم وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنهما قد هاجما تلك الوديعة، وأرادا القضاء عليها، حتى بإضرام النار في البيت الذي هي فيه، وإحراقه بكل ما فيه..

كما أن أبا بكر قد حاول مرة أخرى قتل علي «عليه السلام» وهو يصلي من خلال خالد بن الوليد.

يضاف إلى ذلك: أن عمر أمر بقتل علي «عليه السلام» في الشورى، التي أراد منها أن تأتي بعثمان دون سواه.

ثالثاً: إن ظاهر كلامه «صلى الله عليه وآله» أنه يستودع عبدين صالحين

كانا على قيد الحياة في لحظة كلامه عنهما.. وهما سوف يبقيان حيين إلى ما بعد وفاته، فإنه لم يكن يريد أن يستودع الأمانة عند رجلين ميتين، لأن الهدف من جعل أمير المؤمنين «عليه السلام» أمانة عندهما، هو: أن يحفظا تلك الأمانة من أي سوء..

وحمزة وجعفر قد استشهدا في حياته «صلى الله عليه وآله»، لأن النبي قال هذا الكلام في يوم الغدير الذي كان قبيل وفاته «صلى الله عليه وآله» بسبعين يوماً، وقد استشهد جعفر في غزوة مؤتة في سنة ثمان، واستشهد حمزة في غزوة أحد في سنة ثلاث..

رابعاً: بالنسبة للخضر وإلياس نقول: إنهما كانا غير قادرين على القيام بمهمة الحفظ هذه إذا أوكلت إليهما، لأنهما كانا غائبين عن الأنظار، فلا يتيسر لهما الدفاع عن علي «عليه السلام»، أو حراسته، أو تلبية حاجاته في الشهادة له بالحق والصدق، أو ردّ الأباطيل، وبيان زيف الأضاليل التي تستهدفه..

إرادة الحسنين ' أصوب:

1 ـ وبعدما تقدم نقول: إن الأقرب إلى الاعتبار، والمؤيد بالواقع العملي هو: أن العبدين الصالحين اللذين يتحملان مسؤولية حفظ هذه الأمانة، والدفاع عنها، وحفظ نهجها، هما: الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقد كانا في يوم الغدير على قيد الحياة.

وهما القادران على ذلك من موقع الإمامة، والعصمة، والعلم والدراية، والإخلاص.. وبسبب ما حباهما الله ورسوله به من كرامات وفضائل،

وشواهد ودلائل، تُظْهِر مكانتهما عنده..

فالآيات القرآنية والبيانات النبوية تشهد، وتؤكد على أنهما هما الامتداد لمقام الإمامة، وهما اللذان يحفظان نهج أبيهما وأهدافه، ويضمنان استمرار أطروحته.

2 ـ وهذا يدل على بقائهما «عليهما السلام» في خط السلامة والاستقامة، وأعلاماً للأمة في الإمامة.. وهذا ما حصل بالفعل، فالحسنان هما اللذان أسهما ببقاء نهج علي، وحفظاه في إمامته، وطهره، وعلمه.. وأبقياه حياً في ضمير الأمة ووجدانها.. ثم تابع الأئمة «عليهم السلام» من ذريَّتهما هذه المسيرة المباركة حتى النهاية.

الباب السابع:

إيثار.. وشهامة..

الفصل الأول

الحسنان ، في سورة هل أتى..

الحدث الرائع:

وقد حفلت الروايات الكثيرة: بأن سبب نزول سورة «هَلْ أَتَى»: هو أن الحسنين «عليهما السلام» مرضا، فعادهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبعض من أصحابه.. وجعل علي على نفسه، وكذلك الزهراء، والحسنان «عليهم السلام»، وفضة «رحمها الله»: أن إذا عافاهما الله: أن يصوموا ثلاثة أيام شكراً لله تعالى.

فألبسهما الله سبحانه عافيةً، فأصبحوا صياماً، وليس عندهم طعام، فحصل علي «عليه السلام» على ثلاثة أصوع من شعيراً جاء بها للزهراء «عليها السلام» مقابل أن تغزل جزة صوف ..

فغزلت ثلث الصوف، وطحنت صاعاً من الشعير، وخبزت منه خمسة أقراص بعددهم..

فصلى علي «عليه السلام» مع النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم أتى منزله، ووضع الطعام، فأول لقمة كسرها علي «عليه السلام» إذا بمسكين قد وقف على الباب، وطلب أن يطعموه، فوضع علي «عليه السلام» اللقمة من يده .. ودفعوا ما على الخوان إلى المسكين، وأصبحوا صياماً، لم يذوقوا إلا الماء القراح.

وفي اليوم التالي تكرَّرت القضية برمتها، حيث جاءهم يتيم هذه المرة، بمجرد أن كسر الإمام علي «عليه السلام» اللقمة، فأعطوه ما على الخوان، وباتوا جياعاً لم يذوقوا إلا الماء القراح.

وهكذا جرى أيضاً في اليوم الثالث، حيث جاءهم أسير من أُسراء المشركين، وقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد، تأسروننا، وتشدوننا، ولا تطعموننا.

فوضع علي اللقمة من يده، وأعطوه ما على الخوان، وباتوا جياعاً، وأصبحوا مفطرين، وليس عندهم شيء.

وأقبل علي «عليه السلام» بالحسن والحسين «عليهما السلام» نحو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهما يرتعشان كالفراخ من شدة الجوع، فقال «صلى الله عليه وآله»: يا أبا الحسن، أشد ما يسوؤني ما أرى بكم، انطلق إلى ابنتي فاطمة.

فانطلقوا، وهي في محرابها، قد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع، وغارت عيناها.. فلما رآها رسول الله «صلى الله عليه وآله» ضمها إليه، وقال: وا غوثاه، بالله أنتم منذ ثلاث فيما أرى؟!

فهبط جبرئيل، فقال: يا محمد، خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك.

فقال: وما آخذ يا جبرئيل؟!

قال: ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ**﴾(1)»(2).

---

(1) الآية 1 من سورة هل أتى.

(2) راجع: الأمالي للصدوق (ط مؤسسة البعثة) ص329 ـ 333 وتفسير نور الثقلين

وذكرت بعض النصوص: أن هذه السورة قد نزلت في الخامس والعشرين من ذي الحجة(1).

ونقول:

لا نريد أن نتوسع في الحديث عن هذا الأمر، الذي ذكرنا شطراً وافراً مما يتعلق به في كتابنا: «تفسير سورة هل أتى» التي نزلت في هذه المناسبة، والجزء الثامن من كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام»..

بل نريد أن نقتصر على بعض اللمحات.. ولاسيما ما كان منها مرتبطاً بالإمامين الحسن والحسين «عليهما السلام»، فنقول:

لماذا بلا طعام ثلاثة أيام؟!:

إن أول ما يواجهنا هنا هو السؤال الذي يقول: ما المبرر لبقاء هذا الجمع بلا طعام ثلاثة أيام؟!

ج5 ص474 و 477 والبرهان (تفسير) ج4 ص412 و 413 و (ط مؤسسة البعثة) ج5 ص549 ـ 552 وروضة الواعظين ص160 ـ 163 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج1 ص177 ـ 183 وشجرة طوبى ج2 ص263 ـ 267 وينابيع المودة ج1 ص279 و 280 وغاية المرام ج4 ص101 ـ 104.

(1) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج3 ص148 وتفسير نور الثقلين ج5 ص473 وكنز الدقائق (تفسير) ج14 ص56 وبحار الأنوار ج35 ص242 و 255 وج95 ص198 وج97 ص202 و 210 و 384 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص262 والعدد القوية ص315 ومصباح المتهجد ص767 وغنائم الأيام ج6 ص81 والتفسير الصافي ج5 ص262.

فإن المفروض: أن علياً «عليه السلام» قد حصل على ثلاثة اصوع من شعير جاء بها للزهراء «عليها السلام» مقابل غزل جزة صوف، فغزلت ثلثها في اليوم الأول، وطحنت وعجنت وخبزت صاعاً، فحصلت على خمسة أقراص بعدد الصائمين. فإذا كانوا قد تصدقوا بأقراصهم على المسكين في اليوم الأول، فلماذا لم تعمد إلى طحن وخبز صاع آخر من الشعير، ليأكلوا ويطعموا أولادهم تلك الليلة؟!

ويجاب:

أولاً: لعل صاحب الغزل اشترط عليهم أن لا يتصرفوا من الشعير، إلا بما يوازي ما يغزل من الصوف..

ويؤيد ذلك: تصريح الرواية: بأنها «عليها السلام» قد غزلت ثلث الصوف، وطحنت ثلث الشعير..

ثانياً: لعل صاحب الصوف لم يسلمهم من الشعير إلا بمقدار ما تم غزله في ذلك اليوم.. وهذا ما حصل في اليوم الثاني والثالث.

ويمكن مناقشة هذا الاحتمال: بأن النص يقول: إن علياً «عليه السلام» جاء بثلاثة أصوع من شعير..

إلا أن يقال: إن الاتفاق قد تم على ذلك، لكن التسليم كان تدريجياً.

ثالثاً: حتى لو كان الشعير حاضراً عندهم، فمن الذي قال: إن وسائل الاستفادة منه في ذلك الليل كانت متاحة، فلعل الوقود لم يكن متوفراً، ولم يكن بالإمكان تهيئة الحطب في ظلمة هذا الليل، ولعل القيام بنشاط فيه حركات وأصوات كان يؤذي الآخرين من الجيران، أو كان يحرج علياً وأهل

البيت «عليهم السلام».. ولعل آلة الطحن لم تكن بحوزتهم، كما لو كانوا قد استعاروها ثم أرجعوها.. ولعل.. ولعل..

لماذا بذل الصائمون كل ما عندهم؟!:

1 ـ قد يراود ذهن البعض سؤال آخر يقول: ألم يكن يكفي ذلك السائل قرص واحد من أصل خمسة، ليسد به جوعته، وتبقى أربعة أقراص يتقاسمها الخمسة فيما بينهم؟!

بل قد يرى البعض: أن التصدق بما يوقع المتصدق بالحرج والخطر في نفسه، وفي أهل بيته.. ولاسيما بملاحظة قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**﴾[1].

والعفو: هو ما زاد عن منفعة العيال..

ويجاب:

أولاً: إن كل واحد من أهل البيت «عليهم السلام» هو الذي تصدق بما يخصه، لينال ثواب ذلك، ولم يكن رب العيال هو الذي تبرع بنصيب هذا الفرد أو ذاك..

والشاهد على ذلك: أن الله تعالى قد أثنى على الجميع في سورة هل أتى، ولم يثن على خصوص رب العائلة..

كما أنه قد قرر المثوبة للجميع.. والمثوبة إنما هي على الفعل المحبوب للشارع، إذا صدر عن إرادة واختيار ممن له الحق بالتصرف.

---

(1) الآية 219 من سورة البقرة.

ثانياً: إن قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[1]. يدل على جواز البذل بالمقدار الذي يصل الأمر فيه إلى هذا الحد.

وقد روي عن أبي هريرة ـ والفضل ما شهدت به الأعداء ـ: أن رجلاً جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أزواجه، فقلن: ما عندنا إلا الماء.

فقال «صلى الله عليه وآله»: من لهذا الرجل الليلة؟!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنا له يا رسول الله.

فأتى فاطمة «عليها السلام» وسألها: ما عندك يا بنت رسول الله؟!

فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، لكنا نؤثر ضيفنا به.

فقال علي «عليه السلام»: يا بنت محمد «صلى الله عليه وآله»، نوِّمي الصبية واطفئي المصباح..

وجعلا يمضغان بألسنتهما.

فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة بسراج، فوجدت الجفنة مملوءة من فضل الله.

فلما أصبح صلى مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما سلم النبي من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» وبكى بكاء شديداً، وقال: يا أمير المؤمنين، لقد عجب الرب من فعلكم البارحة، اقرأ: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾. أي مجاعة. ﴿**وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ**﴾. يعني: علياً، وفاطمة،

---

(1) الآية 9 من سورة الحشر.

والحسن، والحسين «عليهم السلام» ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾»[1].

وهناك روايات عديدة تدل على جواز الإيثار على النفس إلى هذا الحد.

ثالثاً: إن تحقق الخطر المانع من البذل في مثل هذا المورد غير ظاهر، وإن كان هناك درجة من الحرج في بعض المراتب..

رابعاً: إن الآية التي تقول: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[2]. تدل على نفي وجوب الإيثار على النفس.. ولا دلالة فيها على نفي استحبابه، أو رجحانه، وحسنه، واستحقاق المثوبة الجزيلة عليه، لأن الآية تريد تحديد أقل المطلوب في الصدقة، وهو الذي يقدر عليه الناس، والذي دل عليه سؤال عامة المسلمين عن مقدار الإنفاق، فذكر لهم المقدار الذي لا حرج فيه على أحد.

قال بعض الإخوة الأكارم:

ولو سلم دلالة الآية أو غيرها على نفي مشروعية الإيثار في مثل المورد لأمكن الالتزام بجوازه ورجحانه، بل قد يتعنون بعنوان يستلزم وجوبه في حق الأئمة المعصومين «عليهم السلام»، على قاعدة ـ قول أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ: «إِنَّ الله تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ: أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ

(1) بحار الأنوار ج41 ص28 وص 34 وج36 ص59 ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج2 ص87 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص347 والأمالي للطوسي ص116 وعن كنز جامع الفوائد، وشواهد التنزيل ج2 ص246 ومجمع البيان ج9 ص260 والبرهان (تفسير) ج4 ص317.

(2) الآية 219 من سورة البقرة.

بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُه»(1).

خامساً: إن صدور الإنفاق إلى هذا الحد عن أهل بيت النبوة، وهم المعصومون المطهرون يدل على جواز الإنفاق، ولو بلغ إلى هذا الحد، لأن الشريعة تؤخذ منهم.

2 ـ لعل السبب في هذا البذل وعدم الاقتصار على ما يسد جوعة الطالب:

أولاً: هو احتمال أن يكون للمسكين عيال، ومع الأسير أسرى، ولليتيم أخوة أو أخوات، وأم، يحتاجون لهذا الزائد.

ثانياً: مع غض النظر عن ذلك، فإن المسكين واليتيم، والأسير الذين لا مصدر رزق لهم، يحتاجون إلى السكينة والطمأنينة، والإحساس بالأمان، وبعث الأمل في نفوسهم من جديد، لكي يجدوا فرصة للتفكير والحركة في طلب الرزق من أبواب أخرى، تمنح الواحد منهم الشعور بالكرامة، وتصون ماء وجهه، وتعيد له الثقة بنفسه، والأمل بحياة أفضل.

هذا هو محور كلامنا:

ثم إن في حديث إطعام المسكين والأسير مواضيع عديدة يمكن أن تكون منطلقاً للبحث الغني، والمفيد للعظات والعبر، ويمكن أن نجد فيه من الحقائق والدقائق، ما نحن بأمس الحاجة إليه، لكن التوسع في البحث إلى هذا الحد ربما لا يكون مستساغاً في كتاب حُدِّدَ هدفه، وموضوعه في نطاق خاص وهو تاريخ وسيرة الإمام الحسن «عليه السلام»، الأمر الذي لا يسمح بالاستطراد إلى

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص188.

بحوث موسعة تُخْرِج الكتاب عن سياقه..

ولكننا لا نبالغ إذا قلنا: إن شراكة الحسنين «عليهما السلام» في هذا الحدث، أعطته مزيداً من الفرادة، والأهمية، وأثرته بالدلالات، وجعلته حدثاً مميزاً وغنياً، بل لا نظير له في تاريخ البشرية، فيما نعلم..

من أجل ذلك، سيكون محور كلامنا هو هذه الشراكة الفريدة والمجيدة للحسنين «عليهما السلام» وما لها من دلالات، وما اكتنفها من حالات..

وقد جعلنا مرتكز كلامنا: هما الآيتان اللتان وردتا في سورة هل أتى، وهو قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾(1).

فنقول، ونتوكل على خير مسؤول ومأمول:

إطعام المسكين:

1 ـ قال تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ**﴾، ولم يقل: يبذلون، أو يعطون، أو يتصدقون بالطعام، فهل السبب في ذلك: أنهما أطعماه الطعام، فأكله آخذه أمام أعينهما بصورة فعلية، كما هو ظاهر كلمة ﴿**يُطْعِمُونَ**﴾، ثم اصطحب ما بقي منه، وذهب؟!

فإن كان هذا قد حصل، فهو منتهى الإيثار، وهو يدل على مزايا فريدة، وملكات راسخة، جعلتهما ـ أعني الحسن والحسين «عليهما السلام» ـ يتصدقان بالطعام وهما بأمس الحاجة إليه بعد يوم طويل أمضياه صائمين،

(1) الآية 8 و 9 من سورة الإنسان.

ثم إنهما تصدقا به في لحظة إفطارهما، وقد كادا أن يمدا أيديهما إلى ذلك الطعام..

فإذا كان قد أكل طعامهما أمام أعينهما، وهما يعلمان: أنه ليس عندهما سواه، ولا يمكنهما الحصول على بديل له إلى ما بعد ليلة ويوم من تلك اللحظة.. فإن ذلك يعطيهما المزيد من الكرامة، ويضاعف لهما المثوبة.

وقد جاء بذلهما طعامهما في لحظة إفطارهما، لا في لحظة الصيام التي لا يرغبان فيها بالطعام، والتي قد يتوقعان فيها حصول بديل عما بذلاه في اللحظات التالية، إلى أن يحين وقت الإفطار.

2 ـ يلاحظ: أنهم لم يبذلوا له مالاً يمكن أن يشتري ما يشاء من طعام أو غيره، فإن بذل القيمة أسهل من بذل طعام حاضر، له شكل ولون وطعم، ورائحة، يشعرون بالحاجة إليه، ويثير جوع الصوم المزيد من الرغبة بتناوله.

3 ـ إنه تعالى لم يقل: «أطعموا الطعام»، لأن صيغة الماضي تفيد مجرد حصول الحدث في وقته وانتهى الأمر.. وربما يكون قد نشأ عن ارتجال، أو نخوة، أو فورة عاطفية، أو أريحية فرضت نفسها..

أما صيغة المضارع في قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ﴾، فهي تشير إلى الدوام والاستمرار، وأن الإطعام استغرق زماناً.. أو لأن تكرر الإطعام في الأيام الثلاثة تكشف عن خلق وسجية في المطعمين، كما أشار إليه بعض الإخوة الأكارم. كما أن هذه الصيغة قد يفهم منها: أن الإطعام هو طريقتهم المستمرة، وديدنهم الثابت.. وأن تواصله يأتي عن التفات، واختيار، وإرادة تجدد فيه، ويتجدد معها المراد.

الجملة الاعتراضية:

ثم قال تعالى: ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ لتكون جملة اعتراضية بين قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾.. وقوله تعالى: ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.

والضمير في كلمة ﴿حُبِّهِ﴾ يعود للطعام ـ أي بالرغم من حب الطعام ـ ولا يعود إلى لفظ الجلالة، المفهوم ضمناً..

أولاً: لأنه لو عاد إلى لفظ الجلالة لصار قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ﴾ تكراراً لنفس المعنى.

ثانياً: لو كان الضمير راجعاً إلى الله لكان المناسب أن يقول: «لحب الله». أي لأجل الحب.. ولا يقول: «على حب الله».. التي تفيد: أنهم يبذلون الطعام، بالرغم من حبهم له.

2 ـ وهنا سؤال يقول: هل كان أهل البيت «عليهم السلام» يحبون الطعام؟! وهل ينسجم هذا مع زهدهم وإيثارهم، ومع معرفتهم بالله، وبما يحب الله؟!

ويجاب:

بأن أهل البيت لا يحبون الطعام لذاته، وبما هو طعام، أو لكونه لذيذاً.. وهو مما يتنزه عنه الأبرار الأخيار، والأطهار المعصومون المكرمون.. بل هم يحبونه ليحفظ لهم حياتهم، وقدرتهم على طاعة الله عز وجل، وأداء فرائضه، وتحقيق غاياته.. ولكي يفوا بنذرهم، ويقوموا بواجب الشكر والعبادة في الليل، وطلب رضا الله بالصوم في النهار.

وربما يؤكد هذا المعنى: أن الطعام الذي يحبونه ليحفظ لهم حياتهم وقوّتهم ليس من الأطعمة اللذيذة والشهية التي تتهافت النفوس عليها، وتحنّ إليها،

بل هو قرص من طحين الشعير، الذي كانت أجسادهم تحتاجه لحفظ خيط الحياة بعد يوم صوم طويل.

لماذا تنوين التنكير؟!:

وقد قال تعالى: ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ فجاءت الكلمات الثلاث منكَّرة، حيث لم يقل: يطعمون المسكين، واليتيم، والأسير..

ولعل سبب ذلك: أن إضافة لام التعريف، قد توهم: أنها لام العهد، فالمقصود: هو المسكين واليتيم، والأسير المعروف والمعهود..

مما يعني: أن المعرفة باليتيم والمسكين والأسير قد تكون هي التي تدعو للإعطاء والبذل، فهو إعطاء لمن لا يستطيع المعطي رد طلبه لكونه يعرفه، إذا كان من قومه، أو من ذويه، أو كان جاره، أو من بلده.. وربما تمازجت هذه الدواعي مع المشاعر الإنسانية أيضاً..

ولكن إذا جردت الكلمات الثلاث من اللام التي يحتمل أن تكون عهدية، وصارت نكرات.. فإن السامع يفهم: أن سبب الإطعام هو نفس حالته الظاهرة، وهو مسكنته، أو يتمه أو أسيريَّته.

وبذلك يفسح المجال، وتتبلور الرغبة، لمعرفة الدافع للإطعام.. هل هو بداعي الحصول على الجزاء، أو استجلاب الشكر، أو الحمد، أو المدح من الناس، أو من طالبه، أو تقرباً لله تعالى؟! فيأتي قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾ ليحسم الأمر، وتكون النتيجة هي: أن المحرك هو الشعور الإنساني الذي تثيره الحالة الماثلة، وهي المسكينية

واليتيمية، والأسيريَّة، والهدف إيماني، وهو نيل رضا الله تعالى، وما عداه باطل، وغير واقعي، كما دل عليه قوله: ﴿**لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا**﴾.

التدرج أظهر الكوامن:

والناظر فيما جرى يدرك: أن ما جرى في الأيام الثلاثة، من مجيئ المسكين في اليوم الأول، ثم اليتيم في اليوم الثاني، ثم الأسير في الثالث، هو الذي أسهم في إظهار كوامن المعاني، ونوادر الصفات في الباذلين..

وقد وصفت الآية، وكذلك الرواية هذا الذي جرى، بدقة، وقد توافقت وتطابقت بصورة تدفع أي توهم للتصرف بالتقديم والتأخير، لدواعيَ بيانية أو غيرها.

وكان وجود الحسنين «عليهما السلام» في متن الحدث هو العنصر الأكثر حساسية، والأشد إثارة، ولاسيما مع تضاؤل المحفزات في سيرها التنازلي في الطرف الآخر، المبذول له،، حيث انتقلت من المسكين إلى اليتيم، ثم منه إلى الأسير..

ولكن حالة الباذلين، وخصوصاً في الحسنين «عليهما السلام»، اللذين كانا طفلين، لا يزيد عمرهما على ست، أو سبع سنوات ـ كانت هذه الحالة في جانب هؤلاء ـ تزداد تأزماً وحِدَّةً في مستوى الجهد والمشقة التي يتحملونها، كل يوم بالنسبة إلى سابقه، حيث كانت الشدائد تتراكم عليهم بصورة هائلة.. وقد أثَّر ذلك في أجسادهم بصورة ظاهرة، إلى الحدّ الذي دعا النبي «صلى الله عليه وآله» إلى القول مستغيثاً: «وا غوثاه، بالله أنتم منذ ثلاث فيما أرى»؟!

فأنزل الله تعالى سورة هل أتى بهذه المناسبة..

المسكين أولاً:

1 ـ تقدم: أن الذي جاء يطلب المعونة في الليلة الأولى هو المسكين، وقد قيل له ذلك، لأن الفقر أسكنه عن الحركة، وأصبح يرى نفسه عاجزاً عنها، أو أنه أصبح يرى أنها غير ذات جدوى.. فلم يعد يفكر بالسعي لتحصيل المال من طريق العمل، في تجارة، أو إجارة، أو نحوها.. ففقد حيويته، وذهبت ريحه، وتضاءلت لديه نفسه..

وهذه حالة تؤثر في نفوس الناس عادة، وتستثير المشاعر الإنسانية.. فتتبلور الرغبة لديهم في معونته، والتخفيف عنه، وتتضاعف هذه الرغبة بتوقع المثوبات الإلهية، والتوفيقات الربانية لمن يفعل ذلك.

2 ـ وفي حالات الصيام، وما ينتج عنه من شعور الصائم بالحاجة الطبيعية إلى الطعام، فإن بذل هذا الصائم، الطعام للمسكين سيكون صعباً، ولكنه حين يواجه بمشاعر الشفقة، والرغبة بالمثوبات الإلهية.. سوف يهون. وهذا ما حصل بالفعل، فقد شارك كل فرد فرد من أهل البيت «عليهم السلام» في البذل، لأن المحرك للبذل كان حاضراً وفاعلاً لدى الجميع.. وأعطوه كل ما عندهم، لأنهم يريدون أن تدب الحركة في قناعة ومشاعر، وكل وجود هذا المسكين، ويصبح أكثر حيوية ونشاطاً، ويتحرك، ويبادر..

مع أنه كان يمكنهم الاكتفاء بمساواة المسكين بأنفسهم.. فيعطونه نصيب واحد منهم، ثم يقتسمون الباقي.

اليتيم في اليوم الثاني:

1 ـ ويطوي الصائمون ليلتهم الأولى من دون طعام، ويكتفون بشرب

الماء، ويأتي اليوم الثاني.. فيصومون، ويصوم الحسنان أيضاً، وتغزل سيدة نساء العالمين الثلث الثاني من الصوف، وتطحن الثلث الثاني من الشعير، وتخبز لهم أقراصاً بعددهم، وجاء وقت الإفطار، ووضعت الأقراص أمام الصائمين، الذين أنهكهم الجوع نتيجة يومين متواليين من الصوم.. لم يذوقوا فيهما طعاماً.. الأمر الذي من شأنه أن يضاعف درجة الحرص على هذا الطعام، ويؤكد الرغبة بالاستفادة منه.. ولاسيما بالنسبة للحسنين «عليهما السلام» اللذين كانا في سن الأطفال، ولم يذوقا طعاماً طيلة يومين كاملين.

2 ـ فجاء اليتيم طالباً وراغباً.. واليتيم يكون عادة موضع شفقة وعطف من الناس، لا لفقره، فلعله يملك ما يكفيه، ويريد الحصول على المزيد، بل يعطفون على اليتيم ليتمه، بسبب حاجته للراعي، والكفيل، والمدبر، والضامن لمستقبله.. وإن كانت الشفقة تزداد إذا علم أنه محتاج إلى الطعام أيضاً.

3 ـ لكن مسألته لا تثبت حاجته بصورة يقينية، وليس في ظاهر حاله ما يدل على وجودها، بخلاف المسكين الذي هدم الفقر تماسكه، وربما أصبح في سن لا يقدر معه على العمل.. في حين أن اليتيم يكون ـ عادة ـ في مقتبل عمره، وبكل طاقته.. فالفقر والحاجة ليس هو المحرك الأقوى لبذل الطعام لليتيم، بل احتمال ذلك فقط هو المحرك.. وهذا أضعف من المحرك لبذل الطعام للمسكين.

4 ـ ويزداد ضعف تأثير هذا الاحتمال في البذل لليتيم: أن اليتيم قد جاء بعد مرور يومين على الباذلين، وفيهم من هو في سن السادسة، أو السابعة،

لم يذوقوا فيهما طعاماً أصلاً.

5 ـ ويتأكد ضعف تأثير احتمال فقر اليتيم في البذل إذا كان الطعام قد وضع أمام أصحابه في لحظة إفطارهم، وربما امتدت أيديهم إليه، أو كادت أن تمتد إليه.

وهكذا تزداد المثبطات عن بذل بعض ذلك الطعام، فضلاً عن إعطائه كله، وتتضاعف الرغبة في الاحتفاظ به.

6 ـ على أن حظوظ اليتيم في الحصول على أكثر من حاجته، أكبر من حظوظ المسكين، لأن الناس يتسابقون لمعونة اليتيم، وتلبية حاجاته، ولا نراهم يظهرون مثل هذا الاهتمام بالفقراء والمساكين..

7 ـ ومما يناسب ذكره هنا: أن الله تعالى لم يأمر ببذل المال لليتيم في أكثر السور القرآنية، إلا في الحالات الاستثنائية، وأمر في أكثر من سورة بإعطاء المسكين، فنجد أنه في سورة الفجر مثلاً قال سبحانه: ﴿**كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾(1).

وفي سورة الماعون يقول تعالى: ﴿**فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ**﴾(2).

وقال عز وجل في سورة الضحى: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ**﴾(3).

---

(1) الآية 17 و 18 من سورة الفجر.

(2) الآية 2 و 3 من سورة الماعون.

(3) الآيات 6 ـ 9 من سورة الضحى.

وهناك آيات وردت في سياق منع العدوان على اليتامى في أموالهم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾[1].

وقال سبحانه في سورة النساء: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾[2].

وقال تعالى في سورة النساء أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[3].. وهذا يشير إلى ما قلناه، من قيام احتمال أن يكون لليتيم مال.. بخلاف المسكين.

وفي سورة البلد الآية 14 و 15 ذكر حالة استثنائية طارئة ذكر فيها إطعام الأيتام، ولكنه خصص ذلك: بأن يكون الإطعام في حالة طارئة، وهو: أن يكون اليوم من أيام المسغبة، فقال سبحانه: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[4].

8 ـ وأما لماذا عبَّر الله تعالى في كتابه بـ «الإطعام» تارة، وبـ «الطعام» أخرى، وبـ «يطعمون» ثالثة.. فربما كان لأجل أن الطعام كان حقاً للمسكين.. فالمطلوب إيصال حقه إليه.. ولذا قال عز وجل: ﴿طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.

وحين لا يكون للمسكين ولا لغيره حق بالمال، أو بالطعام، بل يكون المال لمن هو في يده، وهو حق له، ويريد الله منه أن يُؤْثِرَ به غيره على نفسه، ويتخلى عنه له تكرُّماً، وتقرُّباً إلى الله، فإنه تعالى يقول: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي

---

(1) الآية 152 من سورة الأنعام والاية 34 من سورة الأسراء.

(2) الآية 2 من سورة النساء.

(3) الآية 10 من سورة النساء.

(4) الآية 14 و 15 من سورة البلد.

مَسْغَبَةٍ﴾.

ويقول تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[1].

9 ـ وفي جميع الأحوال نقول: إن أمر اليتيم يدور بين ثلاثة احتمالات هي:

ألف: أن يكون في غنى عن المال، لأنه يملك مالاً، أو له كافل لا يحوجه إلى شيء.

ب: أن يكون بحاجة إلى المال.. ولكن لا يصل الأمر فيه إلى حد البؤس والشدة، بل هو بدرجة فقير لا يملك قوت سنته..

ج: أن يكون بحاجة ماسة إلى المال. وإن لم يظهر ذلك عليه.

وقد تعامل أهل البيت «عليهم السلام» معه استناداً إلى الاحتمال الثالث.

ولعلهم أخذوا بنظر الاعتبار أيضاً: احتمال أن يكون وراءه أم أو أخوة يحتاجون إلى الطعام أيضاً، أو أنهم أرادوا بعث السكينة والطمأنينة في نفسه، فإن النفس الإنسانية إذا وجدت رزقها اطمأنت وسكنت..

إلا أن الدافع الأهم والأعظم: هو طلب رضا الله تبارك وتعالى..

وبذلك يظهر: أن هذا البذل قد أصبح أعظم قيمة، وأجل وأسمى من عطائهم في اليوم الأول.. بالرغم من ظهور شدة حاجة المسكين، وحراجة حاله.

الأسير في اليوم الثالث:

وبعد أن قضى أهل البيت «عليهم السلام» ليلتهم على شرب الماء، صاموا

(1) الآية 8 من سورة الإنسان.

يومهم الثالث بجهد بالغ، ومكابدة مريرة للجوع، ومعاناة شديدة للضعف، ولاسيما الحسنان «عليهما السلام».. اللذان كانا في سن الطفولة، ما بين ست وسبع سنوات.

وفي وقت الإفطار في اليوم الثالث غزلت الزهراء «عليها السلام» الثلث الأخير من الصوف، الأمر الذي خوَّلها أن تطحن الثلث المتبقي من الشعير، وتخبزه، وتضع تلك الأقراص على المائدة أمام الصائمين الذين أرهقهم الجوع، وتكاد أيديهم تمتد إلى تلك الأقراص، وإذا بالباب يطرق، ويقتحم عليهم صوت أسير يطلب طعاماً..

وها هو الطعام أمامهم، وقد اشتدت رغبتهم فيه، بعد أن حل لهم تناوله، وقد أضمحلَّت القوى، وغارت الأعين، وارتعش الحسنان من شدة الضعف، ووطأة الجوع..

فهل تسخو أنفسهم بخصوص طعامهم هذا، لهذا الوافد الجديد، أم أن الأمر يحتاج إلى تأمل وتدبر، فإن مخايل الخطر أصبحت تترائى لهم، وأثار الجوع قد أضرت بهم.

ولكن اللافت: هو أنهم بادروا جميعاً لإجابة طلب ذلك الأسير، تماماً بنفس الطريقة التي أجابوا بها طلب المسكين واليتيم.. مع أنهم يدركون:

1 ـ أن هذا الأسير الذي يدَّعي الحاجة قد لا يكون صادقاً في دعواه، وهؤلاء الأسرى هم من الكفار والمشركين، الذين فعلوا الأفاعيل بالمسلمين، وأوصلوا إليهم ما قدروا عليه من الأذايا والبلايا، حتى سقط من المسلمين شهداء أبرار، أتقياء أخيار، مثل ياسر وزوجته «رضوان الله

عليهما».

ثم أخرجوا المسلمين من ديارهم، واستولوا على بيوتهم وأموالهم، لا لشيء، إلا لأنهم آمنوا، وصدقوا بما جاءهم به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أسر من فراعنة وطغاة هؤلاء سبعين رجلاً، قال للمسلمين الذين كان الأسرى في أيديهم: «استوصوا بالأسرى خيراً».. فأطاعوا الأمر، وشاركوهم في أموالهم حتى كان أحدهم يُؤْثِر أسيره بطعامه(1)..

والحديث عن إيثار الأسرى على أنفسهم بالطعام قد تجلى بأدق وأجلى معانيه التي لا مراء فيها، ولا يتخيلها عقل بشر في هذه الحادثة التي نحن بصدد الحديث عنها.

2 ـ إن هذا الأسير الطالب من الصائمين طعامهم، لم يقدِّم ما يدل على أنه تراجع عن نظرته تجاه آسريه، أو أنه لم يعد حاقداً عليهم.. علماً بأن حقده الأعظم إنما هو على نفس هؤلاء الذين جاء يطلب منهم طعامهم الذي لا يملكون غيره، وقد أعدُّوه لفطرهم بعد ثلاثة أيام من الصيام الشاق، لم يذوقوا فيها طعاماً، لا في ليل، ولا في نهار.

3 ـ إن هذا الأسير ربما يكون قد قتل أو جرح، أو آذى أخاً، أو أباً، أو

(1) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج2 ص159 والكامل لابن الأثير ج2 ص131 والسيرة النبوية لابن هشام ج2 ص299 و 300 والمغازي للواقدي ج1 ص119 وتاريخ الخميس ج1 ص388.

ابناً، أو قريباً، أو حبيباً، أو رجلاً براً تقياً، عزيزاً على هؤلاء الذين جاء إليهم الأسير طالباً رفدهم.. ولا شيء يضمن غائلة هذا الأسير، فربما لو أمكنته الفرصة، يبادر إلى قتل من يقدر على قتله منهم، غدراً، أو بأي نحو اتفق.

بل هو لو تمكن من قتل النبي، فلعله لا يتردد في الإقدام على ذلك..

وحتى لو لم يفعل، فإنه لو رجع إلى قومه، فلا شيء يضمن عدم عودته لحرب المسلمين، وقتل من يقدر على قتله منهم.

4 ـ وليس في ظاهر حال الأسير ـ لو كان صادقاً في دعواه الحاجة ـ ما يدل على أن حاجته توازي حاجة المسكين، أو اليتيم.. بل ليس في ظاهر حاله، ما يدل على أنه محتاج أصلاً.. وإن كان ذلك محتملاً.

على أن هذا الأسير الذي يُحتمل في حقه كل ما تقدم، لا يمكن أن يقاس حاله بحال ولدين بعمر ست، أو سبع سنوات، لم يذوقا طعاماً ثلاثة أيام بلياليها، وهم أشرف وأعظم، وأطهر، وأزكى، وأعلم، وأتقى مَنْ خلقه الله، وأحب المخلوقات إليه.. ولا يمكن تقديم أحد من المخلوقات عليهما، وعلى أبيهما وأمهما، فما بالك بأسير، ربما كان مجرماً وقاتلاً، وكافراً، وحاقداً، وربما عاد في يوم ما لقتال المؤمنين؟!

5 ـ غير أن للباذلين حسابات أخرى، أرقى وأبقى من حسابات عامة الناس، حيث يبدو أنهم حين وجدوا أن ثمة احتمالات:

أحدها: أن يكون حال الأسير في الحاجة تشبه حال المسكين.

الثاني: أن يكون محتاجاً بدرجة عادية.

الثالث: أن يكون كاذباً فيما يدَّعيه..

فأخذوا «عليهم السلام» بالاحتمال الأول، وآثروا اعتماده، والعمل بما يقتضيه، بالرغم من أنه احتمال ضعيف..

6 ـ وقد آثروا أيضاً: أن يمنحوه كل ما عندهم ليشعر بالطمأنينة، ولو بالقدر الذي يمنحه إياه هذا العطاء، وربما كان له رفقاء يحتاجون إلى أن يشاركهم بطعامه..

هذا بالإضافة إلى رغبة كل واحد منهم بالحصول على الثواب ببذل طعامه لمن يحتمل أن يكون بحاجة إليه.. حتى مع احتمال أن يكون عدواً، أو مجرماً.

الفصل الثاني

الحسنان × في إيثار آخر..

مثالان فقط:

إننا نضيف إلى ما تقدم، بعض موارد الإيثار التي شارك فيها الإمام الحسن «عليه السلام» أخاه وأبويه، فنقول:

ما عندنا إلا قوت الصبية:

قال ابن شهرآشوب «رحمه الله»:

تفسير أبي يوسف: يعقوب بن سفيان، وعلي بن حرب الطائي، ومجاهد بأسانيدهم، عن ابن عباس وأبي هريرة، وروى جماعة عن عاصم بن كليب عن أبيه ـ واللفظ له ـ عن أبي هريرة: أنه جاء رجل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فشكا إليه الجوع..

فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أزواجه، فقلن: ما عندنا إلا الماء..

فقال «صلى الله عليه وآله»: من لهذا الرجل الليلة؟!

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام»: أنا يا رسول الله.

فأتى فاطمة وسألها: ما عندك يا بنت رسول الله؟!

فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبية، لكنا نؤثر ضيفنا به.

فقال علي «عليه السلام»: يا بنت محمد «صلى الله عليه وآله»، نوِّمي الصبية

واطفئي المصباح.

وجعلا يمضغان بألسنتهما.

فلما فرغ من الأكل أتت فاطمة «عليها السلام» بسراج، فوجدت الجفنة مملوءة من فضل الله.

فلما أصبح صلى مع النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما سلّم النبي «صلى الله عليه وآله» من صلاته نظر إلى أمير المؤمنين «عليه السلام».. وبكى بكاء شديداً، وقال: يا أمير المؤمنين، لقد عجب الرب من فعلكم البارحة، اقرأ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.. أي مجاعة. ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾.. يعني: علياً، وفاطمة، والحسن، والحسين «عليهم السلام» ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]»[2].

قال الحميري:

قائل للنبي إني غريب	جايع قد أتيتكم مستجيرا
فبكى المصطفى وقال: غريب	لا يكن للغريب عندي ذكورا
من يضيف الغريب قال علي:	أنا للضيف فانطلق مأجورا
ابنة العم هل من الزاد شيء	فأجابت أراه شيئاً يسيرا

(1) الآية 9 من سورة الحشر.

(2) بحار الأنوار ج41 ص28 وص 34 وج36 ص59 ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج2 ص87 والأمالي للطوسي ص116 وعن كنز جامع الفوائد، وشواهد التنزيل ج2 ص246 ومجمع البيان ج9 ص260.

كـف بـرٍّ قـال: اصـنعيه فـإن	الله قــد يجعــل القليــل كثــيرا
ثم أطفي المصباح كـي لا يـراني	فــــأخلي طعامــــه موفــــورا
جاهد يلمظ الأصابع والضـيف	يــــراه إلى الطعــــام مشــــيرا
ولهــم قــال: يــؤثرون عــلى	أنفسهم، قال: ذاك فضلاً كبـيرا[1]

شأن نزول آية الإيثار:

هنا سؤال يقول: هل نزلت آية: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ في قصة علي وضيفه التي ذكرت آنفاً؟! أم نزلت في قصة الدينار بين علي «عليه السلام» والمقداد؟! أو في القصة التي تقول: إنها نزلت في إيثار علي «عليه السلام» بحلة أعطاه إياها رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ويجاب:

بأنه لا مانع من تكرر نزول الآية في عدة مناسبات لتأكيد موضوعها، أو لحضور مناسبتها.. فراجع ما يقال حول تكرر نزول آية ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾[2].

(1) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج2 ص87 و 88 و(ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص347 و 348.

(2) راجع: الدر المنثور ج1 ص7 وج3 ص208 عن أبي داود، والبزار، والدارقطني في الإفراد، والطبراني، والحاكم، وصححه، والبيهقي في المعرفة، وفي شعب الإيمان، وفي السنن الكبرى، وعن أبي عبيد، والواحدي، وفتح الباري ج9 ص39 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص16 ونيل الأوطار ج2 ص228 والمستدرك على الصحيحين

وما يقال أيضاً حول نزول سورة الفاتحة وغيرها من السور عدة مرات[1].

للحاكم ج1 ص231 و 232 وصححه على شرط الشيخين، وتلخيص المستدرك للذهبي (بهامشه)، وأسباب النزول للواحدي ص9 و 10 والسنن الكبرى ج2 ص42 و 43 ومحاضرات الأدباء، المجلد الثاني، الجزء 4 ص433 والإتقان ج1 ص78 وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص56 و 57 وراجع ص55 عن بعض من تقدم، والجامع لأحكام القرآن ج1 ص95 وعمدة القاري ج5 ص292 ونصب الراية ج1 ص327 والمستصفى للغزالي ج1 ص103 وفواتح الرحموت (بهامشه) ج2 ص14 وتاريخ اليعقوبي ج2 ص34 والتفسير الكبير ج1 ص208 وغرائب القرآن (بهامش الطبري) ج1 ص77 والمصنف للصنعاني ج2 ص92 ومجمع الزوائد ج6 ص310 وج2 ص109 عن أبي داودا والبزارا وكنز العمال ج2 ص368 عن الدارقطني في الإفراد، والتمهيد في علوم القرآن ج1 ص212 عن الحاكم واليعقوبي، وسنن أبي داود ج1 ص209 والمنتقى ج1 ص380 وتبيين الحقائق ج1 ص113 وكشف الأستار عن مسند البزار ج3 ص40 ومشكل الآثار للطحاوي ج2 ص53 والمراسيل لأبي داود السجستاني ص90 وأحكام القرآن للجصاص ج1 ص15 وذكر أخبار إصبهان لأبي نعيم ج2 ص356 والمستدرك على الصحيحين ج2 ص611 والكامل لابن عدي ج6 ص3039 وج3 ص1039 والضعفاء الكبير للعقيلي ج2 ص35 والمعجم الكبير ج12 ص82 والبيان في تفسير القرآن ص442 وعن فتح الباري ج9 ص35 وتفسير أبي حمزة الثمالي ص106.

(1) راجع: الإتقان ج1 ص35 والدر المنثور ج1 في تفسير سورة الفاتحة وج6 في تفسير سورة الإخلاص، فإنه قد روى ذلك عن مصادر كثيرة. وراجع أيضاً: شرح أصول الكافي ج1 ص463 وفتح الباري ج8 ص121 وتحفة الأحوذي ج8 ص228 ومجمع البيان ج1 ص47 والبيان للسيد الخوئي ص418.

آية الإيثار تحدثت عن أشخاص:

1 ـ إن الناظر في آية ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يجد أنها تحدثت عن أفراد أشبه بعضهم بعضاً في أمر بعينه، فذكرتهم الآية بصيغة الجمع، لتبين أن كل فرد فرد منهم يحمل في داخله، وفي شخصيته الإنسانية صفة اسمها الإيثار على النفس، حتى في الحاجة الماسة إلى الشيء المبذول..

وقد قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ﴾ بصيغة الفعل المضارع، ولم يقل: «آثروا» بصيغة الماضي.. لأن صيغة الماضي تدل على وقوع هذا الأمر في الماضي، ولو مرة واحدة.. لكن صيغة المضارع تدل على فعلية وجود هذه الصفة في هؤلاء الأشخاص، واستمرارها فيهم.. وهذا يستبطن إمكانية تكرر حصول الإيثار منهم مرة بعد أخرى، استجابة لما تقتضيه الصفة الكامنة.

2 ـ قد يدور بخلد البعض أن يدَّعي: أن الذي آثر هو علي وفاطمة «عليهما السلام»، وفضة، أما الحسنان «عليهما السلام»، فكانا صغيرين، فيكون أبواهما هما اللذان آثرا المسكين، أو الفقير بنصيبيهما.. فشمول آية الإيثار للحسنين «عليهما السلام» غير ظاهر الوجه.

ويجاب:

بأن هذا الكلام غير سليم، إذ إن آثار هذا البذل قد تجلت بصورة أكيدة، وشديدة في الحسنين «عليهما السلام»، أكثر من أي واحد من بقية المؤثرين.. فكيف جاز لأبويهما بذل نصيبهما من الطعام، وتعريض ولدين بعمر الست أو السبع سنوات للأذى، والمشقات الكبيرة والخطيرة؟!

ألا يدل ذلك على أن البذل لم يكن قراراً من أبويهما،بل كان قراراً لهما، وربما حصل بإصرار منهما، حمل والديهما على القبول به..

ويؤكد ذلك: أن من واجب أبويهما حفظ حياتهما، وعدم حرمانهما من حقوقهما، وتصرفهما بنصيب ولديهما سيكون من موجبات ملامة الناس لهما، لأنه لا يتلاءم مع الرأفة بهما، والرحمة لهما، ومع الرفق والحفظ.

على أن آية الثناء على المطعمين في سورة هل أتى، وآية الثناء على المؤثرين قد ذكرت المؤثرين، والمطعمين بصيغ تشمل بظاهرها جميع من بذلت أموالهم، وأطعموا الفقير، ولم تستثن أي واحد من الباذلين.

ألا يشير هذا إلى أن الحسنين «عليهما السلام» كانا راضيين بهذا البذل مسرورين به، لأنه يقربهما إلى الله، ولأنه منسجم مع صفة الإيثار فيهما؟!

أرسل إلى بيوت أزواجه:

تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، أرسل إلى بيوت أزواجه من يسألهن عن وجود طعام في حوزتهن، فقلن: ما عندنا إلا الماء..

فلماذا لم يسألهن النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه؟!

وقد يجاب:

أولاً: أنه قد يكون هناك ما يمنع النبي «صلى الله عليه وآله» من مغادرة مجلسه، ربما لوجود آخرين لهم حاجات يفترض فيه أن يسمعها، ويعالج ما يمكن معالجته منها، أو لأنه «صلى الله عليه وآله» كان يعرف أنه لا يوجد شيء، فأراد أن لا يكون هو الحامل لهذا الخبر لذلك الرجل الذي يكون مرتاحاً إليه، أو لغير ذلك من أسباب.

ثانياً: قد يحاول أهل الريب إثارة بلبلة، تسيء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بادِّعاء: أن نفس النبي قد شحت عن بذل ما عنده، وأنه أخبر عن عدم وجود شيء، لأنه أراد أن يكون البذل من أموال الآخرين..

الضيف.. والإيثار:

1 ـ يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يطلب من أحد من الناس لا بالمباشرة، ولا بالصيغ العامة المجملة، فلم يقل: «يا فلان أطعمه»، أو «أيها الناس أطعموا هذا الرجل».. بل طلب منهم متبرعاً مختاراً، أو راغباً بالبذل عن طيب خاطر.. قاصداً بذلك التقرب إلى الله، ولا يريد أن يكون البذل عن حياء، أو أن تشوبه شائبة التزلف إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو نحو ذلك.

مع ملاحظة: أنهم لو كانت نفوسهم تطيب بالبذل لبادروا إلى عرض خدماتهم، أو لتبرعوا لذلك الفقير بما يحل مشكلته..

كما أنه «صلى الله عليه وآله» لم يرسل إلى القريب، أو الصديق، أو الجار.. ربما لأنه لا يريد أن يخدش عزة وكرامة ذلك المحتاج، ولا يريد أن يشعره بالذل والمهانة..

2 ـ وحول إيثار علي وأهل بيته «عليهم السلام» لذلك الرجل على أنفسهم، نلاحظ ما يلي:

أولاً: لقد جاء وصف هذا الرجل الجائع بالضيف على لسان سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء «عليها السلام»، وإن كان قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «من لهذا الرجل الليلة»؟! قد ألمح إلى ذلك، فإنه أراد أن يقول: «من

يرغب باستضافته»؟!

وهذه لفتة مهمة، أن يعتبر هذا الرجل الذي جاء يطلب ما يسد به الجوع ضيفاً عزيزاً، له كرامته، وموقعه، واحترامه، فلا يعامل معاملة المستجدي، ولا تُرَتَّب عليه أحكامه، فلا يتردد في قبول شهادته حين تجتمع شرائطها، ولا تقتحمه العيون، ولا.. ولا..

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» قال: «من لهذا الرجل الليلة»، ولم يقل: «من يطعم هذا الرجل»، لأنه يريد له أن يشعر بالتكريم، وبأنهم يعاملونه معاملة الضيف.. فتنتعش نفسه بالأمل والرجاء، ويشعر بالعزة..

ولو قال: «من يطعم هذا الرجل»، لفهم منه: أنهم يعاملونه معاملة المستجدي، فتتضاءل نفسه، ويشعر بالضعة والمهانة..

ولعل هذا الرجل كان غريباً، لا يملك موضعاً يبيت فيه، فإذا أكل، أو أخذ طعامه وخرج، فسيخرج متحيراً متسكعاً.

المؤثرون على أنفسهم:

ذكرت الرواية المتقدمة: أن الزهراء «عليها السلام» هي التي اقترحت إيثار الضيف الجائع بطعام ولديها..

ونلاحظ:

أولاً: إن اقتراح بذل طعام الحسنين «عليهما السلام» للفقير، قد جاء من الزهراء «عليها السلام»، وهو أمر فريد ومثير، لأنه يأتي من أم هي سيدة النساء في الدنيا وفي الآخرة في حق ولديها، وما أحرص الأم على راحة وسلامة أولادها مهما كانت صفاتهم وسماتهم، فكيف إذا كانوا هم درَّة هذا الوجود،

وصفوة الخلق وخيرته.. وأفضل، وأعلم، وأبر، وأتقى، وأرقى نموذج إلهي رباني للكمالات الإنسانية، والمزايا الأخلاقية في أعلى وأجل، وأرقى حالاتها.

ثانياً: إن اقتراحها «عليها السلام» بذل قوت ولديها للضيف الفقير، لا يعني أنها كانت امرأة قاسية القلب، وتعاني من الجفاف العاطفي، وضعف المشاعر الإنسانية، بل هي القمة في عاطفتها ورقتها، وعطفها، وفي مشاعرها.. بل هي تبذل طعام ولديها، لأنها تعلم: أن ولديها حين يعرفان بما جرى سيكونان في غاية البهجة والسرور، ولو علما أن والديهما قد ضنَّا على ذلك الفقير الضيف بطعامهما، فسيتكدر عيشهما، وسيريان أن ذلك لسوء طالعهما، وأنهما لا يستحقان الكرامة الإلهية..

ثالثاً: ويشهد لما نقول: أن الحديث المتقدم يصرح: بأن الحسن والحسين «عليهما السلام» مشمولان لآية الإيثار، مما يعني: أنهما «عليهما السلام».. إما كانا على علم بما يجري فعلاً، فيكونان هما اللذان اختارا إيثار الفقير بطعامهما، أو أنهما لا يرضيان بغير هذا البذل، ويتكدر عيشهما، إن لم يحصل.

على أننا نحتمل: أن طلب علي من الزهراء «عليهما السلام»: أن تنوِّم الصبية، قد كان بعد إعلانهما الموافقة على هذا الإيثار، ورغبتهما فيه..

ولعل الهدف من تنويمهما: هو التخفيف عنهما، أو رغبة أبويهما: بأن لا يتناول ذلك الرجل طعامهما الذي آثراه به أمام أعينهما..

أو ليشعر الضيف: بأن هذين الطفلين قد أكلا وناما، وأنه لم يحرمهما من طعامهما.

وقد يشهد لذلك: إطفاء المصباح حين تناول الطعام، لكي يمكن إيهام

الضيف: بأن صاحب البيت يأكل معه.

رابعاً: لقد ظهرت الكرامة الإلهية لهؤلاء المؤثرين، حيث وجدوا الجفنة التي قدموها لضيفهم، وقد أكل ما فيها ـ وجدوها ـ مملؤة طعاماً..

وكان بكاء النبي «صلى الله عليه وآله» حين لقي علياً «عليه السلام» تلك الليلة بكاء الفرح، والشكر، والغبطة، والرقة، والمحبة، والابتهاج بالكرامة الإلهية..

عجب الرب:

وتقول الرواية المتقدمة: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»:

«يا أمير المؤمنين، لقد عجب الرب من فعلكم البارحة»..

ونسجل هنا:

أولاً: أن مخاطبة النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» بقوله: «يا أمير المؤمنين» قد يفهم منه أمران:

الأول: أن إمارته «عليه السلام» للمؤمنين، ثابتة وفعلية في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

الثاني: لعله «صلى الله عليه وآله» أراد تكريس هذا اللقب، وتسهيل تداوله، من خلال إطلاقه على صاحبه من قبل نفس النبي.. وليبعد احتمالات أن يكون مجرد ثناء، أو إطلاق وصف فضفاض على شخصٍ مَّا، على سبيل المبالغة، بهدف إدخال السرور على قلبه.

ثانياً: قد يناقش البعض في صحة نسبة التعجب إلى الذات الإلهية، لأنها إنما تناسب المخلوقين..

ويجاب:

بأن إطلاق هذه الصفة على الذات الإلهية، كإطلاق صفة الغضب والرضا، والرحمة، والحب، والبغض، والرأفة، والمكر، وغير ذلك.. إنما تطلق عليه عز وجل بالمعنى الذي يناسب مقام ألوهيته، وينسجم مع صفاته تبارك وتعالى، لا بما لها من خصوصيات وحالات بشرية..

يمضغان بألسنتهما:

وتقول الرواية المتقدمة: إنهما جعلا يمضغان بألسنتهما.

وهنا نلفت النظر إلى أمور:

أحدها: أن السيد الحميري قد ذكر في شعره في هذه الحادثة: أن علياً «عليه السلام» فقط هو الذي صار يلمظ أصابعه، ويشير إلى الطعام، ولم يذكر معه شخصاً آخر.

الثاني: إن الحميري ذكر لمظ الأصابع، ولم يذكر مضغ اللسان.

الثالث: إنه أضاف: أنه «عليه السلام» كان يشير بيده إلى الطعام، ليوهم الضيف: أنه يأكل معه.

الرابع: قد يقال: إن ظاهر كلام الرواية المذكورة آنفاً: أن علياً والزهراء «عليهما السلام» جعلا يمضغان بألسنتهما.. لأن المفروض: أن الزهراء قد نوَّمت الحسنين بأمر علي «عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام».

ومضغهما «عليهما السلام» بألسنتهما يهدف إلى إيهام الضيف: بأنهما يأكلان معه.. ولأن المصباح قد أطفئ، ولم يعد الضيف يرى الشخص، فلا محذور في سماع الأجنبي صوت مضغ المرأة للطعام، أو لغيره.. لاسيما وأن صوت مضغ المرأة قد اختلط بصوت مضغ رجل، فلم يعد بالإمكان تمييز أحدهما عن الآخر.

وقد يناقش في هذا: بأن مضغ الزهراء «عليها السلام» للسانها لا ضرورة له، إذا كان صوت مضغ علي «عليه السلام» يكفي لطمأنة ذلك الضيف إلى أن الطعام وافر، وأنه لم يأكل نصيب غيره، من الصبية، أو من غيرهم.

غير أن ثمة رأياً آخر يقول: إن اللذين صارا يمضغان الطعام هما الحسنان «عليهما السلام».. ليزول بذلك خوف الضيف، من أن يكون قد أكل زاد الصبية، وتركهم بلا طعام.

علي يعطي الدينار للمقداد:

قال المازندراني: روت الخاصة والعامة، منهم: ابن شاهين المروي، وابن شيرويه الديلمي، عن الخدري وأبي هريرة: أن علياً أصبح ساغباً، فسأل فاطمة طعاماً.

فقالت: ما كانت إلا ما أطعمتك منذ يومين، آثرت به على نفسي، وعلى الحسن، والحسين.

فقال: ألا أعلمتني، فأتيتكم بشيء؟!

فقالت: يا أبا الحسين، إني لأستحي من إلهي أن أكلفك ما لا تقدر عليه.

فخرج واستقرض من النبي ديناراً، فخرج يشتري به شيئاً.

(وفي بعض المصادر: أن فاطمة «عليها السلام» هي التي اقترحت عليه مراجعة أبيها.

وفي مصادر أخرى: فلقيه المقداد بن الأسود «رحمه الله»، وقاما ما شاء الله أن يقوما، وذكر له حاجته، فأعطاه الدينار)[1].

فاستقبله المقداد قائلاً ما شاء الله.

فناوله علي الدينار، ثم دخل المسجد، فوضع رأسه، فنام، فخرج النبي، فإذا هو به، فحركه وقال: ما صنعت؟!

فأخبره، فقام وصلى معه، فلما قضى النبي صلاته قال: يا أبا الحسن، هل عندك شيء نفطر عليه، فنميل معك؟!

فأطرق لا يجيب جواباً حياء منه. وكان الله أوحى إليه أن يتعشى تلك الليلة عند علي.

فانطلقا حتى دخلا على فاطمة، وهي في مصلاها، وخلفها جفنة تفور دخاناً، فأخرجت فاطمة الجفنة، فوضعتها بين أيديهما.

فسأل علي «عليه السلام»: أنى لك هذا؟!

قالت: هو من فضل الله ورزقه، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

قال: فوضع النبي كفه المبارك بين كتفي علي، ثم قال: يا علي، هذا بدل دينارك. ثم استعبر النبي باكياً وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت في

(1) بحار الأنوار ج36 ص59 و 60 وحلية الأبرار ج2 ص265 والبرهان (تفسير) ج5 ص341 وكنز الدقائق (تفسير) ج13 ص183 وتأويل الآيات الظاهرة ص679.

ابنتي ما رأى زكريا لمريم[1].

وفي رواية الصادق «عليه السلام»: أنه أنزل الله فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾[2].

قال الحميري:

وحدثنا عن حارث الأعور الذي	تصدقه في القول منه وما يروي
بأن رسول الله نفسي فداؤه	وأهلي ومالي طاوي الحشا يطوي
لجوع أصاب المصطفى فاغتدى إلى	كريمته والناس لاهون في سهو
فصادفها وابني علي وبعلها	وقد أطرقوا من شدة الجوع كالنضو
فقال لها: يا فطم قومي تناولي	ولم يك فيما قال ينطق بالهزو
هدية ربى إنه مترحم	فقامت إلى ما قال تسرع بالخطو
فجاءت عليها الله صلى بجفنة	مكرمة باللحم جزواً على جزو

(1) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج2 ص190 و 191 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص350 وبحار الأنوار ج41 ص30 و 31 وراجع: ج36 ص59 ـ 61 وج37 ص103 ـ 105 وج43 ص29 وج93 ص147 وراجع: الخرائج والجرائح ج2 ص532 والأمالي للطوسي ص617 و 618 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج1 ص201 ـ 204 وحلية الأبرار ج2 ص269 ـ 272 ومدينة المعاجز ج1 ص329 ـ 331 وتفسير فرات الكوفي ص83 ـ 85 وكشف الغمة ج2 ص97 ـ 99 وغاية المرام ج2 ص235 و 236.

(2) الآية 9 من سورة الحشر.

فسموا وظلوا يطعمون جميعهم فَبَخْ بَخْ لهم نفسي الفداء وما أحوي
فقال لها: ذاك الطعام هدية من الله جبريل أتاني به يهوي
ولم يك منه طاعماً غير مرسل وغير وصي خصه الله بالصفو[1]

ونقول:

في هذا الحديث اشارات إلى أمور عديدة، نذكر منها ما يلي:

المواساة لمن بالحجاز واليمامة:

ذكر النص المتقدم: أن علياً «عليه السلام» أصبح ساغباً.. والسغب: هو الجوع.

وقيل: لا يكون إلا مع تعب[2].

وقد ذكرت الزهراء «عليها السلام»: أن آخر مرة أكل علي «عليه السلام» فيها كانت قبل يومين من ذلك التاريخ، وأنها حين أطعمته إنما آثرته بالطعام على نفسها، وعلى الحسن والحسين، فقال لها «عليه السلام»: «ألا أعلمتني فأتيتكم بشيء»؟!

وهذا الزهد بالدنيا هو حال النبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته «عليهم السلام»، مع أن الناس كانوا يقدسونهم، وقد أمر الله تعالى بحبهم، وبمودة

(1) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج2 ص190 و 191 و (ط المكتبة الحيدرية) ج1 ص350.
(2) أقرب الموارد، مادة «سغب».

رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهم..

وكانت لهم الرياسة والسيادة والتقدم على العرب وغيرهم.

وقد قال «صلى الله عليه وآله»: «علي سيد العرب»[1].

---

(1) المستدرك للحاكم ج3 ص124 ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص178 ـ 179 ومجمع الزوائد ج9 ص116 و 131 والمعجم الأوسط ج2 ص127 والمعجم الكبير ج3 ص88 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج9 ص170 وج11 ص66 والرياض النضرة ج3 ص137 والمواقف للإيجي ج3 ص625 و 633 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص618 و 619 وج13 ص143 و 145 وفيض القدير ج3 ص60 وكشف الخفاء ج1 ص462 وج2 ص71 وذكر أخبار إصبهان ج1 ص308 ومطالب السؤول ص126 وإرشاد القلوب ج2 ص261 وجواهر المطالب ج1 ص105 وينابيع المودة ج1 ص267 وج2 ص74 و 161 و 281 و 404 و 448 وذخائر العقبى (نشر مكتبة القدسي ـ القاهرة) ص70 والتوحيد للصدوق ص207 والخصال ص561 ومعاني الأخبار ص103 وكشف الغمة ج1 ص108 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص333 وكتاب سليم بن قيس ص197 ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج1 ص208 و 209 وج2 ص511 و 512 و 513 و 514 و 515 والأمالي للمفيد ص44 والأمالي للطوسي ص365 و 510 و 549 و 608 والطرائف لابن طاووس ص79 وروضة الواعظين ص101 وعدة الداعي ص305 والصراط المستقيم ج3 ص233 وشرح الأخبار ج1 ص195 وج3 ص56 وغوالي اللآلي ج4 ص121 والمصباح للكفعمي ص335 وبحار الأنوار ج4 ص198 وج22 ص503 وج31 ص326 و 378 و 430 وج33 ص184 وج38 ص15 و 17 و 93 و 94 و 150 وج40 ص32 و 67 و 68 و 82 ونور البراهين ج1 ص498 وشجرة طوبى ج1 ص59 والبرهان (تفسير) ج2 ص494 والدر

فحالهم في رياستهم تناقض أحوال سائر من يترأسون على الناس من أهل الدنيا، فإن أهل الدنيا إذا ترأسوا يمتصون دماء شعوبهم، ويسلبونهم حقوقهم، ويلقون بهم في أتون الفقر والحاجة، تماماً كما وصف الكميت حال بني أمية مع الناس، فقال:

رأيــــه فــــيهم كــــرأي ذوي الثلـة في الثائجـات جـنح الظـلام

جزّ ذي الصوف وانتقـاء لـذي المخة، نعقـاً ودعـدعاً بالبهـام[1]

وقد قال عنهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: «اتخذوا مال الله دولاً، وعباده

النظيم ص284 و 326 والمقام الأسنى للكفعمي ص66 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج4 ص42 و 348 وج15 ص25 وج20 ص399 وج22 ص135 و 138 وج23 ص557 وج31 ص164 ومائة منقبة لابن شاذان ص170 وتفضيل أمير المؤمنين للمفيد ص34 ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج2 ص217 والعمدة لابن البطريق ص358 وحلية الأبرار ج2 ص329 .

(1) الهاشميات ص26 و 27.

والثلة: القطعة الكثيرة من الضان.

والثائجات: الصائحات.

وانتقاء: اختيار.

وأراد بذي المخة: السمينة.

ونعقاً: أي صياحاً.

والدعدعة: زجر البهائم.

يقول: رأي الواحد من هؤلاء الخلفاء في رعيته، ومعاملته لها كرأي أصحاب الغنم في غنمهم، فلا يراعون العدل، ولا الإنصاف فيهم.

خولاً»(1).

وقال في الخطبة الشقشقية عن عثمان: «وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ، يَخْضِمُونَ مَالَ اللهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نِبْتَةَ الرَّبِيعِ»(2).

أما علي وأهل بيته «عليهم السلام»، فحالهم في رئاستهم على عكس ذلك تماماً.. فإنهم يتعاملون مع الناس وفق القاعدة التي أطلقها أمير المؤمنين «عليه السلام» حين قال في كتابه إلى عثمان بن حنيف:

«أَلَا وإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاه بِطِمْرَيْه، ومِنْ طُعْمِه بِقُرْصَيْه..

إلى أن قال: فَوَاللهِّ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، ولَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، ولَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، ولَا حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِبْراً، ولَا أَخَذْتُ مِنْه إِلَّا كَقُوتِ أَتَانٍ دَبِرَةٍ..

إلى أن قال: ولَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَّى هَذَا الْعَسَلِ، ولُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ، ونَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ.. ولَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، ويَقُودَنِي جَشَعِي إِلَى تَخَيُّرِ الأَطْعِمَةِ..

ولَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَه فِي الْقُرْصِ، ولَا عَهْدَ لَه بِالشِّبَعِ.

أَوْأَبِيتَ مِبْطَاناً وحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى، وأَكْبَادٌ حَرَّى، أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ وحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص120 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص284 وج4 ص92 و 181 وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج5 ص201.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص30 وراجع: نهج البلاغة الخطبة الشقشقية رقم 3.

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، ولَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِه الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ.. فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا، وتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا»[1].

ألا أعلمتني فأتيتكم بشيء؟!:

قد يتوهم البعض: أن ثمة تناقضاً بين ما تقوله الزهراء، وما يقوله علي «عليه السلام»، فعلي يقول: «ألا أعلمتني فأتيتكم بشيء»؟! فهذا يدل على أنه يرى أنه يستطيع الحصول على شيء من الطعام.

لكن الزهراء «عليها السلام» تقول: «إني لأستحي من إلهي أن أكلفك ما لا تقدر عليه». وهذا يدل على يقينها: بأنه «عليه السلام» لا يستطيع الحصول على شيء.. فكيف نفسر ذلك؟!

ويمكن أن يجاب بما يلي:

أولاً: لعلها «عليها السلام» أرادت أنه لا يقدر على ذلك، لعدم توفر المال في يده فعلاً.. وهو يقول لها: إنه قادر على السعي في تحصيل المال، ولو

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص70 ومختصر بصائر الدرجات ص154 ومستدرك الوسائل ج12 ص54 وج16 ص300 والخرائج والجرائح ج2 ص542 وبحار الأنوار ج33 ص474 وج40 ص318 و 340 وج67 ص320 وجامع أحاديث الشيعة ج14 ص34 وج23 ص272 ونهج السعادة ج4 ص32 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص205 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص139 وينابيع المودة ج1 ص439.

بالاستدانة، أو بيع سيف، أو درع، أو السعي لإيجاد عمل ـ كما كان الحال في قصة نزول سورة «هل أتى»، حيث وجد «عليه السلام» من يعطيه ثلاثة أصوع من شعير مقابل غزل جزة صوف، فيكون كل منهما قد تكلم، وفق ما تقتضيه ظواهر الأمور.. لكن كل واحد نظر إلى جانب من القضية.

ثانياً: لعله «عليه السلام» تحدَّث وفق ظواهر الأمور التي يجب عليه مراعاتها، حسبما ذكرناه.. لكن الزهراء «عليها السلام» أوردت كلامها وفق علمها بالواقع والنتيجة، حيث يحتمل أنها كانت تعلم بأنه «عليه السلام» حتى لو سعى، فسوف لن يحصل على ما يريد.. وهذا علم لم تستند فيه إلى ظواهر الأحوال، بل تجاوزتها إلى الاطِّلاع ما وراء الحجب الظاهرية.. وهذا مقام شريف وجليل.

هل كان النبي ' يملك أموالاً؟!:

1 ـ وهنا سؤال آخر يقول: صرحت الرواية المتقدمة: بأن علياً «عليه السلام» قد استقرض الدينار من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فهل كان النبي «صلى الله عليه وآله» يملك أموالاً يقرضها لهذا أو ذاك؟!

وإذا كان الأمر كذلك.. فلماذا لا يعين أخاه وابن عمه، وأبا سبطيه، وزوج ابنته؟! أم يمكن أن يكون «صلى الله عليه وآله» لا يعلم بحاجتهم، ولم يطَّلع على خصاصتهم؟!

وحين علم بذلك لماذا لم يسوغه ذلك الدينار؟! بل أقرضه إياه؟!

ويجاب:

أولاً: إن وجود دينار في حوزة النبي «صلى الله عليه وآله» لا يدل على

أنه «صلى الله عليه وآله» كان قد ادَّخره أو ادَّخر غيره من الأموال، فلعله وصل إليه قبل ساعة، أو أقل، أو أكثر من مجيء علي «عليه السلام» إليه.

ثانياً: لعل هذا المال كان مخصصاً لنساء النبي «صلى الله عليه وآله»، فإن نفقتهن واجبة عليه «صلى الله عليه وآله»، أو لعله كان من الودائع عنده «صلى الله عليه وآله»، وقد أجاز له أصحابها الإقراض منها لمن شاء، ولعله، ولعله..

ثالثاً: لقد ورد أن الصدقة بعشر حسنات، والقرض بثمانية عشر[1]. فلعل النبي «صلى الله عليه وآله» أراد أن ينيل علياً «عليه السلام» ثواب القرض.

كما أنه يريد أن ينيل علياً ثواب المجاهد في سبيل الله، فإن الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله[2].

رابعاً: لعله يريد أن يعرِّف الناس: بأنه إذا دار الأمر بين إعطاء المال للمحتاج القادر على العمل قرضاً يعيده إليه في الوقت المناسب، ليصرف في المورد الذي يعجز فيه آخذه عن العمل، وعن إعادة المال، فإن توفير المال لهذا العاجز هو الأولى والأصوب..

---

(1) الكافي ج4 ص34 وبحار الأنوار ج100 ص138 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج9 ص300 و (الإسلامية) ج6 ص209 ومستدرك الوسائل ج12 ص364 وجامع أحاديث الشيعة ج16 ص122 وج18 ص286 و 289 ومستدرك سفينة البحار ج8 ص501 وألف حديث في المؤمن للنجفي ص107 وتفسير القمي ج2 ص159 و 350 وتفسير نور الثقلين ج4 ص190 وج5 ص239.

(2) الكافي ج5 ص88 وراجع: تحف العقول ص445 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج17 ص67 و (الإسلامية) ج12 ص42 وبحار الأنوار ج75 ص339 وجامع أحاديث الشيعة ج17 ص12 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج7 ص381.

ولعله لأجل ذلك تصدَّق علي «عليه السلام» بالدينار على المقداد، ولم يقرضه إياه، إذ كان يعلم أن المقداد «رحمه الله» سيكون محرجاً لو كلفه بإعادة الدينار إليه، لصعوبة حصوله على هذا المقدار، بحيث يكون مستغنياً عنه.

2 ـ ولعلك تقول: لماذا أعطى علي «عليه السلام» المقداد الدينار كله، ولم يتقاسمه معه؟!

ويجاب:

أولاً: بأن سبب عدم المقاسمة هو أنه «عليه السلام» أراد الإيثار على نفسه، حتى مع وجود الخصاصة، وهو أمر يحبه الله تعالى.

ثانياً: لعل المقداد كان معيلاً، ويحتاج للدينار لسد جوعة عائلته..

ويلاحظ هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» سأل علياً «عليه السلام» عما صنع، فأخبره بأمر المقداد، وأنه أعطاه الدينار، فلم يعترض النبي «صلى الله عليه وآله» عليه، ولم يظهر انزعاجاً من فعله هذا.. ولعل ما ذكرناه هو السبب في ذلك، وربما كان هناك سبب آخر، واحداً أو أكثر.

هل عندك شيء نفطر به؟!:

والسؤال الأهم هنا: هو أننا وجدنا النبي «صلى الله عليه وآله» بالرغم من إخبار علي «عليه السلام» إياه بمصير الدينار، وأنه أصبح من نصيب المقداد «رحمه الله»، فإنه «صلى الله عليه وآله» صلَّى وصلَّى علي «عليه السلام» معه، فلما قضى صلاته قال: يا أبا الحسن هل عندك شيء نفطر عليه، فنميل معك؟!

فأطرق عليٌّ «عليه السلام» حياءً.. ثم مال معه ليتعشى عنده، فكيف يقرر

النبي «صلى الله عليه وآله» أن ينزل ضيفاً على علي ليتعشى عنده، بعد أن أخبره بمصير الدينار؟!

وكيف نفسر سؤال النبي إياه: هل عندك شيء نفطر عليه.. والحال، أنه يعلم بأنه ليس عنده شيء؟!

ويجاب:

بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه، وعلي يعلم: بأنه «صلى الله عليه وآله» ﴿**مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾[1].

وقد صرحت الرواية نفسها: بأن الله عز وجل هو الذي أمر نبيه «صلى الله عليه وآله»: بأن يتعشى تلك الليلة عند علي «عليه السلام».

ومعنى هذا: أن الله تعالى سوف يهيئ لعلي «عليه السلام» ما يقدِّمه لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، لأنه تعالى لا يخذل أهل طاعته.. بل هو يسددهم ويحفظهم، ويرفع من شأنهم.

وتصدّق علي «عليه السلام» بالدينار، بالرغم من شدة حاجته، وحاجة أهل بيته إليه.. والحسنان «عليهما السلام» منهم ـ إن تصدّقه هذا ـ يزيد من كرامته على الله، ومحبته له، وهذا هو حال أهل بيته وأولاده، فإنهم يشاركونه في هذا البذل، ويأنسون به.

من أجل ذلك استحق أهل البيت الكرامة، والتأييد، ووجدوا الزهراء

(1) الآيتان 3 و 4 من سورة النجم.

«عليها السلام» في مصلَّاها، والجفنة خلفها تفور.

وقال النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي: «هذا بدل دينارك».

التصدق بفراش الحسنين ‘:

هناك رواية مطوَّلة، سوف نختصرها، ونحاول لفت الأنظار إلى ما يرتبط منها بالحسنين «عليهما السلام»، وملخص الرواية هو التالي:

عن الصادق «عليه السلام»، عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال ما ملخصه:

إن شيخاً من مهاجرة العرب جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأخبره أنه جائع الكبد، وعاري الجسد، وفقير..

فأرسله النبي «صلى الله عليه وآله» إلى منزل من يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وهي فاطمة «عليها السلام»، وكان بيتها ملاصق بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي ينفرد به لنفسه من أزواجه.

فذهب إليها، فأخبرها بحاله، وكان لفاطمة وعلي في تلك الحال، وكذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثلاث ليال ما طعموا فيها طعاماً.. وقد علم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك من شأنهما أيضاً..

فأعطته «عليها السلام» جلد كبش مدبوغ بالقرظ (القرظ: شجر يدبغ به. وقيل: هو ورق السلم يدبغ به الأدم) كان ينام عليه الحسن والحسين «عليهما السلام».

فقال لها: ناولتيني جلد كبش، ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب.

فعمدت لما سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة

بنت عمها حمزة بن عبد المطلب «عليه السلام»، فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي ليبيعه، فعسى الله أن يعوضه به ما هو خير منه.

فأخذ الأعرابي العقد.. وانطلق به إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأخبره بما جرى له.

فاشترى عمار بن ياسر هذا العقد من الرجل.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: إن الله قد أعطى فاطمة في الدنيا ذلك: أنا أبوها، وما أحد من العالمين مثلي، وعلي بعلها، ولولا علي ما كان لفاطمة كفو أبداً، وأعطاها الحسن والحسين، وما للعالمين مثلهما، سيدا شباب أسباط الأنبياء، وسيدا شباب أهل الجنة.

وتستمر الرواية في ذكر ما لفاطمة «عليها السلام» من كرامة وفضل .. ثم تذكر الرواية: أن عماراً أرسل العقد مع مملوك له إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأرسلهما إلى فاطمة، فأعتقت «عليها السلام» ذلك المملوك الخ..[1].

ونقول:

إننا نشير هنا إلى ما يلي:

أليس الرفق بالحسنين ' أولى؟!:

قد يقول قائل: إن الرفق بالحسنين «عليهما السلام» كان أولى من التصدق

(1) بشارة المصطفى ص217 ـ 221 وبحار الأنوار ج43 ص56 ـ 59 عنه، وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج19 ص115.

بفراشهما.. فإن هذا قد يعدُّ تفريطاً بحقهما، من قِبَلِ أبويهما المسؤولين عن رعايتهما وحفظهما. وصغر سنهما يفرض أن يعاملا بالرفق، والرحمة، وتوفير أسباب الراحة لهما.

ويجاب:

أولاً: بأن الأمر يتوقف على تقدير مدى حاجة الفقير، فإن كانت حالته صعبة للغاية، فإن التخلي عن درجة من الرفق لبعض من يعز على الباذل يكون هو الأولى، والأحب إلى الله، إن لم نقل: إنه يتجاوز حدود الاستحباب أيضاً.

ثانياً: لعل الحسنين «عليهما السلام» هما اللذان اقترحا على أمهما أن تعطي جلد الكبش للفقير، أو أنها فعلت ذلك لعلمها بأن ولديها سيكونان مسرورين جداً بهذا الفعل، وتكون رغبتهما بالبذل أكثر بكثير من رغبتهما بالاستفادة من جلد الكبش..

وقد ذكرنا فيما سبق: أن الحسنين «عليهما السلام» قد بذلا طعامهما للأسير حتى بعد مضي ثلاثة أيام بلياليها، لم يذوقا فيها طعاماً، لا في ليل، ولا في نهار.. وقد أنزل الله تعالى سورة «هل أتى» في الثناء عليهما وعلى والديهما بسبب فعلهما هذا، مع أن حال الحسنين «عليهما السلام» في تلك الواقعة قد تكون أشد، وأدعى للشفقة والرحمة.

ثالثاً: يلاحظ: أن الفقير، وإن كان لم يأخذ جلد الكبش، لأنه رأى أنه لا يحل مشكلته.. ولكن ذلك قد أظهر: حرص الزهراء «عليها السلام» التي بذلت فراشاً لولدين صغيري السن، ليس لهما نظير.. على تحصيل رضا الله

تعالى، وكان رضاه سبحانه عندها أولى من الانسياق مع عاطفة الأمومة.

وأثبتت: أن على المرأة ـ كما الرجل ـ: أن تلجأ إلى عقلها، ووجدانها، وما يرضي ربها، فتتخذ قرارها بالإعطاء والمنع من خلال هذه الأمور.. لا أن تنساق مع عاطفتها، وعصبيتها، وميلها للقريب والحبيب.. فإن مصالح العباد لها منطلقات، أو غايات يعود أمر تحديدها لرب العباد..

رابعاً: لو أن ذلك الفقير رضي بجلد الكبش، فمن الذي قال: إن الزهراء «عليها السلام»، إذا رأت أن ثمة خطراً يتهدد الحسنين «عليهما السلام» سوف تحجم عن بيع العقد، وتنفق ثمنه في معونتهما ومؤونتهما، ولاسيما إذا لم يذوقا شيئاً منذ ثلاثة أيام.

النبي ′ كان يعلم:

واللافت هنا: أن الرواية تصرح: بأن علياً وفاطمة «عليهما السلام» كان قد مضى عليهما ثلاثة أيام لم يذوقا فيها طعاماً.

وقد صرحت الرواية: بأن النبي «صلى الله عليه وآله»، كان يعلم ذلك من حالهما «عليهما السلام».

وهذا يدعو إلى التساؤل الذي يقول: إذا كان «صلى الله عليه وآله» يعلم بأنه قد مضت على علي والزهراء «عليهما السلام» ثلاثة أيام لم يذوقا فيها طعاماً.. فلماذا أرسل إليهما هذا الفقير الجائع يا ترى؟! ولماذا لم تبع عقدها لتأكل هي وزوجها؟!

وسؤال آخر يقول: لماذا أرسله إلى ابنته، لا إلى بيوت أزواجه؟!

ونجيب:

أولاً: بالنسبة للسؤال الثاني نقول:

لعله «صلى الله عليه وآله» علم أنه لو أرسله إلى بيوت الأزواج، فسيعود خائباً، ولن يجد استجابة من أي منهن.. إذ لم يكنَّ على استعداد لبيع فراش، أو قلادة، أو أي شيء مما بحوزتهن من أجل فقير..

والزهراء «عليها السلام» فقط هي التي تبذل وتضحي في سبيل الله، وتجهد في تلبية طلب رسول الله، ولا تخيب سائلاً جاء من قبله.

ثانياً: بالنسبة للسؤال الأول نقول: لم تكن الزهراء «عليها السلام» تريد أن تبيع عقدها لتنفق ثمنه على نفسها، وزوجها.. بل كانت تريد أن تنفقه على الآخرين، ربما لأنها ترى: أن عليها حفظهم، وإنعاش الأمل في نفوسهم، ورسم البسمة والبِشر على شفاههم، وفي وجوههم.

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل ذلك الفقير الجائع إلى ابنته، مع أنه كان يعلم: أنها لم تذق هي وزوجها طعاماً منذ ثلاثة أيام، كما أنه يعلم: أنها «عليها السلام» ادَّخرت عقدها لمثل هذا الإيثار.. فأراد أن ينيلها ثواب هذا الإيثار، ويدخل السرور على قلبها، وقلوب من هم على مثل رأيها، ويترقبون ما تترقب، ويرغبون بما ترغب..

الحسنان ' عطية إلهية لفاطمة ×:

وتقدم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الحسنين «عليهما السلام»: إنهما عطية إلهية للزهراء «عليها السلام»، «وما للعالمين مثلهما»، وأنهما سيدا شباب أسباط الأنبياء، وسيدا شباب أهل الجنة.

وهذا يعطي:

1 ـ أنهما «عليهما السلام» لم يكن لهما نظير في الفضل، والعلم، والخُلق، والدين، والاستقامة، وسائر المزايا.. فقد جعل إعطاء الحسنين للزهراء «عليهم السلام» بموازاة إعطائها أبوته، وليس في العالمين أب مثله..

وإعطائها علياً «عليه السلام» زوجاً، وهو أخو الرسول، بل هو نفسه، كما في آية المباهلة..

فهذه الفرادة، والامتياز الظاهر لهما، قد ثبتتا لهما «عليهما السلام»، حتى وهما في ذلك السن..

2 ـ إن الله تعالى لا يمتن بالعصاة له، ولا بالجهلة، والطائشين، بل هو يمقت هؤلاء، ويطرد من يعصي الله، ومن يشاغب، ويؤذي، ولا يسجل ثناء على من سوف يصبح كذلك ولو بعد حين.

ولذا لم يمتن على نوح بابنه، ولا على آدم بقابيل، ولا على نوح ولوط بزوجتيهما، ولا على النبي «صلى الله عليه وآله» بأبي لهب، مع أن ما عاناه آدم ونوح ولوط يستحق التقدير والمكافأة..

ولكنه تعالى يمتن على إبراهيم بإسماعيل، وعلى يعقوب بيوسف، ويمتن على الزهراء بالحسن والحسين «عليهم السلام»، لأنهما إمامان معصومان في غاية الكمال الأخلاقي، والإنساني، والعلمي، والإيماني والسلوكي. ولأنهما سيدا أسباط الأنبياء، وسيدا شباب أهل الجنة.

3 ـ يلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يشر إلى عطايا لمزايا ذاتية لشخص السيدة الزهراء «عليها السلام»، مثل العقل الكبير، والعلم الغزير، وعمق الإيمان، والعصمة، وغير ذلك من مزايا وكمالات إنسانية وأخلاقية،

لأن ذلك متحقق فيها بأجلى وأتم مظاهره، وهذه المزايا هي التي تجلت في استضافتها لذلك الرجل الجائع، وما جرى مع المسكين واليتيم والأسير، وفي كثير من المواقف في عهد الرسول، وبعد وفاته..

ولأجل ذلك اقتصر «صلى الله عليه وآله» على ذكر العطايا الإلهية لها، مما يكون من خارج ذاتها، ولا يكون من ميزاتها الشخصية التي اختارتها هي لنفسها، وسعت لها، وحصلت عليها، فتفضل الله تعالى عليها بها بناء على ذلك.

4 ـ والهدف من بيان هذه المزايا والعطايا للزهراء «عليها السلام»: هو ترغيب الناس بالاقتداء بها، والاستفادة من علومها ومعارفها، واستخلاص الدروس والعبر من مواقفها.

5 ـ لكن الأمر المؤسف هو أن الناس لم ينصفوها، ولم يحفظوا فيها وصية رسول الله «صلى الله عليه وآله» بل جهلوا حقها، واعتدوا عليها، وارتكبوا منها ما زاد في خزيهم، وأظهر سفاهة أحلامهم، وعقم تفكيرهم، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

الفصل الثالث

جبرئيل باعك الناقة، واشتراها ميكائيل

الحسين × والأعرابي:

عن خالد بن ربعي قال: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» دخل مكة في بعض حوائجه، فوجد أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: يا صاحب البيت، البيت بيتك، والضيف ضيفك، ولكل ضيف من ضيفه قرى، فاجعل قراي منك الليلة المغفرة.

فقال أمير المؤمنين «عليه السلام» لأصحابه: «أما تسمعون كلام الأعرابي»؟!

قالوا: نعم.

فقال: الله أكرم من أن يرد ضيفه.

فلما كانت الليلة الثانية وجده متعلقاً بذلك الركن وهو يقول: يا عزيزاً في عزك، فلا أعز منك في عزك، أعزني بعز عزك، في عز لا يعلم أحد كيف هو، أتوجه وأتوسل إليك، بحق محمد وآل محمد عليك، أعطني ما لا يعطيني أحد غيرك، واصرف عني ما لا يصرفه أحد غيرك.

قال: فقال أمير المؤمنين «عليه السلام» لأصحابه: هذا والله الاسم الأكبر بالسريانية، أخبرني به حبيبي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، سأله الجنة فأعطاه،

وسأله صرف النار وقد صرفها عنه.

قال: فلما كانت الليلة الثالثة وجده وهو متعلق بذلك الركن، وهو يقول: يا من لا يحويه مكان، ولا يخلو منه مكان، بلا كيفية كان، ارزق الأعرابي أربعة آلاف درهم.

قال: فتقدم إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: يا أعرابي سألت ربك القرى فقراك، وسألته الجنة فأعطاك، وسألته أن يصرف عنك النار وقد صرفها عنك، وفي هذه الليلة تسأله أربعة آلاف درهم؟!

قال الأعرابي: من أنت؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال الأعرابي: أنت والله بغيتي، وبك أنزلت حاجتي.

قال: سل يا أعرابي.

قال: أريد ألف درهم للصداق، وألف درهم أقضي به ديني، وألف درهم أشتري به داراً، وألف درهم أتعيش منه.

قال: أنصفت يا أعرابي، فإذا خرجت من مكة، فاسأل عن داري بمدينة الرسول.

فأقام الأعرابي بمكة أسبوعاً، وخرج في طلب أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى مدينة الرسول، ونادى: من يدلني على دار أمير المؤمنين علي؟!

فقال الحسين بن علي من بين الصبيان: أنا أدلك على دار أمير المؤمنين، وأنا ابنه الحسين بن علي.

فقال الأعرابي: من أبوك؟!

قال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

قال: من أمك؟!

قال: فاطمة الزهراء، سيدة نساء العالمين.

قال: من جدك؟!

قال: رسول الله، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

قال: من جدتك؟!

قال: خديجة بنت خويلد.

قال: من أخوك.

قال: أبو محمد الحسن بن علي.

قال: لقد أخذت الدنيا بطرفيها، امش إلى أمير المؤمنين وقل له: إن الأعرابي صاحب الضمان بمكة على الباب.

قال: فدخل الحسين بن علي «عليه السلام»، فقال: يا أبه، أعرابي بالباب، يزعم أنه صاحب الضمان بمكة.

قال: فقال: يا فاطمة، عندك شيء يأكله الأعرابي؟!

قالت: اللهم لا.

قال: فتلبس أمير المؤمنين «عليه السلام» وخرج، وقال: ادعوا لي أبا عبد الله سلمان الفارسي.

قال: فدخل إليه سلمان الفارسي، فقال: يا أبا عبد الله، أعرض الحديقة

التي غرسها رسول الله «صلى الله عليه وآله» لي على التجار.

قال: فدخل سلمان إلى السوق وعرض الحديقة، فباعها باثني عشر ألف درهم. وأحضر المال، وأحضر الأعرابي، فأعطاه أربعة آلاف درهم وأربعين درهماً نفقه.

ووقع الخبر إلى سؤَّال المدينة، فاجتمعوا، ومضى رجل من الأنصار إلى فاطمة «عليها السلام» فأخبرها بذلك.

فقالت: آجرك الله في ممشاك.

فجلس علي «عليه السلام» والدراهم مصبوبة بين يديه حتى اجتمع إليه أصحابه، فقبض قبضة قبضة، وجعل يعطي رجلاً رجلاً، حتى لم يبق معه درهم واحد.

فلما أتى المنزل قالت له فاطمة «عليها السلام»: يا ابن عم، بعت الحائط الذي غرسه لك والدي؟!

قال: نعم، بخير منه عاجلاً وآجلاً.

قالت: فأين الثمن؟!

قال: دفعته إلى أعين استحييت أن أذلها بذل المسألة قبل أن تسألني.

قالت فاطمة: أنا جائعة، وابناي جائعان، ولا أشك إلا وأنك مثلنا في الجوع، لم يكن لنا منه درهم؟!

وأخذت بطرف ثوب علي «عليه السلام»، فقال علي «عليه السلام»: يا فاطمة، خليني.

فقالت: لا والله، أو يحكم بيني وبينك أبي.

فهبط جبرئيل «عليه السلام» على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا محمد، السلام يقرؤك السلام، ويقول: اقرأ علياً مني السلام، وقل لفاطمة: ليس لك أن تضربي على يديه.

فلما أتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منزل علي وجد فاطمة ملازمة لعلي «عليه السلام»، فقال لها: يا بنية ما لك ملازمة لعلي؟!

قالت: يا أبه، باع الحائط الذي غرسته له باثني عشر ألف درهم، لم يحبس لنا منه درهماً نشتري به طعاماً.

فقال: يا بنية، إن جبرئيل يقرؤني من ربي السلام، ويقول: اقرأ علياً من ربه السلام، وأمرني أن أقول لك: ليس لك أن تضربي على يديه.

قالت فاطمة «عليها السلام»: فإني أستغفر الله، ولا أعود أبداً.

قالت فاطمة «عليها السلام»: فخرج أبي «صلى الله عليه وآله» في ناحية، وزوجي في ناحية، فما لبث أن أتى أبي ومعه سبعة دراهم سود هجرية، فقال: يا فاطمة، أين ابن عمي؟!

فقلت له: خرج.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: هاك هذه الدراهم، فإذا جاء ابن عمي فقولي له يبتاع لكم بها طعاماً.

فما لبثت إلا يسيراً حتى جاء علي «عليه السلام»، فقال: رجع ابن عمي، فإني أجد رائحة طيبة؟!

قالت: نعم، وقد دفع إليَّ شيئاً تبتاع به لنا طعاماً.

قال علي «عليه السلام»: هاتيه، فدفعت إليه سبعة دراهم سوداً هجرية،

فقال: بسم الله، والحمد لله كثيراً طيباً، وهذا من رزق الله عز وجل، ثم قال: يا حسن قم معي.

فأتيا السوق، فإذا هما برجل واقف وهو يقول: من يقرض المليِّ الوفي؟!

قال: يا بني نعطيه؟!

قال: إي والله يا أبه.

فأعطاه علي «عليه السلام» الدراهم.

فقال الحسن: يا أبتاه، أعطيته الدراهم كلها؟!

قال: نعم يا بني، إن الذي يعطي القليل قادر على أن يعطي الكثير.

قال: فمضى علي بباب رجل يستقرض منه شيئاً، فلقيه أعرابي ومعه ناقة، فقال: يا علي اشتر مني هذه الناقة.

قال: ليس معي ثمنها.

قال: فإني أنظرك به إلى القبض.

قال: بكم يا أعرابي؟!

قال: بمائة درهم.

قال علي: خذها يا حسن.

فأخذها، فمضى علي «عليه السلام»، فلقيه أعرابي آخر، المثال واحد، والثياب مختلفة، فقال: يا علي تبيع الناقة؟!

قال علي: وما تصنع بها؟!

قال: أغزو عليها أول غزوة يغزوها ابن عمك.

قال: إن قبلتها فهي لك بلا ثمن.

قال: معي ثمنها، وبالثمن أشتريها، فبكم اشتريتها؟!

قال: بمائة درهم.

قال الأعرابي: فلك سبعون ومائة درهم.

قال علي «عليه السلام»: خُذ السبعين والمائة، وسلِّم الناقة والمائة للأعرابي، الذي باعنا الناقة، والسبعين (!!) لنا نبتاع بها شيئاً[1].

فأخذ الحسن «عليه السلام» الدراهم، وسلم الناقة.

قال علي «عليه السلام»: فمضيت أطلب الأعرابي الذي ابتعت منه الناقة لأعطيه ثمنها.

فرأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» جالساً في مكان لم أره فيه قبل ذلك ولا بعده، على قارعة الطريق، فلما نظر النبي «صلى الله عليه وآله» إليَّ تبسم ضاحكاً حتى بدت نواجذه.

قال علي «عليه السلام»: أضحك الله سنك، وبشرك بيومك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: يا أبا الحسن، إنك تطلب الأعرابي الذي باعك الناقة لتوفيه الثمن؟!

فقلت: إي والله فداك أبي وأمي.

فقال: يا أبا الحسن، الذي باعك الناقة جبرئيل، والذي اشتراها منك ميكائيل، والناقة من نوق الجنة، والدراهم من عند رب العالمين عز وجل،

---

(1) لعل تقدير الكلام هنا: ودع السبعين لنا نبتاع بها شيئاً.

فأنفقها في خير، ولا تخف إقتاراً[1].

ونقول:

هذا الحدث بدأ في مكة:

صرحت الرواية المتقدمة: بأن بدايات ما جرى كان في مكة، وصرحت أيضاً: بأن الحسن والحسين «عليهما السلام» كانا لا يزالان طفلين، وبأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد شارك فيما جرى..

وهذا يدلنا على أن ما جرى كان في أواخر حياة النبي حين أصبح الحسنان «عليهما السلام» بعمر أربع إلى ست سنوات.. لاسيما، وأن دخول مكة لم يكن متيسراً لعلي وأصحابه قبل الفتح.

فهل كان دخول علي «عليه السلام» وأصحابه إلى مكة حين نزول سورة براءة مثلاً، التي حملها أمير المؤمنين «عليه السلام» بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المشركين من أهلها؟!

أم أن ذلك كان في سفرة أخرى إليها بعد فتحها في سنة ثمان للهجرة؟!

أو أن ذلك كان في نفس فتح مكة، حيث كان علي «عليه السلام» يتواجد مع سائر ذلك الجيش خارجها، ليكون قريباً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان يدخل إلى مكة لقضاء بعض الحوائج؟!

---

(1) بحار الأنوار ج41 ص44 ـ 47 والأمالي للصدوق المجلس 77 (ط مؤسسة البعثة) ص553 ـ 557 وروضة الواعظين ص124 ـ 126 وحلية الأبرار ج2 ص273 ـ 277 ومدينة المعاجز ج1 ص113 ـ 119 وشجرة طوبى ج2 ص267 ـ 270.

كل ذلك محتمل، ولعل الاحتمال الأخير أولى بالاعتماد، وإن كان ما لدينا من النصوص لا ينهض بتأكيد أو تفنيد أي من هذه الاحتمالات.

ويتأكد ترجيح الاحتمال الأخير، بملاحظة: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يكن وحده، بل كان معه أصحاب، كما صرحت به الرواية نفسها.

الاسم الأكبر بالسريانية:

وتقول الرواية المتقدمة: إن علياً «عليه السلام» وصف ما دعا به الأعرابي في اليوم الثاني بقوله: «هذا والله الاسم الأكبر بالسريانية».. مع أن الأعرابي لم يتكلم بالسريانية، بل تكلم بلسان عربي فصيح وصريح لا لبس فيه، فكيف نفسر ذلك؟!

ويمكن أن يجاب:

بأن ثمة روايات تقول:

1 ـ عن أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه قال: إنَّا أسماء الله الحسنى، وأمثاله العليا، وآياته الكبرى(1).

2 ـ وهناك روايات أخرى عن الأئمة «عليهم السلام» تقول: إنهم «عليهم السلام» أسماء الله الحسنى(2)..

---

(1) بحار الأنوار ج53 ص46 و 47 عن منتخب بصائر الدرجات.

(2) البرهان (تفسير) (ط قم سنة 1393هـ) ج2 ص52 و (ط مؤسسة البعثة) ج2 ص617 وج3 ص678 وتفسير العياشي ج2 ص42 والكافي ج1 ص143 والمحتضر ص136 و 228 ومدينة المعاجز ج1 ص556 وبحار الأنوار ج91 ص6 وج25

وإن أسماءهم أحب الأسماء إلى الله تعالى[1].

3 ـ عن الإمام الكاظم «عليه السلام»: أنه دعا في يوم السابع والعشرين من شهر رجب، فقال: «فنسألك به، وباسمك الأعظم الأعظم، الأعظم، الأجل الأكرم، الذي خلقته فاستقر في ظلك، فلا يخرج منك إلى غيرك»[2].

4 ـ في رواية: أن خيبرياً سأل باسم الله الأعظم، فعبر على الماء، فرأى علياً «عليه السلام» دعا بالاسم الأعظم، فجمد الماء، وسار عليه.. فلما تساءلا، قال الخيبري: دعوت باسم الله الأعظم.

فقال له «عليه السلام»: ما هو؟!

قال: سألت باسم وصيِّ محمد.

فقال «عليه السلام»: سألت باسم وصيِّ محمد، وأنا وصي محمد[1].

ص5 وج27 ص38 ومستدرك الوسائل ج5 ص230 ومرآة العقول ج2 ص116 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص390 ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج1 ص335 ونور الثقلين (تفسير) ج2 ص103 وكنز الدقائق (تفسير) ج5 ص251.

(1) البرهان (تفسير) (ط قم سنة 1393هـ) ج2 ص52 و (ط مؤسسة البعثة) ج2 ص618 وبحار الأنوار ج22 ص348 وج37 ص77 وج91 ص21 ومستدرك الوسائل ج5 ص228 والإختصاص ص223 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص390 وج5 ص172.

(2) مصباح المتهجد ص815 والمزار لابن المشهدي ص198 والمصباح للكفعمي ص536 ومفاتيح الجنان ص254 والبلد الأمين ص184 و 185 وإقبال الأعمال لابن طاووس ج3 ص277.

(1) مستدرك سفينة البحار ج5 ص169 عن كتاب السلسبيل ص137 مع بعض التصرف

وبعدما تقدم نقول:

صرح الخبر الثالث المتقدم: بأن الاسم الأعظم مخلوق لله سبحانه، وأن الله خلقه فاستقر في ظله تعالى، فلا يفارقه إلى غيره، والنبي «صلى الله عليه وآله» وعلي هما اسم الله الأعظم، وأهل بيته الطاهرون هم أسماء الله الحسنى، وكذلك علي «عليه السلام».

فهؤلاء المخلوقات العظيمة هي دلائل عظمة الله تعالى، وقدرته، وعلمه، وحكمته، وهم يشيرون إلى صفات الله تعالى، ويعرِّفون المخلوقات به تعالى خير وأدل تعريف، تماماً كما يدل الاسم على المسمى، والصفة على الموصوف.

وهذا بالذات ما خضعت له الملائكة، وسلَّمت به في قصة السجود لآدم، حين علَّمه الله تعالى الأسماء كلها، فإنها أسماء تدل على عظمته تعالى، وقدرته وحكمته وسائر صفاته.. وهي أسماء أهل البيت «صلوات الله وسلامه عليهم».

وقد رأينا: أن الإمام علياً «عليه السلام» قد وصف الدعاء الذي دعا به الأعرابي: بأنه تضمن الاسم الأعظم، وهو إنما تضمن سؤال الله تعالى بمحمد وآل محمد مما يعني: أن هؤلاء هم الاسم الأعظم في السريانية.

لا حق لأحد على الله سبحانه:

وهناك من يحاول التشكيك في هذا الدعاء ونظائره، بزعم: أنه قد سأل الله تعالى بحق محمد وأهل بيته «عليهم السلام»، مع أن الله تعالى هو المتفضل على جميع العباد، وله الحق عليهم، وهو حق الخالقية، والنعمة، والرزق، والتدبير،

ليستقيم المعنى. وراجع: مشارق أنوار اليقين ص271 ومدينة المعاجز ج1 ص430.

والرعاية، وما إلى ذلك، وليس لأحد حق عليه تعالى.

وهذا كلام غير سديد، ولا رشيد..

وقد يأتي في موضع آخر من هذا الكتاب ذكر طائفة من الشواهد، والنصوص عن المعصومين «عليهم السلام» حول الحقوق المختلفة للمخلوقات على الله تعالى، الأمر الذي يدحض هذا الكلام.

ونكتفي هنا بالإشارة إلى ما يلي:

الأول: أن هذا القائل ربما كان يتذاكى على الناس بهذا النوع من الاستدلالات الباطلة، باعتبار: أن هدفه هو المنع من التوسل بأهل البيت «عليهم السلام»، لأنه لا يرى لهم من المقام عند الله، ما يدعو إلى قبول التوسل بهم، أو لأنه متأثر بأقوال من يرى أن هذا التوسل بهم «صلوات الله عليهم» من مفردات الشرك المخرج من الدين..

الثاني: لو أردنا أن نحسن الظن بمقاصد هذا القائل، فلا بد من أن يحمل كلامه على أنه لم يفهم معنى السؤال بحق النبي، أو الوصي الولي، فتوهم: أن المراد بالحق، ما يكون من قبيل حق الوالد على ولده، أو حق الرب على المربوب.

مع أن هذا من الخطأ الفاحش.. فإن المراد هو عكس ذلك تماماً، وهو حق الولد على والده، وحق المربوب على ربه، والمخلوق على خالقه، من الرعاية، والحفظ، والتسديد، والتأييد، والعون، والنصرة، وما إلى ذلك..

وقد صرحت الروايات أيضاً: بأن من حق الولد على والده: أن يسميه بالاسم الحسن، وأن يعلِّمه القرآن، ويفقِّهه في الدين، ويربيه تربية صالحة، والنصيحة، وغير ذلك..

ومن حق المخلوق على خالقه: أن يستجيب دعاءه إذا توفرت الشرائط، وأن يهيئ له أسباب الهداية، وأن يقبل توبته، وما إلى ذلك..

وتختلف حالات الناس مع خالقهم، من حيث الطاعة والمعصية، والقرب والبعد، والعلم والجهل، وغير ذلك..

ومن حق النبي والوصي: أن يشفِّعه الله تعالى في من يشفع بهم من العصاة، وأن يستجيب دعاءه فيما يرتبط بحاجات العباد إلى الهداية والرعاية، وأن يشفي المرضى بدعائه، وغير ذلك..

الإمام لا يلهو ولا يلعب:

تقول الرواية المتقدمة: إن الحسين «عليه السلام» أجاب الأعرابي من بين الصبيان، وعرَّفه بنفسه، ومضى معه ليدله على دار علي «عليه السلام».. فقد يتوهم متوهم: أنه «عليه السلام» كان يلعب مع أترابه..

ونجيب:

أولاً: بأن الحضور بين الصبيان، لا يعني أنه حضور لهو ولعب.. فلعله حضور تعليم، وتوعية، وتهذيب، كحضور المعلم بين الصبيان، وحضور الأب والأم بين أولادهما.

ثانياً: تقدم في فصل: «لا يلعب المعصوم»: أن الإمام «عليه السلام» لا يلهو ولا يلعب..

وذكرنا أيضاً: أن المعصوم قد يتصرف بنحو قد يظنه بعض الناس لعباً، وهو إنما يفعل ذلك في سياق تفكره في بديع صنع الله، والتدبر في أسرار الخلق، واستخلاص العبر والعظات..

إخبارات عن الغيب:

وقد رأينا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام»، قد أخبر أصحابه، ثم أخبر الأعرابي بعد ذلك: بأن الله تعالى قد غفر له ذنوبه، وأعطاه الجنة، وصرف عنه النار، وسأله المال فأعطاه إياه.

فكيف عرف علي «عليه السلام» هذه الأمور الغائبة عنه؟!

هل سمع ذلك من النبي «صلى الله عليه وآله»؟!

أو أنه اطَّلع على ذلك من حديث الملائكة، الذين يطَّلعون على لوح المحو والإثبات؟!

أو أنه هو نفسه يطَّلع على اللوح مباشرة؟!

أو بغير ذلك من أسباب؟!

هذا ما لا نملك جواباً محدداً عليه، إلا أننا نعلم أن الروايات صرحت: بأن الأئمة «عليهم السلام» يحصلون على خصائصهم في الإمامة منذ ولادتهم «صلوات الله عليهم»، بل قبلها.. مثل: العلم، والعصمة، ورؤية أعمال الخلائق، والشهادة على الخلق، وغير ذلك من خصائص له في ذاته، وما يحتاجه في إشرافه وتدبيره لشؤون الأمة..

وقد أشرنا إلى شيء من ذلك في الجزئين المتقدمين من هذا الكتاب.

ألقاب وأوصاف في عهد الرسول:

1 ـ وقد لاحظنا: تكرر ذكر علي «عليه السلام» بوصف أمير المؤمنين، فقد ذكر بهذا الوصف أو اللقب عدة مرات على لسان الأعرابي والإمام الحسين

«عليه السلام».. وهذا يدل على شيوع هذا اللقب بين الناس في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى على لسان الأعراب، الذين لم يروا أمير المؤمنين «عليه السلام» في حياتهم..

وهذا يشير إلى أن الآخرين الذين جاؤوا إلى الحكم بالقوة والقهر، وتسموا بإمرة المؤمنين قد سرقوا هذا اللقب من صاحبه الحقيقي، وأطلقوه على أنفسهم.

2 ـ وفي هذا السياق نلاحظ: اهتمام الإمام الحسين «عليه السلام» بتعريف نفسه لذلك الأعرابي باسمه، وبأنه ابن أمير المؤمنين علي «عليه السلام»، فهل أراد أن يقنعه بأنه جاد في تبرّعه بإيصال الأعرابي إلى مقصده، وأنه لا يتلعب به، كما ربما يفعله بعض الأطفال بالرجل الغريب؟!..

أو ليؤكد له: أنه يعرف بيت أمير المؤمنين «عليه السلام» بلا ريب.

3 ـ يلاحظ: أن الأعرابي استطرد في أسئلته للإمام الحسين «عليه السلام»، فسأله عن أمه، وجده وجدته، وأخيه..

ويلاحظ: أن أجوبة الإمام «عليه السلام» قد تضمنت أموراً لافتة، فقد:

ألف: وصف أباه: بأنه أمير المؤمنين.

ب: وصف أمه: بأنها سيدة نساء العالمين.

ج: وصف جده بأنه رسول الله.

د: ذكر أخاه مكنياً له بأبي محمد.

كما أنه قد ذكر الأسماء منسوبة إلى الآباء بصورة تامة وواضحة، ومن دون أي إخلال، أو إنقاص يحتاج ذلك الأعرابي معه إلى الاستفسار عنه..

وبذلك يكون قد أعطى ذلك الأعرابي درساً في الوعي، والدقة، ورعاية

الأدب في التعريف بالأشخاص، بإعطاء كل ذي حق حقه.

كما أنه يكرس في وجدان ذلك الأعرابي: فضل وامتياز أهل البيت، وموقعهم من هذا الدين، فحسب علي أنه أمير المؤمنين، وحسب فاطمة أنها سيدة نساء العالمين، وحسب جده أنه خاتم رسل الله.. كما أن أخاه ليس كسائر الأطفال، بل يجب احترامه وإجلاله، ولو بأن يذكره بكنيته قبل ذكر اسمه.

4 ـ غير أننا وجدنا في الرواية: أن علياً «عليه السلام» قد كنى سلمان، ثم سماه باسمه، ثم وصفه بالفارسي المحمدي.. مع أننا نجد في بعض الروايات عنهم «عليهم السلام» قولهم: لا تقولوا: سلمان الفارسي، ولكن قولوا: سلمان المحمدي(1).

فهل قال «عليه السلام» ذلك قبل صدور هذا التوجيه من النبي «صلى الله عليه وآله»، وقبل أن تظهر العصبية في العرب ضد غير العرب؟! أو لأن المقصود هو النهي عن إطلاق كلمة الفارسي على سلمان على سبيل الإنتقاص.. فإذا لم يكن كذلك، فلا مانع من وصفه بالفارسي أيضاً..

أنصفت يا أعرابي:

1 ـ إن التأمل في مضمون الرواية المتقدمة يعطي: أن ذلك الأعرابي لم

(1) روضة الواعظين ص283 وبحار الأنوار ج22 ص327 و 349 وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج1 ص54 ونهج الإيمان ص589 ونفس الرحمن ص123 و 172 والأمالي للطوسي ص133 ومستدرك سفينة البحار ج5 ص131 والدرجات الرفيعة ص209 وبشارة المصطفى للطبري ص411 وكشف الغمة ج2 ص15.

يكن رجلاً عادياً.. فأدعيته تدل على أنه رجل عالم، عارف باسم الله الأعظم بالسريانية..

كما أن أسئلته للإمام الحسين «عليه السلام» قد يفهم منها: أنه يبحث عن أمر جليل يجول في خاطره، ويريد تأييده، وتأكيده، وتشييد دعائمه، وترسيخ أركانه، فإن أحداً لا يخطر على باله أن يسأل عن الجد والجدة، والأخ، والأب، والأم، وما إلى ذلك.. إن لم يقصد بذلك التدقيق والمراجعة للانطباع الذي تكوَّن لديه..

وقد أظهر قوله لأمير المؤمنين: من أنت؟!: أنه لم يكن يعرف شخصه قبل ذلك الوقت. ولكنه يعرف عنه ما خوَّله أن يقول له: «أنت والله بغيتي، وبك أنزلت حاجتي».. فلعل أسئلته هذه تهدف إلى تحصيل الطمأنينة لصحة ما توصل إليه، وعوَّل عليه..

2 ـ كما أن هذا الأعرابي كان متوازناً ومنصفاً في مطالبه، فقد طلب أربعة أمور، كلها معقولة، ومقبولة، فطلب:

أولاً: ما يرتبط بمعنى العفة، وكبح جماح الشهوة، وتهيئة عوامل السكينة النفسية، ووضع الأسس الصحيحة لبناء الأسرة في خط الاستقامة والصلاح، فطلب من أجل ذلك كله وسواه: ألف درهم لصداق المرأة التي يتزوجها..

وقد يقول قائل: لقد كان يكفيه أن يتزوج امرأة بمئة أو بضع مئات من الدراهم، فلماذا طلب ألف درهم؟!

ويجاب:

بأن هذا أيضاً من دلائل حكمته، وعلو همته، وأنه لا يريد الزواج من

أي امرأة عرضت له، بل يريد أن يتزوج من أهل البيوتات المحمودة، وذوي الهمم العالية، والرشيدة، التي تعنى بتربية أبنائها، وتهتم بصون كراماتها، وتمتاز بأصالتها، وتفاخر بعفتها، وطهارتها..

ثانياً: لقد طلب ما يصون به ماء وجهه، ويحفظ كرامته، ويؤكد المعنى الإنساني فيه، ويجسد معنى الوفاء، وحفظ الجميل، وأنه يريد أن يعيش مرفوع الرأس، عزيزاً مرضياً، وشهماً سرياً.. فطلب ألفاً يقضي بها دينه.

ثالثاً: ثم طلب ألفاً مثلها.. يدفع بها غائلة العجز عن مواجهة حاجات ومتطلبات، وضرورات الحياة، فإن الزواج، وإنشاء الأسرة يحتاج إلى استقرار، وثبات، وإلى دار تجمع وتصون، وتدفع غائلة الوقوع في المديونية من جديد، مع ما يستبطن ذلك من احتمالات العجز عن الوفاء.. والإنسان العاقل يأبى ذلك لنفسه أشد الإباء، لأن المديونية تسلب منه راحته، وتقوِّض سعادته، وتضعه في مواجهة الأخطار التي تهدم سؤدده، أو تطيح بكرامته وعزته، وتلقي به إلى متاهات الفقر والعوز، وتفرض عليه المذلة، وتؤدي به إلى المهانة.

رابعاً: ثم كان الألف الرابع ضرورياً له أيضاً ليتخذ منه مصدراً للعيش بكرامة، ووسيلة لصون ماء الوجه، وتحاشي ابتذاله بالسؤال..

فكل ذلك يدل على أن ذلك الأعرابي كان حكيماً، صحيح الفكر، ومتوازناً إلى حد بعيد، ويكفيه قول أمير المؤمنين «عليه السلام» له: أنصفت يا أعرابي.

3 ـ ولا بأس بلفت النظر أيضاً إلى أن استدراج أمير المؤمنين «عليه السلام» لذلك الرجل ليذكر خطته في الأربعة آلاف ربما كان هدفه أن يتعلم الناس منه درساً في المسؤولية، والحكمة والإنصاف، وعدم الجنوح إلى الطمع،

وضرورة تدبير المعيشة.. وأن تكون الأهداف مقبولة ومعقولة، وصحيحة، حتى لو كان الطلب من الله تبارك وتعالى.

لماذا يعيد الأعرابي السؤال؟!:

ويلاحظ: أن الحسين «عليه السلام» كان قد أخبر الأعرابي باسمه، واسم أبيه، ولكن الأعرابي عاد، فقال له: من أبوك؟! ثم تمادى في أسئلته، حسبما تقدم بيانه، فَلِمَا فعل الأعرابي ذلك يا ترى؟!

ويمكن أن يجاب بما يلي:

1 ـ لعل سبب ذلك: أنه أراد أن يتأكد من أن هذا الطفل هو ابن أمير المؤمنين بالمباشرة، وليس من ذريته: بأن يكون ابن ابنه مثلاً، كما أنه ليس ابنه بالرعاية، والمحبة، والتربية.. فأخبره «عليه السلام»: أنه ابنه على الحقيقة، وبالمباشرة.

2 ـ إنه قد يكون ابن علي على الحقيقة، ولكنه ليس من نسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» فسأله عن أمه، من هي؟!

3 ـ ثم يتابع ذلك الأعرابي أسئلته لكي يتوثَّق من الأمر، ويحاصر جميع الاحتمالات الأخرى، فسأله عن جده، وجدته وأخيه.

يزعم الأعرابي:

وتقول الرواية: إن الحسين «عليه السلام» قال لأبيه: أعرابي بالباب، يزعم: أنه صاحب الضمان بمكة الخ..

والسؤال هو: لماذا قال: يزعم أنه صاحب الضمان؟!

ويجاب:

بأن الحسين «عليه السلام» لم يكن حاضراً في مكة حين إعطاء الضمان للأعرابي، فيحتمل أن يكون هذا أعرابياً آخر قد سمع ما جرى، فبادر إلى ادَّعاء أنه هو صاحب الضمان.. فكان لا بد للحسين «عليه السلام» من أن يتكلم بطريقة لا تفيد الحتم والجزم، فلو ظهر أنه ليس هو الشخص المطلوب، فإن ذلك قد يفتح باب التجني على الإمام «عليه السلام»، بادِّعاء: أن الحسين «عليه السلام» شهد للرجل بالأمر، وهو إمام معصوم.. وأنكر ذلك أبوه، بادِّعاء: أنه ليس هو الشخص التي حصل الاتفاق معه.

الزهراء ÷ لا تنازع علياً ×:

وذكرت الرواية: أن الزهراء «عليها السلام» قد نازعت علياً «عليه السلام»، وأخذت بثوبه، لكي ترفع أمره إلى أبيها.. لأنه باع الحائط ووزع ثمنه على الفقراء، ولم يُبْقِ لها ولأبنائها، ولنفسه درهماً تشتري به طعاماً..

فجاء جبرئيل بالحكم لصالح علي «عليه السلام»..

فقالت «عليها السلام»: فإني أستغفر الله، ولا أعود أبداً.

فكيف تفعل الزهراء «عليها السلام» ذلك؟!

وهل هي طامعة بالمال حقاً، إلى حد أنها تنازع أمير المؤمنين «عليه السلام»، طمعاً بالحصول على درهم؟!

ونجيب:

أولاً: إن الزهراء «عليها السلام» تقول لعلي «عليه السلام» بعد استشهاد

أبيها «صلى الله عليه وآله»، ويؤيدها أمير المؤمنين في ذلك: «ولا خالفتك منذ عاشرتني»[1].

ويقول علي «عليه السلام»: «فوالله ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً الخ..»[2].

ثانياً: إن ما جرى في قضية المسكين واليتيم والأسير، ونزول سورة هل أتى.. وكذلك ما جرى في نزول قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[3]، وبذلها طعام ولديها للرجل الذي اعتبرته ضيفاً، وغير ذلك.. ـ إن ذلك كله، وسواه ـ يعطي: أن الزهراء لا تنازع علياً «عليهما السلام» أبداً بصورة جدية.

ثالثاً: يبدو لنا: أن هذه القصة قد يكون لها نصيب من الحقيقة، باعتبار أن ما فعله علي «عليه السلام» في ثمن الحديقة كان أمراً علنياً، مشهوداً، لا بد أن يذاع ويشاع.. لاسيما وأن جيشاً من السائلين والفقراء قد استفاد من ذلك المال، ويفترض أن يصبح هذا الذي جرى حديث الكبير والصغير، وقد يتجاوز حدود المدينة إلى بلاد أخرى.

وهذا أمر لا يستسيغه أهل الدنيا، ولا يضعونه في دائرة الصواب، وربما

---

(1) راجع: روضة الواعظين ص151.

(2) المناقب للخوارزمي ص256 و (ط مركز النشر الإسلامي) 353 وكشف الغمة ج1 ص363 و (ط دار الأضواء) ج1 ص373 وبحار الأنوار ج43 ص134 وبيت الأحزان ص53.

(3) الآية 9 من سورة الحشر.

رموا فاعله بالسفه والطيش، واتهموه بالتبذير الذي يؤزر عليه فاعله، ولا يؤجر.

وهذا معناه: أن هذا العمل بدل أن يكون أمثولة تدعو إلى الخير، والبذل والعطاء، والاهتمام بأصحاب الحاجة.. تصبح من أسباب البخل، والامتناع عن البذل بصورة مبرَّرة ومقبولة لدى أصحاب الأموال، وطلاب الدنيا.. وتضييع أهداف آية الإيثار مع الخصاصة، وأهداف سورة هل أتى، وسواهما.

فكان لا بد من حلّ لهذه المعضلة، ويأتي الحل صريحاً وحاسماً، وأن يكون من رب الأرض والسماء.. فكان هذا التنازع الظاهري الذي يراه الناس طبيعياً، بل ضرورياً.. فجاء جبرئيل «عليه السلام» بالحل القاطع، والبرهان الساطع.. بعد أن مهدت الزهراء «عليها السلام» لظهور هذا التأييد الإلهي الحاسم لهذا الإيثار.. وتآلف علي والزهراء، وابناهما «عليهم السلام» في سماء الزهد والإيثار، وحب الخير، ليكونوا الأسوة، والقدوة، على مدى العصور والدهور..

يا بني نعطيه؟!:

وقد كان للإمام الحسن «عليه السلام» نصيب مهم جداً في هذا الذي جرى، فإنه «عليه السلام» حين أخذ الدراهم الهجرية التي منحه إياها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ذهب بها إلى السوق، وقد اصطحب ولده الإمام الحسن، فوجدا محتاجاً يسأل الناس، فقال لابنه: يا بني، نعطيه؟!

قال: إي والله يا أبه.

فأعطاه علي «عليه السلام» الدراهم.

فقال الحسن: يا أبتاه، أعطيته الدراهم كلها؟!

قال: نعم يا بني، إن الذي يعطي القليل قادر على أن يعطي الكثير.

ونلاحظ هنا ما يلي:

1 ـ إنه «عليه السلام» انتدب ولده الإمام الحسن «عليه السلام» ليذهب معه إلى السوق، وترك الحسين «عليه السلام».. ربما لأن المطلوب: هو أن يستفيد الناس من الإمام الحسن «عليه السلام»: العبرة والفكرة، حين يشارك في صنعها، لأنه هو الإمام للأمة بعد أبيه مباشرة.. أما فعلية إمامة الإمام الحسين فتأتي بعد إمامة أخيه.

ومن المعلوم: أن المطلوب هو أن يرى الناس: الاندفاع الشديد، واللهفة ممن هو بسن السادسة أو السابعة على بر الفقراء، وإيثارهم بطعامه، بالرغم من شدة جوعه وحاجته إليه، ليعرفوا أن هذا جزء من تكوينهم، ومن فطرتهم، ومن موجبات سعادتهم، وأنهم لا يتكلفونه، ولا يتخلون عنه في أي ظرف وحال..

2 ـ يلاحظ: أن الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يبادر إلى إعطاء ذلك المحتاج، بل سأل ولده أولاً، إن كان يعطيه.. فأجاب بالإيجاب، مؤكداً ضرورة ذلك بالقسم بالذات الإلهية.

3 ـ إنه «عليه السلام» لم يسأل ولده عن مقدار ما يعطي ذلك الفقير، بل بادر إلى إعطائه جميع ما معه، لأن قَسَم الإمام الحسن «عليه السلام» بالذات الإلهية قد أظهر أنه سيكون مسروراً وسعيداً جداً بهذا العطاء، فلم تبق حاجة إلى السؤال عن المقدار.

4 ـ إن سؤال الإمام الحسن أباه «عليهما السلام» عن مقدار ما أعطاه لم

يكن سؤال إنكار، بل هو سؤال استفسار، ليعلم: أنه «عليه السلام» لم يدَّخر شيئاً لنفسه، بل بذل كل ما عنده.. بدليل القسم الذي تقدمت الإشارة إليه.

5 ـ إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد ضمَّن جوابه قاعدة إيمانية، يريد للناس أن لا يغفلوا عنها، فأضاف قوله: «إن الذي يعطي القليل قادر أن يعطي الكثير».

وهذه الفقرة تفهم بنحوين غير متناقضين، فلا ينبغي أن يتوهم ذلك:

الأول: أن الله الذي أعطى هذا القليل، سوف يخلف على المعطي بالكثير في الدنيا، لأنه وضع هذا القليل، في هذا الموضع الذي يحبه تبارك وتعالى.

الثاني: أن الذي يتصدق بالقليل قادر على التصدق بالكثير، ولا يمنعه من ذلك إلا شح نفسه، الذي يجب محاربته، ورفض الانصياع له.

انتهى الجزء الثالث من كتابنا: سيرة الحسن × في الحديث والتاريخ..

ويليه الجزء الرابع

الفهرس

الفصل الخامس: لماذا عائشة؟! 5
بداية:... 7
تعلمين يا عائشة!!:.. 7
علي أحب إلى الله، وإلى النبي ’: 8
عائشة ليست أحب:... 12
علي × ينظر إلى الله!! والله ينظر إليه:..................................... 18
مع النبي في الجنة!!: 20
أساس الغرفة وأطرافها وموقعها وبياضها: 22
هل هذا جبر الهي؟!:.. 24
إشارات ولمحات:... 27
إبطال الكيد، والعبث بالحقائق: 30
الباب السادس: كبار.. حتى في عهد الرسول.............. 31
الفصل الأول: يشهدان.. ويبايعان................................ 33

بداية:.. 35
الشهادة على كتاب ثقيف: 35
سؤال يحتاج إلى جواب: 37
فوائد وعوائد، ودلالات:... 38
الشهود على كتاب ثقيف:... 40
الضامن هو الله ورسوله:.. 40
مضامين الكتاب:.. 41
لأجل هذا أشهدهم:.. 43
الشهادة والإمامة:.. 44
بيعة الرضوان: 46
ابن الزبير لم يبايع صغيراً:... 50
ابن جعفر، وابن عباس: 51
هل التكليف منوط بالتمييز؟!: 51
حقيقة البيعة:... 58
الفصل الثاني: حديث المباهلة: نصوص وآثار.. 60
بداية:.. 62
من روايات حديث المباهلة: 63
وفد نجران يحاور رسول الله ’:.. 65
كتاب مصالحة النجرانيين:... 76

الفصل الثالث: وقفات مع حديث المباهلة........................ 78
المفيد وابن شهرآشوب يتحدثان: 80
متى كانت المباهلة؟!:... 81
حديث المباهلة متواتر: 82
المباهلة بالخمسة دون سواهم:.. 84
لماذا هؤلاء فقط؟!:.. 87
تأويلات سقيمة:.. 88
النجرانيون لا يباهلون أهل البيت ^:...................................... 93
لمحات في آية المباهلة:.. 97
تشويهات المنار للحقيقة: 105
الروايات شيعية راجت على أهل السنة:..................................... 107
إعادة الاعتبار للخوارج: 111
النساء والأنفس وعلي وفاطمة: 114
لا نساء ولا أبناء مع النجرانيين:.. 119
المطلوب في المباهلة: 120
المراد بالعلم: 122
تدعون أبناءنا، وندعو أبناءكم:.. 123
كيف يدعو النبي ' نفسه؟!: 125

الفصل الرابع: ترهات وشبهات حول الأبناء................ 127
أبناء المسلمين، أم أبناء الرسول؟!:.............................. 129
الحسنان ‘ أبناء الرسول ’:.. 133
آية المباهلة أخرستهم:... 137
الإستدلالات مأخوذة من الأئمة ^: 142
قصة ذكوان بين الوجدان والسياسة: 146
الفصل الخامس: إمامة وكرامة................................ 150
أتحبهم يا رسول الله؟!:.. 152
حب الحسنين ‘:.. 153
أنا سلم لمن سالمهم: 155
من هو الصديق؟!: 156
هذا الحديث فاجأ البعض: 158
القوس العربية لماذا؟!: 159
ردئ الولادة وطيب الولادة: 162
لماذا الخيمة والقوس؟!: 162
آثار ونتائج:... 163
حزقة.. عين بقة: معناه ومغزاه: 167
أبو هريرة: عدو لعلي × وأهل بيته:.................................. 170
لا يلعب ولا يرقص: 172

هذه معانٍ رديئة: 173
هدية الأعرابي للحسن والحسين ' : 175
إدراك الحيوانات:... 177
المعصوم لا يلعب ولا يلهو: 178
أمور تحتاج إلى تأمل: 179
الكرامات:... 181
الفصل السادس: الحسنان ' في آية التطهير................ 183
الحسن في آية التطهير وحديث الكساء:........................ 185
متى حصل ذلك: 189
الاحتجاجات بآية التطهير: 190
ما المراد بالبيت؟!:.. 191
نساء النبي لَسْنَ من أهل بيته: 194
حديث الكساء لا يخالف القرآن:...................................... 201
ليُذهب عنكم، وتطهيراً: ثلاث قرائن: 207
لماذا الحسنان ' في آية التطهير؟!: 211
الفصل السابع: حديث سد لأبواب.. 218
نصوص وآثار: 220
حديث سد الأبواب:.. 220

وقفة مع النصوص المتقدمة: 225
بين الشريعة والقانون: 228
الطهارة والإمامة: 232
اعتراض الحمزة والعباس: 233
حدثان لا حدث واحد: 235
السنن الإلهية: 237
الفصل الثامن: الحسنان ' في حديث الغدير.. 240
الحسين × يوم الغدير: 242
لا ينحصر الأمر ببيعة الغدير: 244
تحصين نصوص الإمامة: 245
الأسئلة الذكية:.. 249
الحديث المؤلم: 249
سمات ولمحات اخرى: 250
الإشهاد على ما جرى والإلزام بنقله: 251
العبدان الصالحان من هما؟!:... 252
ليس المراد هؤلاء: 255
إرادة الحسنين ' أصوب:.. 256
الباب السابع: إيثار.. وشهامة.. 258
الفصل الأول: الحسنان × في سورة هل أتى................. 260

الحدث الرائع: 262
لماذا بلا طعام ثلاثة أيام؟!: 264
لماذا بذل الصائمون كل ما عندهم؟!: 266
هذا هو محور كلامنا: 269
إطعام المسكين: 270
الجملة الاعتراضية: 272
لماذا تنوين التنكير؟!: 273
التدرج أظهر الكوامن: 274
المسكين أولاً: 275
اليتيم في اليوم الثاني: 275
الأسير في اليوم الثالث: 280
الفصل الثاني: الحسنان ' في إيثار آخر.. 284
مثالان فقط: 286
ما عندنا إلا قوت الصبية: 286
شأن نزول آية الإيثار: 288
آية الإيثار تحدثت عن أشخاص: 290
أرسل إلى بيوت أزواجه: 291
الضيف.. والإيثار: 292

المؤثرون على أنفسهم: 293
عجب الرب:... 295
يمضغان بألسنتهما:.. 296
علي يعطي الدينار للمقداد:... 297
المواساة لمن بالحجاز واليمامة:.. 300
ألا أعلمتني فأتيتكم بشيء: 304
هل كان النبي ' يملك أموالاً؟!: 305
هل عندك شيء نفطر به؟!:... 307
التصدق بفراش الحسنين ': 309
أليس الرفق بالحسنين ' أولى؟!: 311
النبي ' كان يعلم: 312
الحسنان ' عطية إلهية لفاطمة ×:....................................... 314
الفصل الثالث: جبرئيل باعك الناقة، واشتراها ميكائيل.. ... 316
الحسين × والأعرابي:.. 318
هذا الحدث بدأ في مكة:.. 325
الاسم الأكبر بالسريانية:.. 326
لا حق لأحد على الله سبحانه:... 328
الإمام لا يلهو ولا يلعب:.. 330
إخبارات عن الغيب: 331

ألقاب وأوصاف في عهد الرسول:...................................... 332

أنصفت يا أعرابي: 334

لماذا يعيد الأعرابي السؤال؟!: 336

يزعم الأعرابي: 337

الزهراء ÷ لا تنازع علياً ×:... 337

يا بني نعطيه؟!:... 339

الفهرس 342